

حجة الله على العالمين
في معجزات سيد المرسلين
صلى الله عليه وسلم
تأليف مصححه الفقير يوسف بن اسماعيل النبهاني
رئيس محكمة الحقوق في بيروت القائل
المجلد الثاني
الناشر
حسن جحنا و محمد امين دمج
قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست
مكتبة الحقيقة
HAKİKAT KİTÂBEVİ
Darüşşefeka Cad. 57 P.K.: 35 34083
Tel: 0212 523 45 56 Fax: 0212 523 36 93
http://www.hakikatkitabevi.com
e-mail: info@hakikatkitabevi.com
Fâtih-ISTANBUL
2005

حُجَّةُ اللهِ عَلَى الْعَالَمِينَ
فِي مُعْجِزَاتِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ
صلّى الله عليه وسلّم

تأليف مصححه الفقير يوسف بن إسماعيل النبهاني
رئيس محكمة الحقوق في بيروت القائل
المتوفى سنة ١٣٥٠ هـ. [١٩٣٢ م.]

كتاب تسمى حجة الله من وعى * مسماه فهما يلفه طابق الإسما
أتى جامعا من معجزات محمد * نبي الهدى خير الورى عددا جما
نجوم بأفق الدين كم ذا اهتدى بها * بصير وكم أودى و لم يرها أعمى
ومعجزة القرآن كالشمس أشرقت * ودامت وسارت عمت العرب والعجما
هو الحجة الكبرى على كل جاحد * نبوة خير الخلق والآية العظمى
ورب امرئ من نوره متضرر * يرى الشرك والخفاش تعجبه الظلما
ووالله لولا الله قاض على الورى * قضاء بعدل وافق القدر الحتما
لما اختار ذو عقل سوى دين أحمد * ولكن قضاء الله في خلقه نما

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست

مكتبة الحقيقة



يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول–تركيا

هجري قمري	هجري شمسي	ميلادي
١٤٣٣	١٣٩٠	٢٠١٢

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**) وقال ايضا (**خذوا العلم من افواه الرجال**)

ومن لم تتيسّر له صحبة الصالحين وجب له ان يذكّر كتبا من تأليفات عالم صالح وصاحب إخلاص مثل الإمام الرباني المجدد للألف الثاني الحنفي والسيد عبد الحكيم الارواسي الشافعي واحمد التيجاني المالكي ويتعلم الدين من هذه الكتب ويسعى نشر كتب أهل السنة بين الناس ومن لم يكن صاحب العلم أو العمل أو الإخلاص ويدعي أنه من العلماء الحق وهو من الكاذبين من علماء السوء واعلم انّ علماء أهل السنة هم المحافظون الدين الإسلامي وأمّا علماء السوء هم جنود الشياطين[١]

---

(١) لاخير في تعلّم علم مالم يكن بقصد العمل به مع الإخلاص (الحديقة الندية ج: ١. ص: ٣٦٦، ٣٦٧، والمكتوب ٣٦، ٤٠، ٥٩. من المجلّد الأوّل من المكتوبات للإمام الرّبّاني المجدّد للألف الثاني قدّس سرّه).

تنبيه: إنّ كلاًّ من دعاة المسيحية يسعون إلى نشر المسيحية والصهاينة اليهود يسعون إلى نشر الادعاءات الباطلة لحاخاماتها وكهنتها ودار النشر – **الحقيقة** – في استانبول يسعى إلى نشر الدين الاسلامي وإعلائه اما الماسونيون ففي سعي لإمحاء وازالة الاديان جميعا فاللبيب المنصف المتصف بالعلم والادراك يعي ويفهم الحقيقة ويسعى لتحقيق ما هو حق من بين هذه الحقائق ويكون سببا في إنالة الناس كافة السعادة الابدية وما من خدمة اجلّ من هذه الخدمة اسديت إلى البشريّة.

Baskı: İhlâs Gazetecilik A.Ş.
29 Ekim Cad No 23 Yenibosna-İSTANBUL
Tel 0212454 30 00

حجّة الله على العالمين في معجزات سيّد المرسلين صلّى الله عليه وسلّم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أيّد سيدنا محمد بالمعجزات الباهرة والدلائل الظاهرة، وعضده بالأعلام الزاهرة والآيات القاهرة، وأوصلها إلينا بالأسانيد الصحيحة والأخبار المتواترة، حتى أضاءت في العالمين شموسها المشرقة وبدورها السافرة، أحمده سبحانه على أن جعل هذا النبي الكريم أكمل النبيين شريعة وأكثرهم معجزات، وأعظمهم دلائل وأوضحهم آيات، وأجملهم خلقا وخلقا وأفضلهم ذاتا وأسماء وصفات، وأرفعهم لديه مترلة وأعلاهم في الدنيا والآخرة درجات، بل هم صلوات الله عليه وعليهم سادات أمته، وعظماء ملته، ونسبة الأمم إليهم كنسبة الرعية إلى أميرها، والقبيلة إلى كبيرها، وفي الحقيقة هم وأممهم من جملة أمة هذا الرسول الأكرم، ومن بعض رعية هذا السلطان الأعظم، صلّى الله عليه وسلّم، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده المصطفى، ورسوله المجتبى، وحبيبه المرتضى، ومختاره من أهل الأرض والسماء، اللّهمّ صل عليه أفضل صلاة وأتمها، وأدومها وأعمها، صلاة تعادل جميع الصلوات التي صليتها وتصليها عليه في الأزل والأبد وما بين ذلك، وتماثل جميع ما صلى ويصلي عليه جميع خلقك كالأنس والجن والملائك، صلاة تفوق الحد والعد فلا يبلغ حدها وعدها جميع الألفاظ والأعداد، تجعلني بها من أسعد المؤمنين الفائزين برضاك ورضاه في المعاش والمعاد، وعلى آله وأزواجه وأقربائه المؤمنين من جميع جهاته، وأصحابه الذين تشرفوا برؤية ذاته الشريفة ومشاهدة معجزاته وسلم تسليما.

(أما بعد) فإنه لا يخفى على من له أدنى اطلاع على أخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام أن سيدهم وسيد جميع خلق الله محمدا صلّى الله عليه وسلّم هو أكثرهم معجزات ودلائل، وأظهرهم فضائل وفواضل، وأبهرهم محاسن وشمائل، وأشهرهم في الكتب السماوية علامات وبشائر، وأصدقهم شواهد وردت عن

الأوائل والأواخر، وأقواهم براهين وأوضحهم آيات بينات، وأرفعهم مقامات وأشرفهم حالات وأفضلهم في جميع الصفات من كل الجهات، وإنما كان صلّى الله عليه وسلّم كذلك لأنه أكثرهم أمة وأشملهم دعوة وأكملهم شريعة وخاتمهم نبوة وآخرهم رسالة ولهذا كان العالم أجمع محتاجا إلى رسالته وثبوتها أكثر من احتياجه إلى رسالات سائر النبيين لأن كل رسول كان يأتي بعده رسول يقرر ما أتى به الأول أو يتممه أو يأتي بشرع جديد حتى بعث الله سيدنا محمدا صلّى الله عليه وسلّم وختم به نبوة الأنبياء ورسالة الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام فنسخ شرعه تلك الشرائع وأغرق بحره هاتيك الجداول وأخفت شمسه تلك الكواكب فكان هو صلّى الله عليه وسلّم نبي الأنبياء والمرسلين، ورسول الخلائق أجمعين، وشرعه البحر المحيط الذي لم يخرج عنه شيء من الشرائع السابقة إلا ما نسخه بسواه، وقد زاد عنها بأضعاف لا تحصى من أحكام وأنوار وأسرار لا يعلمها إلا الله ومن علمه الله، ولذلك كانت معجزاته ودلائل نبوته صلّى الله عليه وسلّم أكثر وأعظم، وأظهر وأدوم، من سائر معجزات النبيين ودلائل نبواتهم بل لو اجتمع جميع ما ظهر على أيديهم من ذلك مضاعفا أضعافا كثيرة لما عادل معجزة واحدة له صلّى الله عليه وسلّم وهي القرآن كما أن جميع فضائلهم صلوات الله عليه وعليهم لو اجتمعت لما عادلت فضيلة واحدة له صلّى الله عليه وسلّم وهي المعراج وما حصل له فيه من الأنوار والأسرار والحب والقرب في تلك الليلة المباركة فما بالك ومعجزاته وفضائله صلّى الله عليه وسلّم لا تحصى عددا، ولا تنقطع في حياته وبعد وفاته مددا، و لم يرد لأحد منهم صلوات الله عليهم معجزة إلا ورد له صلّى الله عليه وسلّم ما هو أعظم منها أو مثلها وقد انقضت معجزاتهم بانقضائهم وله صلّى الله عليه وسلّم من المعجزات الباقية ما لا يحصى ولا يعد فمن ذلك بل أعظم ما هنالك كلام الله القديم، وقرآنه الكريم، فإنه يشتمل على آلاف كثيرة من المعجزات والدلائل، والكمالات والفضائل، والبراهين القاطعة، والآيات الساطعة، وشمس آياته مستمرة الطلوع على

جميع الآفاق، سافرة الأنوار، باهرة الأبصار، دائمة الإشراق. ومن ذلك ما أخبر صلّى الله عليه وسلّم في حياته بأنه سيقع بعد وفاته من أشياء كثيرة لا تدخل تحت الحصر ومن جملتها أشراط الساعة وعلاماتها وقد وقع كثير من تلك الأشياء في الأعصر السالفة طبق ما أخبر به صلّى الله عليه وسلّم والوقوع مستمر في كل زمان ومكان ولا ريب أن ما لم يقع منها إلى الآن سيقع في مستقبل الزمان كأشراط الساعة الكبرى فإنه لو أخبر إنسان بألف خبر مثلا وتبين صدقه بتسعمائة وتسعة وتسعين منها فلا يشك أحد بأن الخبر الباقي سيتبين صدقه فيه أيضا وهذا مثال تقريبي وإلاّ فأمر النبي صلّى الله عليه وسلّم أعظم من ذلك وصدقه محقق أكثر من هذا المخبر المفروض بما لا يقبل النسبة لأن هذا المخبر يحتمل خبره الكذب احتمالا ضعيفا بنسبة الواحد إلى الألف وأما النبي صلّى الله عليه وسلّم فإنه بالنظر إلى كثرة البشائر به قبل وجوده من الكتب السماوية والأحبار والرهبان والجن والكهان وكثرة معجزاته المتنوعة وتحقق صدقه في جميع ما ظهر في حياته وبعد مماته مما أخبر به من الغيوب المتنوعة أنواعا كثيرة مع كمال شمائله وغزارة فضائله واشتهاره قبل النبوة وبعدها عند قومه بالصدق والأمانة حتى كانوا يدعونه الأمين ولم تؤثر عنه كذبة قط قبل النبوة وبعدها فحينئذ لا يحتمل خبره الكذب قطعا ولا يشك في صدقه إلا من عميت منهم البصائر أو لم تبلغهم المعجزات والبشائر. ومن ذلك كرامات أولياء أمته صلّى الله عليه وسلّم فإنها كلها معجزات له وهي مستمرة الوقوع في جميع الأعصار والأقطار ولو حسب ما يقع منها في جميع الجهات في الشهر الواحد مثلا لبلغ ألوف ألوف وقد استفاضت في العالمين، وملأت الكتب والدواوين، وذلك قطرة من بحر ما لم يدون منها ومر بمرور الزمان، واستقر في زوايا العدم كأنه ما كان، وقلما يخلو مسلم له حسن اعتقاد بأولياء الله من مشاهدة شيء منها وكثيرا ما يشاهد بعض المنتقدين كراماتهم ولا يؤمن بولايتهم كما أن كثيرا من المشركين كانوا يشاهدون معجزات النبي صلّى الله عليه وسلّم ولا يؤمنون به وكراماتهم رضي

الله عنهم هي فروع معجزاته صلّى الله عليه وسلّم كما أنهم هم بمنزلة فروعه أيضا فلا بد أن يحصل لهم ولكراماتهم حظ ونصيب مما حصل له ولمعجزاته عليه الصلاة والسلام من إنكار أهل الإنكار ومكابرة أهل العناد. وقد تناقل معجزاته صلّى الله عليه وسلّم أئمة أمته في جميع الأزمنة والأمكنة جيل عن جيل وخلف عن سلف رواها التابعون عن الصحابة وعنهم من بعدهم من علماء الأمة وجهابذة الملة وحفاظ الحديث، في القديم والحديث، ودونوا فيها الكتب والأسفار، ونشروها في جميع البلاد في جميع الأعصار، فمنها الكتب المسمى كل منها (**دلائل النبوة**) للحفاظ أبي بكر البيهقي وأبي نعيم الأصبهاني وأبي الشيخ الأصبهاني وأبي القاسم الطبراني وأبي زرعة الرازي وأبي بكر بن أبي الدنيا وأبي إسحاق الحربي وأبي جعفر الفريابي[١] وأبي عبد الله المقدسي وكتاب الوفا في فضائل المصطفى للحافظ أبي الفرج بن الجوزي وغيرهم وهؤلاء يذكرون ما يذكرون بالأسانيد المعروفة والطرق المتعددة وكتبهم كلها كبيرة يشتمل الواحد منها على مجلدات كثيرة وكتاب شرف المصطفى للحافظ أبي سعد النيسابوري في ثمان مجلدات، ومن الكتب المدونة في هذا الشأن بخصوصه أعلام النبوة للإمام أبي الحسن الماوردي والخصائص الكبرى لخاتمة الحفاظ جلال الدين السيوطي. ومن المؤلفة في عموم أحواله الشريفة صلّى الله عليه وسلّم الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للإمام البارع القاضي عياض والمواهب اللدنية للإمام شهاب الدين القسطلاني والسيرة النبوية للعلامة السيد أحمد دحلان الجامعة لأكثر الكتب المؤلفة في سيرته صلّى الله عليه وسلّم وهؤلاء يذكرون ما يذكرونه من معجزاته صل الله عليه وسلم بدون سند وربما أسند الشفاء. أما الصنف الأول من هذه الكتب فإنها ندر وجودها وقل تداولها في الأعصر الأخيرة لطولها بكثرة الأسانيد وتعدد الروايات، وقصور الهمم عن بلوغ تلك المراتب العاليات، وأقبل الناس على الصنف الثاني منها لتلخيصه المقاصد، وجمعه الفوائد، ولما كان قد يوجد في بعض الكتب

---

(١) عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الحنبلي توفي سنة ٥٩٧ هـ. في بغداد.

الخمسة المذكورة ما لا يوجد في الآخر اتخذتها أصولا لهذا الكتاب وجمعت فيه معظم ما اشتملت عليه من المعجزات، ودلائل النبوة والآيات، ونقلت من غيرها من كتب الأئمة المعتمدة كثيرا من دلائل نبوته صلّى الله عليه وسلّم وآياته البينات، وما يناسب ذلك من النقول الصحيحات والفوائد المهمات، وعزوت جميع الأقوال إلى قائليها، و لم أتصرف إلاّ في النادر بشيء من ألفاظها ومعانيها.

الفصل الثاني في رؤيته صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه الملائكة وسماعهم أصواتهم

أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت أول ما بدئ به رسول الله عليه وسلم من الوحي، الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فأتاه الملك فقال اقرأ، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**فقلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال** (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**) **حتى بلغ** (**مَا لَمْ يَعْلَمْ** * العلق: ١-٥) فرجع بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة فقال (**زملوني زملوني**) فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر (**لقد خشيت على نفسي**) فقالت كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وكان امرأ متنصرا في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال ورقة ما ترى فأخبره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بما رآه فقال ورقة هذا الناموس الذي أنزل

على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**أو مخرجي هم**) قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي.

وأخرج أحمد والبيهقي من طريق الزهري عن عروة عن عائشة نحوه وزاد في آخره وفتر الوحي فترة، حزن لها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا لكي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، كلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه، تبدّى له جبريل عليه السلام فقال يا محمد إنك رسول الله حقا، فيسكن لذلك جاشه وتقرّ نفسه ويرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا مثل ذلك فتبدى له جبريل فقال مثل ذلك. قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ذكر بعضهم أن هذا الغط الذي وقع للنبي صلّى الله عليه وسلّم في ابتداء الوحي من خصائصه إذ لم ينقل عن أحد من الأنبياء أنه جرى له عند ابتداء الوحي مثل ذلك والحكمة فيه شغله عن الالتفات لشيء آخر أو إظهار الشدة والجد في الأمر تنبيها على ثقل القول الذي سيلقى إليه وقيل إبعاد ظن التخيل والوسوسة فإنهما ليسا من صفات الجسم فلما وقع ذلك بجسمه علم أنه من أمر الله. ومعنى الغط الضم والعصر الشديد.

وأخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه (**فبينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت زملوني زملوني فزملوني فأنزل الله** (**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ**) إلى قوله (**وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ** * المدثر:١- ٥) فحمى الوحي وتتابع.

وأخرج الإمام أحمد ويعقوب بن سفيان في تاريخيهما وابن سعد والبيهقي عن الشعبي قال نزلت عليه صلى الله عليه وسلّم النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء و لم يتزل القرآن فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فتزل القرآن على لسانه عشرين سنة، عشرا بمكة وعشرا بالمدينة.

وأخرج البيهقي وأبونعيم من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال بلغنا أن أول ما رأى النبي صلّى الله عليه وسلّم أن الله أراه رؤيا في المنام فشق ذلك عليه فذكرها لخديجة فقالت أبشر فإن الله لم يصنع بك إلا خيرا، ثم أنه خرج من عندها ثم رجع إليها فأخبرها أنه رأى بطنه شق ثم طهر وغسل ثم أعيد كما كان قالت هذا والله خير فأبشر ثم استعلن له جبريل وهو بأعلى مكة فأجلسه على مجلس كريم معجب كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول أجلسني على بساط كهيئة الدرنوك فيه الياقوت واللؤلؤ فبشره برسالة الله له حتى اطمأن النبي صلّى الله عليه وسلّم ثم قال له اقرأ فقال (**كيف اقرأ**)، قال (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**) إلى قوله (**مَا لَمْ يَعْلَمْ** * العلق:١-٥) فقبل الرسول رسالة ربه وانصرف فجعل لا يمر على شجرة ولا حجر إلا سلّم عليه فرجع مسرورا إلى أهله موقنا قد رأى أمرا عظيما فلما دخل على خديجة قال أرأيتك الذي كنت أخبرتك إني رأيته في المنام فإنه جبريل استعلن لي أرسله إلي ربي فأخبرها بالذي جاءه من الله وما سمع منه فقالت أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيرا، فأقبل الذي جاءك من الله فإنه حق وأبشر فإنك رسول الله حقا، ثم انطلقت حتى أتت غلاما لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس نصرانيا من أهل نينوى يقال له عداس فقالت له يا عداس أذكرك بالله إلا ما أخبرتني هل عندكم علم من جبريل فقال عداس قدوس قدوس ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التي أهلها أهل الأوثان فقالت أخبرني بعلمك فيه قال فإنه أمين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى فرجعت خديجة من عنده فجاءت ورقة بن نوفل فأخبرته فقال لعل صاحبك النبي الذي ينتظر أهل الكتاب (**الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ** * الأعراف: ١٥٧) ثم أقسم بالله لئن ظهر ادعاؤه وأنا حي لأبلين الله في طاعة رسوله وحسن موازرته فمات ورقة.

وأخرج البيهقي وأبو نعيم من وجه آخر عن عروة بن الزبير نحو هذه القصة وفي أولها بعد شق عليه ورأى أنه بينما هو في مكة أتى إلى سقف بيته فترع سبجة سبجة حتى إذا نزع أدخل فيه سلم من فضة ثم نزل إليه رجلا قال رسول الله صلّى

الله عليه وسلّم (**فأردت أن أستغيث فمنعت الكلام فقعد أحدهما إلي والآخر إلى جنبي فأدخل أحدهما يده في جنبي فنزع ضلعين منه فأدخل يده في جوفي وأنا أجد بردها فأخرج قلبي فوضعه على كفه فقال لصاحبه نعم القلب قلب رجل صالح ثم أدخل القلب مكانه ورد الضلعين ثم ارتفعا ورفعا سلمهما فاستيقظت فإذا السقف كما هو**) فذكرها لخديجة فقالت إن الله لا يفعل بك إلا خيرا ثم أنه خرج من عندها ورجع فأخبرها أن بطنه شق ثم طهر وغسل ثم أعيد إلى آخر ما تقدم وزاد فيه ففتح جبريل عينا من ماء فتوضأ ومحمد صلّى الله عليه وسلّم ينظر إليه فغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ومسح برأسه ورجليه إلى الكعبين ثم نضح فرجه وسجد سجدتين مواجهة البيت ففعل محمد كما رأى جبريل يفعل. قال البيهقي وما ذكر فيه من شق بطنه يحتمل أن يكون حكاية منه لما صنع به في صباه ويحتمل أن يكون شق مرة أخرى ثم مرة ثالثة حين عرج به إلى السماء. وأخرج البيهقي من طريق ابن إسحاق قال حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية السقفي عن بعض أهل العلم أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يخرج إلى حراء في كل عام شهرا من السنة يتنسك فيه حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به ما أراد من السنة التي بعث فيها وذلك الشهر رمضان خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كما كان يخرج حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها بالرسالة ورحم العباد به جاءه جبريل بأمر الله قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**فجاءني وأنا نائم فقال اقرأ قلت ما اقرأ فغطني حتى ظننت أنه الموت ثم كشفه عني فقال اقرأ قلت وما أقرأ فعاد لي بمثل ذلك ثم قال اقرأ قلت وما اقرأ فقال** (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**) إلى قوله (**مَا لَمْ يَعْلَمْ** * العلق:١-٥) **ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي فكأنما صوّر في قلبي كتاب ولم يكن في خلق الله أبغض إليّ من شاعر أو مجنون فكنت لا أطيق أنظر إليهما فقلت إن الأبعد يعني نفسه لشاعر أو مجنون ثم قلت لا تتحدث عني قريش بهذا أبدا لأعمدن إلى حالق من الجبال فلأطرحن نفسي منه فلأقتلنها فلأستريحن فخرجت ما أريد غير ذلك**

فبينا أنا عامد لذلك إذ سمعت مناديا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فرفعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وشغلني ذلك عما أريد فوقفت وما أقدر أن أتقدم ولا أتأخر وما أصرف وجهي في ناحية من السماء إلا رأيته فيها فما زلت واقفا حتى كاد النهار يتحول ثم انصرف عني وانصرفت راجعا إلى أهلي فجلست إليها فقالت أين كنت قلت إن الأبعد لشاعر أو مجنون قالت أعيذك بالله من ذلك ما كان الله ليفعل بك ذلك مع ما أعلم من صدق حديثك وعظم أمانتك وحسن خلقك وصلة رحمك فأخبرتها الخبر فقالت أبشر يا ابن عم واثبت له فإني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ثم انطلقت إلى ورقة فأخبرته فقال إن كنت صدقتني أنه لنبي هذه الأمة وأنه ليأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى).

وأخرج البيهقي من طريق ابن إسحاق حدثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى الزبير أنه حدث عن خديجة أنها قالت لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما تثبته يا ابن عم تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك قال نعم قالت إذا جاءك فأخبرني فبينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عندها إذ جاءه جبريل فقال يا خديجة هذا جبريل، قالت أتراه الآن قال نعم، قالت فاجلس بشقي الأيمن فتحول فجلس، قالت هل تراه الآن قال نعم قالت فاجلس في حجري فتحول فجلس، قالت هل تراه الآن قال نعم، فحسرت عن رأسها فألقت خمارها ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم جالس في حجرها قالت هل تراه الآن قال لا، قالت ما هذا شيطان إن هذا لملك يا ابن عم، اثبت وأبشر ثم آمنت به وشهدت أن الذي جاء به الحق.

قال ابن إسحاق فحدثت عبد الله بن الحسن بهذا الحديث فقال قد سمعت فاطمة بنت الحسين تحدث به عن خديجة إلا إني سمعتها تقول أدخلت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل وأخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم من وجه آخر عن أم سلمة عن خديجة رضي الله عنهما.

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لخديجة (**إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد والله خشيت أن يكون هذا أمرا**) فقالت معاذ الله ما كان الله ليفعل بك إلا خيرا فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث.

فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له وقالت له اذهب مع محمد إلى ورقة فانطلقا إليه فقصا عليه فقال إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي يا محمد، يا محمد فانطلق هاربا في الأرض فقال لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني فأخبرني فلما خلا ناداه قال يا محمد أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ثم قال (**قل بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) حتى بلغ (**وَلاَ الضَّالِّينَ**) ثم قال (**قل لا إله إلا الله**) فأتى ورقة فذكر ذلك له فقال له ورقة أبشر ثم أبشر فأنا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم وإنك على مثل ناموس موسى وإنك نبي وإنك سوف تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا وإن يدركني ذلك لأجاهدن معك. فلما توفي ورقة قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لقد رأيت القس عليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدقني يعني ورقة.

وروى البيهقي وأبو نعيم من وجه آخر عن أبي ميسرة أن النبي صلّى الله عليه وسلّم كان إذا برز سمع من يناديه يا محمد فإذا سمع الصوت انطلق هاربا فأسر ذلك إلى أبي بكر وكان نديما له في الجاهلية.

وأخرج أبو نعيم بسند موصول عن بريدة مثله. وأخرج أبو نعيم من طريق عروة عن عائشة قالت قال ورقة لما ذكرت له خديجة أن النبي صلّى الله عليه وسلّم ذكر لها جبريل سبوح سبوح وما لجبريل يذكر في هذه الأرض التي تعبد فيها الأوثان جبريل أمين الله بينه وبين رسله اذهبي به إلى المكان الذي رأى فيه ما رأى فإذا رآه فتحسري فإن يكن من عند الله لا يراه ففعلت، قالت فلما تحسرت تغيب جبريل فلم يره فرجعت فأخبرت ورقة فقال إنه ليأتيه الناموس الأكبر.

وأخرج الطيالسي والحارث بن أبي أسامة وأبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلّى الله عليه وسلّم نذر أن يعتكف شهرا بحراء فوافق ذلك شهر رمضان فخرج ذات ليلة فسمع السلام عليك، قال فظننتها فجأة الجن فجئت مسرعا حتى دخلت على خديجة فقالت ما شأنك فأخبرتها فقالت أبشر فإن السلام خير ثم خرجت مرة أخرى فإذا أنا بجبريل على الشمس جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب فمثلت منه فخشيت مسرعا فإذا هو بيني وبين الباب فكلمني حتى أنست به ثم وعدني موعدا فجئت له فأبطأ علي فأردت أن أرجع فإذا أنا به وبميكائيل قد سدا الأفق فهبط جبريل وبقي ميكائيل بين السماء والأرض فأخذني جبريل فألقاني لحلاوة القفا ثم شق عن قلبي فاستخرجه ثم استخرج منه ما شاء الله أن يستخرج ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم أعاده مكانه ثم لأمه ثم أكفأني كما يكفأ الإناء ثم ختم في ظهري حتى وجدت حس الخاتم في قلبي ثم أخذ بحلقي حتى أجهشت بالبكاء ثم قال اقرأ و لم أك قرأت كتابا قط فلم أقدر ثم قال اقرأ قلت ما أقرأ قال (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**) حتى انتهى إلى خمس آيات ثم وزنني برجل فوزنته ثم وزنني بآخر فوزنته حتى وزنت بمائة رجل فقال ميكائيل تبعته أمته ورب الكعبة فجعل لا يلقاني حجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله.

وأخرج أحمد وابن سعد وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال لخديجة إني أسمع صوتا وأرى ضوء فذكرت ذلك لورقة قال هذا ناموس مثل ناموس موسى فإن يبعث وأنا حي فسأعزره وانصره وأعينه.

وأخرج الطبراني وأبونعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال ورقة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم كيف يأتيك جبريل فقال يأتيني من السماء وجناحاه لؤلؤ وباطن قدميه أخضر. وأخرج أبونعيم عن عبد الله بن شداد قال قال ورقة لخديجة هل رأى زوجك صاحبه في خضر قالت نعم. قال فإن زوجك نبي وسيصيبه من أمته بلاء. وأخرج عمر بن شبة في كتاب المصاحف عن الزهري أن النبي صلّى الله عليه

وسلّم كان بحراء إذ أتى ملك بنمط من ديباج فيه مكتوب (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**) إلى (**مَا لَمْ يَعْلَمْ** * العلق: ١-٥). وأخرج عن عبيد بن عمير قال جاء جبريل إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم بنمط فقال اقرأ قال (**ما أنا بقارئ**) قال (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**).

أخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينما رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأجياد إذ رأى ملكا واضعا إحدى رجليه على الأخرى في أفق السماء يصيح يا محمد أنا جبريل فذعر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من ذلك وجعل يراه كلما رفع رأسه إلى السماء فرجع سريعا إلى خديجة فأخبرها خبره وقال والله يا خديجة ما أبغضت بغضي هذه الأصنام شيئا قط ولا الكهان وإني لأخشى أن أكون كاهنا قالت كلا لا تقل ذلك فإن الله لا يفعل ذلك بك أبدا فإنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وإن خلقك لكريم ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل وهي أول مرة أتته فأخبرته ما أخبرها به فقال والله إنه لصادق وإن هذا لبدء نبوته وإنه ليأتيه الناموس الأكبر فمريه أن لا يجعل في نفسه إلا خيرا.

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لما نزل عليه الوحي بحراء مكث أياما لا يرى جبريل فحزن حزنا شديدا حتى كان يغدو إلى ثبير مرة وإلى حراء مرة أخرى يريد أن يلقي نفسه منه فبينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كذلك عامدا لبعض تلك الجبال إذ سمع صوتا من السماء فرفع رأسه فإذا جبريل على كرسي بين السماء والأرض متربعا عليه يقول يا محمد أنت رسول الله حقا وأنا جبريل فانصرف وقد أقر الله عينه وربط جاشه ثم تتابع الوحي بعد وحمي. وأخرج الطبراني عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**كان جبريل يأتيني على صورة دحية الكلبي**) وكان دحية رجلا جميلا.

(رؤيته صلّى الله عليه وسلّم جبريل في صورته)

أخرج أحمد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لم ير جبريل في صورته إلا مرتين أما واحدة فإنه

سأله أن يريه نفسه فأراه نفسه فسد الأفق وأما الأخرى فليلة الإسراء عند السدرة.

وأخرج أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جبريل في صورته وله ستمائة جناح قد سد الأفق يسقط من جناحه التهاويل والدر والياقوت وما الله به عليم.

وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلّى الله عليه وسلّم لم ير جبريل في صورته التي خلق عليها إلا مرتين رآه منهبطا من السماء إلى الأرض سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض. وفي رواية أحمد عنها عليه ثياب سندس معلق به اللؤلؤ والياقوت. وأخرج أبو الشيخ عنها قالت قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لجبريل (**وددت إني رأيتك في صورتك فنشر جناحا من أجنحته فسد أفق السماء حتى ما يرى من السماء شيء**).

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**رأيت جبريل له ستمائة جناح من لؤلؤ قد نشرها مثل ريش الطواويس**).

وأخرج عن ابن مسعود قال رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جبريل في حلة خضراء قد ملأ ما بين السماء والأرض.

وأخرج أبو الشيخ عن شريح بن عبيد أن النبي صلّى الله عليه وسلّم لما صعد إلى السماء رأى جبريل في خلقه منظومة أجنحته من الزبرجد واللؤلؤ والياقوت قال (**فخيل إلي أن ما بين عينيه قد سد الأفق وكنت أراه قبل ذلك على صور مختلفة وأكثر ما كنت أراه على صورة دحية الكلبي وكنت أحيانا أراه كما يرى الرجل صاحبه من وراء غربال**).

(كيفية نزول الوحي عليه صلّى الله عليه وسلّم)

أخرج أحمد والترمذي والنسائي والحاكم والبيهقي وأبو نعيم بسند جيد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل وفي لفظ يسمع عند وجهه كدوي النحل.

وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كيف يأتيك الوحي قال (**أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول**). قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد عرقا.

وأخرج ابن سعد عن أبي سلمة رضي الله عنه أنه بلغه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يقول (**كان الوحي يأتيني على نحوين يأتيني به جبريل فيلقيه علي كما يلقى الرجل على الرجل فذاك يتفلت مني ويأتيني في شيء مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبي فذاك الذي لا يتفلت مني**).

وأخرج مسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد له وجهه.

وأخرج أبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا نزل عليه الوحي وجد ثقلا قال الله تعالى (**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً** * المزمل: ٥) وأخرج أبو نعيم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال كان إذا نزل الوحي على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثقل ذلك عليه وتحدر جبينه عرقا كأنه الجمان وإن كان في البرد. وأخرج الطبراني عن زيد بن ثابت قال كنت أكتب الوحي لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكان إذا نزل عليه أخذته برحاء شديدة وعرق عرقا شديدا مثل الجمان ثم سرّي عنه وكنت أكتب وهو يملى عليّ فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن حتى أقول لا أمشي على رجلي أبدا.

وأخرج أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا نزل عليه الوحي عرفوا ذلك في تربد جلده.

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا نزل عليه الوحي تربد لذلك وجهه وجسده وأمسك عنه أصحابه

ولم يكلمه أحد منهم. وأخرج أحمد والطبراني وأبو نعيم عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال قلت يا رسول الله هل تحس بالوحي قال (**نعم أسمع صلاصل ثم أثبت عند ذلك وما من مرة يوحى إلي إلا ظننت بأن نفسي تفيض منه**). وأخرج أبو نعيم عن العلتان بن عاصم رضي الله عنه قال كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا أنزل عليه الوحي دام بصره مفتوحة عيناه وفرغ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله.

وأخرج أبو نعيم عن يعلى بن أمية رضي الله عنه قال نظرت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يوحى إليه وله غطيط كغطيط البكر محمرة عيناه وجبينه.

وأخرج ابن سعد عن أبي أروى الدوسي رضي الله عنه قال رأيت الوحي يترل على النبي صلّى الله عليه وسلّم وأنه على راحلته فترغو وتثقل يداها حتى أظن أن ذراعيها تنقصمان فربما بركت وربما قامت مُوَتّدةً يديها حتى يسري عنه لثقل الوحي وأنه لينحدر منه مثل الجمان.

وأخرج أحمد والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت إن كان ليوحى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو على ناقته فتضرب بجرانها من ثقل ما يوحى إليه وإن كان جبينه لينطف بالعرق في اليوم الشاتي إذا أوحي إليه.

وأخرج ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا نزل عليه الوحي يغط في رأسه ويتربد في وجهه ويجد بردا في ثناياه ويعرق حتى ينحدر منه مثل الجمان.

وأخرج الطبراني عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا نزل عليه الوحي يكاد يغشى عليه.

وأخرج أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب وأبو نعيم عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت كنت آخذة بزمام ناقة النبي صلّى الله عليه وسلّم حتى إذا أنزلت عليه المائدة فكاد أن ينكسر عضدها من ثقل السورة.

وأخرج أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلّى الله

عليه وسلّم إذا نزل عليه الوحي صدع فيغلف رأسه بالحناء.

وأخرج ابن سعد عن عكرمة قال كان إذا أوحي إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقذ لذلك ساعة كهيئة السكران. وقذه النعاس بذال معجمة أي غلبه.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا أوحي إليه لم يستطع أحد منا يرفع طرفه إليه حتى ينقضي الوحي.

وأخرج أحمد وابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بفناء بيته بمكة جالس إذ مر به عثمان بن مظعون فكشر إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال له ألا تجلس قال بلى فجلس إليه فبينما هو يحدثه إذ شخص رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ببصره إلى السماء فنظر ساعة إلى السماء فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه في الأرض فتحرف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره فأخذ ينغض رأسه كأنه يستفقه ما يقال له وابن مظعون ينظر فلما قضى حاجته شخص بصر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى السماء كما شخص أول مرة فأتبعه بصره حتى توارى في السماء فأقبل إلى عثمان بجلسته الأولى فقال عثمان يا محمد ما رأيتك تفعل كفعلك بالغداة قال وما رأيتني فعلت فأخبره قال أو فطنت لذلك قال نعم قال أن جبريل أتاني آنفا قال فما قال لك قال (**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** * النحل: ٩٠) فذلك حين استقر الإيمان في قلبي وأحببت محمدا.

(محاربة الملائكة مع النبي صلّى الله عليه وسلّم في غزوة بدر)

أخرج مسلم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينما رجل من المسلمين يوم بدر يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه مستلقيا فنظر إليه فإذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فأخضر ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث

ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال (**صدقت فذلك من مدد السماء الثالثة**) فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين.

وأخرج الواقدي وابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال رأيت يوم بدر رجلين لا أعرفهما عن يمين النبي صلّى الله عليه وسلّم أحدهما وعن يساره أحدهما يقاتلان أشد القتال ثم ثلثهما ثالث من خلفه ثم ربعهما رابع أمامه.

وأخرج ابن إسحاق وابن جرير[١] والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل من بني غفار قال حضرت أنا وابن عم لي بدرا ونحن على شركنا فإنا لفي جبل ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة فننتهب فأقبلت سحابة فلما دنت من الجبل سمعنا فيها حمحمة الخيل وسمعنا فيها فارسا يقول أقدم حيزوم فأما صاحبي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه وأما أنا فكدت أهلك ثم انتعشت بعد ذلك.

وأخرج ابن إسحاق وابن راهويه في مسنده وابن جرير والبيهقي وأبو نعيم عن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه أنه قال بعد ما عمي لو كنت معكم ببدر الآن ومعي بصري لأخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أتمارى.

وأخرج البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما إن الله تعالى أنزل يوم بدر ألفا من الملائكة مردفين عند أكتاف العدو وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معتجر بعمامة صفراء آخذ بعنان فرسه بين السماء والأرض فلما نزل إلى الأرض تغيب عني ساعة ثم طلع على ثناياه النقع يقول أتاك نصر الله إذ دعوته**).

وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما إن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال يوم بدر (**هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب**).

وأخرج أبو يعلى والحاكم والبيهقي عن علي رضي الله عنه قال بينما أنا أميح من قليب بدر إذ جاءت ريح شديدة لم أر مثلها قط ثم ذهبت ثم جاءت ريح شديدة لم أر مثلها قط إلا التي كانت قبلها ثم جاءت ريح شديدة، قال فكانت الريح الأولى

---

(١) محمد بن جرير الطبري الشافعي توفي سنة ٣١٠ هـ. [٩٢٣ م.] في بغداد

جبريل عليه السلام نزل في ألف من الملائكة مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل في ألف من الملائكة عن يمين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكان أبو بكر عن يمينه وكانت الريح الثالثة إسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأنا بالميسرة.

وأخرج أحمد والبزار وأبو يعلى والحاكم وصححه والبيهقي عن علي رضي الله عنه قال قيل لي ولأبي بكر يوم بدر قيل لأحدنا معك جبريل وقيل للآخر معك ميكائيل وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل ويكون في الصف.

وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي وأبو نعيم عن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا يشير بسيفه إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه.

وأخرج ابن إسحاق والبيهقي عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال إني لأتبع يوم بدر رجلا من المشركين لأضربه فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أن غيري قد قتله. وأخرج ابن جرير وأبو نعيم عن أبي داود المازني مثله.

وأخرج أبو نعيم عن أبي دارة قال حدثني رجل من قومي من بني سعد بن بكر قال إني لمنهزم يوم بدر إذ أبصرت رجلا بين يدي منهزما فقلت ألحقه استأنس به فتدلى من جرف ولحقته فإذا رأسه قد زايله ساقطا وما رأيت قربه أحدا.

وأخرج ابن سعد عن عكرمة قال كان يومئذ تندر رأس الرجل لا يدري من ضربه وتندر يد الرجل لا يدري من ضربه.

وأخرج البيهقي عن الربيع بن أنس رضي الله عنه قال كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم بضرب فوق الأعناق وعلى البنان مثل سمة النار قد أحدق به. وأخرج ابن إسحاق والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت[١] سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها في ظهورهم ويوم حنين

---

(١) محمد بن إسحاق توفي سنة ١٥١ هـ. [٧٦٨ م.] في بغداد.

عمائم حمر ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددا ومددا لا يضربون.

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن سهيل بن عمرو قال لقد رأيت يوم بدر رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض معلمين يقتلون ويأسرون.

وأخرج ابن سعد عن حويطب بن عبد العزى رضي الله عنه قال لقد شهدت بدرا مع المشركين فرأيت عبرا رأيت الملائكة تقتل وتأسر بين السماء والأرض.

وأخرج الواقدي والبيهقي عن خارجة بن إبراهيم عن أبيه قال قال رسول صلّى الله عليه وسلّم لجبريل من القائل يوم بدر أقدم حيزوم فقال جبريل ما كل أهل السماء أعرف.

وأخرج الواقدي والبيهقي عن صهيب رضي الله عنه قال ما أدري كم يد مقطوعة أو ضربة جائفة لم يدم كلمهما يوم بدر وقد رأيتها.

وأخرج الواقدي والبيهقي عن أبي بردة بن نيار قال جئت يوم بدر بثلاثة رؤس فوضعتهن بين يدي النبي صلّى الله عليه وسلّم فقلت يا رسول الله أما رأسان فقتلتهما وأما الثالث فإني رأيت رجلا أبيض طويلا ضربه فأخذت رأسه فقال رسول صلّى الله عليه وسلّم (**ذاك فلان من الملائكة**).

وأخرج الواقدي والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان الملك يتصور في صورة من يعرفون من الناس يثبتوهم فيقول إني قد دنوت منهم فسمعتهم يقولون لو حملوا علينا ما ثبتنا ليسوا بشيء فذلك قوله تعالى (**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلاَئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا** * الأنفال: ١٢).

وأخرج الواقدي والبيهقي عن السائب ابن أبي حبيش رضي الله عنه أنه كان يقول والله ما أسرني في أحد، أحد من الناس فيقال فمن فيقول[١] لما انهزمت قريش

(١) عبد الملك بن هشام الحميري توفي سنة ٢١٨ هـ. [٨٣٣ م] في مصر.

انهزمت معها فيدركني رجل أبيض طويل على فرس أبيض بين السماء والأرض فأوثقني رباطا وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطا فنادى في العسكر من أسر هذا فليس يزعم أحد أنه أسرني حتى انتهي بي إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال لي من أسرك فقلت لا أعرفه وكرهت أن أخبره بالذي رأيت فقال أسرك ملك من الملائكة.

وأخرج الواقدي والحاكم والبيهقي عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بوادي خليص بجاد من السماء قد سد الأفق وإذا الوادي يسيل نملا فوقع في نفسي إن هذا شيء من السماء أيد به محمد صلّى الله عليه وسلّم فما كانت إلا الهزيمة وهي الملائكة.

وأخرج ابن راهويه والبيهقي وأبو نعيم بسند حسن عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الأسود أي الكساء من قبل السماء حتى وقع إلى الأرض فنظرت فإذا مثل النمل الأسود مبثوث حتى امتلأ الوادي فلم أشك أنها الملائكة فلم يكن إلا هزيمة القوم.

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن علي رضي الله عنه قال جاء رجل من الأنصار قصير برجل من بني هاشم ولفظ أبي نعيم بالعباس أسيرا يوم بدر فقال الرجل إن هذا والله ما أسرني لقد أسرني رجل أجلح من أحسن الناس وجها على فرس أبلق ما أراه في القوم فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**ذاك ملك كريم**).

وأخرج أحمد وابن سعد وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو وكان أبو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم= (**يا أبا اليسر كيف أسرت العباس**) قال يا رسول الله لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**لقد أعانك عليه ملك كريم**).

وأخرج ابن سعد عن محمود بن لبيد قال حدثنا عبيد بن أوس قال لما كان

يوم بدر أسرت عقيل بن أبي طالب ورجلا آخر فلما نظر إليهما رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (**أعانك عليهما ملك كريم**).

وأخرج ابن سعد عن عطية بن قيس رضي الله عنه قال لما فرغ النبي صلّى الله عليه وسلّم من قتال أهل بدر جاءه جبريل على فرس أنثى حمراء عليه درعه ومعه رمحه فقال يا محمد إن الله بعثني إليك وأمرني أن لا أفارقك حتى ترضى هل رضيت قال (**نعم رضيت**) فانصرف.

وأخرج أبو يعلى عن جابر رضي الله عنه قال كنا نصلي مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في غزوة بدر إذ تبسم في صلاته فلما قضى الصلاة قلنا يا رسول الله رأيناك تبسمت قال (**مر بي ميكائيل وعلى جناحه أثر الغبار وهو راجع من طلب القوم فضحك إلي فتبسمت إليه**).

وأخرج البيهقي وأبو نعيم من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب ومن طريق عروة أن ابن مسعود وجد أبا جهل مصروعا بينه وبين المعركة غير كثير مقنعا في الحديد واضعا سيفه على فخذيه ليس به جرح ولا يستطيع أن يحرك منه عضوا وهو منكب ينظر إلى الأرض فضربه من قفاه فوضع رأسه ثم سلبه فإذا هو ليس به جراح وأبصر في عنقه خدرا وفي يده وكتفيه كهيئة آثار السياط فأخبر بذلك النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال (**ذلك ضرب الملائكة**).

وأخرج ابن إسحاق وابن سعد وابن جرير والحاكم والبيهقي وأبو نعيم من طريقه حدثني الحسين بن عبد الله ابن عباس عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال حدثني أبو رافع قال كنا آل العباس قد دخلنا الإسلام وكنا نستخفي بإسلامنا وكنت غلاما للعباس فلما سارت قريش إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم بدر جعلنا نتوقع الأخبار فقدم علينا الجوسمان الخزاعي بالخبر فوجدنا في أنفسنا قوة وسرنا ما جاءنا من الخبر من ظهور رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فوالله إني لجالس في صفة زمزم وعندي أم الفضل إذ أقبل الخبيث أبو لهب بشر يجر رجليه قد

كبته الله وأخزاه بما جاءه من الخبر حتى جلس على طنب بالحجرة وقال له الناس هذا أبو سفيان بن حرب قد قدم واجتمع عليه الناس فقال أبو لهب هلم إلي فعندك الخبر فجاء حتى جلس فقال والله ما هو إلا إن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يضعون السلاح منا حيث شاؤا ومع ذلك والله ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق لا والله ما تبقي شيئا قال فرفعت طنب الحجرة فقلت تلك والله الملائكة وقام أبولهب يجز رجليه ذليلا ورماه الله بالعدسة فو الله ما مكث إلا سبعا حتى مات فلقد تركه ابناه في بيته ثلاثا ما يدفنانه حتى أنتن وكانت قريش تتقي العدسة كما تتقي الطاعون حتى قال لهما رجل من قريش ويحكما ألا تستحيان إن أباكما قد أنتن في بيته لا تدفنانه فقالا إنما نخشى عدوى هذه القرحة فقال انطلقا فإنا أعينكما عليه فوالله ما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه ثم احتملوه إلى أعلى مكة فأسندوه إلى جدار ثم رضموا عليه الحجارة.

(حضور الملائكة غزوة أحد)

أخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال رأيت يوم أحد عن يمين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أشد القتال ما رأيتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده يعني جبريل وميكائيل.

وأخرج البيهقي عن مجاهد[1] قال لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر. وقال مراده أنهم لم يقاتلوا يوم أحد عن القوم حين عصوا الرسول ولم يصبروا على ما أمرهم به. وقال الواقدي عن شيوخه في قوله تعالى (**بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا** * آل عمران: ١٢٥) الآية قال لم يصبروا وانكشفوا فلم يُمدوا أخرجه البيهقي.

وأخرج البيهقي عن عروة قال كان الله وعدهم على الصبر والتقوى أن يمدهم (**بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ**) وكان قد فعل فلما عصوا أمر الرسول وتركوا

([1]) إمام مجاهد صاحب التفسير توفي سنة ١٠٤ هـ. [٧٢٣ م.] في مكة المكرمة.

مصافهم وأرادوا الدنيا رفع عنهم مدد الملائكة. وأخرج ابن سعد من طريق الواقدي عن شيوخه قالوا لما انهزم المشركون انطلق الرماة ينتهبون فكثر عليهم المشركون فقتلوهم وانتقضت صفوف المسلمين واستدارت رحاهم وحالت الريح فصارت دبورا وكانت قبل ذلك صبا ونادى إبليس أن محمدا قتل واختلط المسلمون فصاروا يقتلون على غير شعار ويضرب بعضهم بعضا ما يشعرون به من العجلة والدهش وقتل مصعب بن عمير فأخذ اللواء ملك في صورة مصعب وحضرت الملائكة يومئذ و لم تقاتل.

وأخرج الطبراني وابن منده[1] وابن عساكر من طريق محمود بن لبيد قال قال الحارث بن الصمة سألني النبي صلّى الله عليه وسلّم يوم أحد وهو في الشعب عن عبد الرحمن بن عوف فقلت رأيته إلى جنب الجبل فقال إن الملائكة تقاتل معه. قال الحارث فرجعت إلى عبد الرحمن فأجد بين يديه سبعة صرعى فقلت ظفرت يمينك أكل هؤلاء قتلت، قال أما هذا وهذا فأنا قتلتهما وأما هؤلاء فقتلهم من لم أره فقلت صدق الله ورسوله.

وأخرج ابن سعد عن محمد بن شرحبيل العبدري قال حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى وهو يقول (**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ** * آل عمران: ١٤٤) الآية ثم قطعت يده اليسرى فانحنى على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول (**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ**) الآية ثم قتل فسقط اللواء. قال محمد ابن شرحبيل وما نزلت هذه الآية (**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ**) يومئذ حتى نزلت بعد ذلك.

وقال ابن سعد أنبأنا الواقدي حدثني الزبير بن سعيد النوفلي عن عبد الله بن الفضل بن العباس بن ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب قال أعطى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم أحد مصعب بن عمير اللواء فقتل مصعب فأخذه ملك في صورة مصعب فجعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول تقدم يا مصعب فالتفت إليه

([1]) ابن منده محمد بن إسحاق توفي سنة ٣٩٥ هـ. [١٠٠٥ م.]

الملك فقال لست بمصعب فعرف أنه ملك أيد به.

وقال ابن أبي شيبة[١] في المصنف حدثنا زيد بن حباب عن موسى بن عبيدة حدثني محمد بن ثابت أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (**يوم أحد أقدم مصعب**)، فقال له عبد الرحمن يا رسول الله ألم يقتل مصعب قال (**بلى ولكن ملك قام مكانه وتسمى باسمه**).

وأخرج الواقدي وابن عساكر عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه قال لقد رأيتني أرمى بالسهم يوم أحد فيرده علي رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه حتى كان بعد فظننت أنه ملك.

وأخرج ابن إسحاق والبيهقي وابن عساكر عن عبد الله بن عوف عن عمير ابن إسحاق قال لما كان يوم أحد انكشفوا عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسعد يرمي بين يديه وفتى ينبل له كلما ذهبت نبلة أتاه بها وقال ارم أبا إسحاق فلما فرغوا نظروا من الشاب فلم يروه ولم يعرف. وقال ابن إسحاق حدثني عاصم ابن عمر بن قتادة إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (**إن حنظلة لتغسله الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه**) فسئلت زوجته فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهائعة فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**لذلك غسلته الملائكة**) أخرجه البيهقي وأخرجه ابن سعد من طريق هشام بن عروة عن أبيه بلفظ (**إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن وصحاف الفضة**) قال أبو أسيد الساعدي فذهبنا فنظرنا إليه فإذا رأسه يقطر ماء وفيه أن امرأته قالت رأيت كأن السماء فرجت له فدخل فيها ثم أطبقت فقلت هذه الشهادة.

وأخرج أبو نعيم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن سعد بن معاذ لما مات بعد الخندق خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مسرعا فإنه لينقطع شسع الرجل فما يرجع ويسقط رداؤه فما يلوي عليه وما يعيج أحد على أحد فقالوا يا رسول الله إن

---

(١) ابن أبي شيبة عبد الله ابن محمد توفي ٢٣٥ هـ. [٨٥٠ م.]

كدت لتقطعنا قال (**خشيت أن تسبقنا الملائكة إلى غلسه كما سبقتنا إلى غسل حنظلة**). وهو حنظلة بن أبي عامر الأنصاري.

وأخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قتل حمزة جنبا فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**غسلته الملائكة**).

وأخرج ابن سعد عن الحسن قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**لقد رأيت الملائكة تغسل حمزة**).

وأخرج الشيخان عن جابر قال لما قتل أبي يوم أحد بكت عمتي فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**لا تبكيه فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه**).

(حضور الملائكة غزوة الخندق وبني قريظة)

أخرج ابن سعد عن سعيد بن جبير قال لما كان يوم الخندق أتى جبريل ومعه الريح فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين رأى جبريل (**ألا أبشروا ثلاثا**) فأرسل الله عليه ريحا فهتكت القباب وكفأت القدور ودفنت الرجال وقطعت الأوتاد فانطلقوا لا يلوي أحد على أحد وأنزل الله (**إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا** * الأحزاب: ٩).

وأخرج البيهقي عن مجاهد في قوله تعالى (**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا**) قال يعني ريح الصبا أرسلت على الأحزاب يوم الخندق حتى كفأت قدورهم على أفواهها ونزعت فساطيطهم حتى أظعنتهم (**وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا**) يعني الملائكة قال ولم تقاتل الملائكة يومئذ. وأخرج البيهقي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه لما أرسله النبي صلّى الله عليه وسلّم ليلا ليأتيه بخبر القوم قال فدخلت العسكر فإذا الناس في عسكرهم يقولون الرحيل الرحيل لا مقام لكم وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبرا فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم والريح تضربهم بها ثم رجعت فلما انتصف بي الطريق إذا أنا بنحو من عشرين فارسا معتمّين فقالوا خبر صاحبك إن الله كفاه القوم فرجعت وأنزل الله (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ**

عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا * الأحزاب: ٩)

وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت لما رجع النبي صلّى الله عليه وسلّم من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه فأخرج قال إلى أين قال ههنا وأشار إلى بني قريظة فخرج إليهم.

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال كأني أنظر إلى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم فركب جبريل حين سار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بني قريظة.

وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلّى الله عليه وسلّم كان عندها قالت فسلم علينا رجل ونحن في البيت فقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فزعا فقمت في أثره فإذا بدحية الكلبي فقال هذا جبريل يأمرني أن أذهب إلى بني قريظة فقال قد وضعتم السلاح لكنا لم نضع طلبنا المشركين حتى بلغنا حمراء الأسد وذلك حين رجعنا من الخندق وخرج النبي صلّى الله عليه وسلّم فمر بمجالس بينه وبين بني قريظة فقال هل مر بكم من أحد قالوا مر علينا دحية الكلبي على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم ليس ذلك بدحية ولكنه جبريل عليه السلام أرسل إلى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب.

وأخرج البيهقي وأبو نعيم[١] من وجه آخر عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سمع صوت رجل فوثب وثبة شديدة فخرج إليه فأتبعته أنظر فإذا هو متكئ على عرف برذونه وإذا هو دحية الكلبي وإذا هو معتم مرخ من عمامته بين كتفيه فلما دخل أخبرته قال أو رأيتيه قلت نعم قال (**ذاك جبريل أمرني أن أخرج إلى بني قريظة**).

وأخرج البيهقي من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب ومن طريق عروة قال بينما رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المغتسل يرجل رأسه قد رجل أحد شقيه أتاه جبريل على فرس عليه لأمته فخرج إليه فقال قد وضعت السلاح لكن نحن

---

(١) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الشافعي توفي سنة ٤٣٠ هـ. [١٠٣٩ م.]

لم نضعه منذ نزل بك العدو وما زلنا في طلبهم وإن الله أمرك بقتال بني قريظة وأنا عامد إليهم بمن معي من الملائكة لأزلزل بهم الحصون فاخرج بالناس فخرج فسألهم مر عليكم فارس آنفا قالوا مر علينا دحية الكلبي على فرس أبيض تحته نمط أو قطيفة حمراء من ديباج عليه الأمة قال (**ذلك جبريل وكان يشبه دحية**).

وأخرج أبو نعيم عن أم سلمة رضي الله عنها أنها رأت جبريل يوم بني قريظة عليه عمامة سوداء.

وأخرج ابن سعد عن الماجشون قال جاء جبريل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الأحزاب على فرس عليه عمامة سوداء قد أرخاها بين كتفيه على ثناياه الغبار وتحته قطيفة حمراء فقال أوضعت السلاح قبل أن نضعه إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة. وأخرج ابن سعد عن حميد بن هلال قال كان بين النبي صلّى الله عليه وسلّم وبين قريظة عهد فلما جاءت الأحزاب نقضوا العهد وظاهروا المشركين على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فبعث الله الريح والجنود فانطلقوا هاربين وبقي الآخرون في حصنهم فوضع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه السلاح فجاء جبريل إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فخرج إليه فقال ما وضعت السلاح بعد لنهض إلى بني قريظة فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**إن في أصحابي جهدا فلو أنظرتهم أياما**) فقال جبريل انهض إليهم لأدخلن فرسي هذا عليهم في حصونهم ثم لأضعضعنها فأدبر جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بني غنم من الأنصار وقد كان رمي سعد بن معاذ في أكحله فرقأ الجرح فدعا أن لا يميته الله حتى يشفي صدره من بني قريظة قال فأخذهم من الغم ما أخذهم فنزلوا على حكم سعد بن معاذ من بين الخلق فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم.

(حضور الملائكة غزوة المريسيع)

روى البيهقي وأبو نعيم عن الواقدي قال حدثني سعيد بن عبد الله بن أبي الأبيض عن أبيه عن جدته وهي مولاة جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها قالت

سمعت جويرية بنت الحارث تقول أتانا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ونحن على المريسيع فأسمع أبي يقول أتانا ما لا قبل لنا به قالت وكنت أرى من الناس والخيل والسلاح ما لا أصف من الكثرة فلما أسلمت وتزوجني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ورجعنا جعلت أنظر إلى المسلمين فليسوا كما كنت أرى فعرفت أنه رعب من الله يلقيه في المشركين وكان رجل منهم قد أسلم يقول لقد كنا نرى رجالا بيضا على خيل بلق ما كنا نراهم قبل ولا بعد.

(حضور الملائكة غزوة حنين)

أخرج مسدد في مسنده والبيهقي وابن عساكر عن عبد الرحمن مولى أم برثن قال حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لم يقوموا لنا حلب شاة أن كفتناهم فبينما نحن نسوقهم في أدبارهم إذ التقينا إلى صاحب البغلة البيضاء فإذا هو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فتلقتنا عنده رجال بيض حسان الوجوه قالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا أكتافنا وكانت إياها.

وأخرج البيهقي وأبو نعيم من طريق ابن إسحاق حدثني أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أنه حدث أن مالك بن عوف بعث عيونا فأتوه وقد تقطعت أوصالهم فقال ويلكم ما شأنكم فقالوا أتانا رجال بيض على خيل بلق فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى.

وأخرج ابن سعد من طريق الواقدي عن شيوخه قالوا لما انتهى النبي صلّى الله عليه وسلّم إلى حنين بعث مالك بن عوف ثلاثة نفر يأتونه بخبر أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فرجعوا إليه وقد تفرقت أوصالهم من الرعب وذلك ليلا قبل القتال. وأخرج ابن إسحاق والبيهقي وأبو نعيم عن جبير بن مطعم قال أنا لمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم حنين والناس يقتتلون إذ نظرت إلى مثل البجاد الأسود يهوي من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم فإذا نمل منثور قد ملأ الوادي فلم

يكن إلا هزيمة القوم فما كنا نشك أنها الملائكة.

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن مصعب بن شيبة بن عثمان الحجبي عن أبيه قال خرجت مع النبي صلّى الله عليه وسلّم يوم حنين والله ما خرجت إسلاما ولكني خرجت آنفا أن تظهر هوازن على قريش فوالله إني لواقف مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذ قلت يا نبي الله إني لأرى خيلا بلقا، قال **(يا شيبة إنه لا يراها إلا كافر)** قال فضرب بيده صدري فقال **(اللّهمّ اهد شيبة)** ففعل ذلك ثلاثا فما رفع النبي صلّى الله عليه وسلّم يده عن صدري الثالثة حتى ما أجد من خلق الله أحب إليّ منه. قال فالتقى المسلمون فقتل من قتل ثم أقبل النبي صلّى الله عليه وسلّم وعمر آخذ باللجام والعباس آخذ بالغرز فنادى العباس أين المهاجرون أين أصحاب سورة البقرة بصوت عال هذا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأقبل الناس والنبي صلّى الله عليه وسلّم يقول قدماها:

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

فأقبل المسلمون فاصطكوا بالسيوف فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم **(الآن حمي الوطيس)**. وأخرج الطبراني وأبو نعيم عن أبي طلحة رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في غزاة فلقي العدو فسمعته يقول **(يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين)** فلقد رأيت الرجال تصرع تضربها الملائكة من بين يديها ومن خلفها.

(رؤية أصحابه صلّى الله عليه وسلّم الملائكة غير ما تقدم)

أخرج ابن إسحاق قال لما بايعوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالعقبة صرخ صارخ في الجبل وهو إبليس يا معشر قريش إن كان لكم في محمد حاجة فأتوه في مكان كذا وكذا من الجبل. قد حالفه الذين يسكنون يثرب فنزل جبريل فلم يبصره أحد من القوم غير حارثة بن النعمان، قال بعد ما فرغوا يا نبي الله لقد رأيت رجلا عليه ثياب بيض أنكرته قائما على يمينك قال صلّى الله عليه وسلّم **(وقد رأيته)** قال

نعم، قال (**رأيت خيرا ذاك جبريل**).

وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما أخذ صلّى الله عليه وسلّم النقباء قال (**لا يجدن امرؤ في نفسه شيئا أنا آخذ من أشار إليه جبريل**).

وأخرج ابن سعد والبيهقي عن عمار بن أبي عمار أن حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه قال يا رسول الله أرني جبريل في صورته، قال (**إنك لا تستطيع أن تراه**)، قال بلى فأرنيه، قال (**اقعد**) فقعد فنزل جبريل على خشبة كانت في الكعبة يلقي المشركون عليها ثيابهم إذا طافوا، فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**ارفع طرفك فانظر**) فرفع طرفه فرأى قدميه مثل الزبرجد الأخضر فخر مغشيا عليه. حديث مرسل.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب المصاحف عن أبي جعفر قال كان أبو بكر يسمع مناجاة جبريل للنبي صلّى الله عليه وسلّم ولا يراه.

وأخرج الشيخان من طريق أبي عثمان النهدي قال نبئت أن جبريل أتى النبي صلّى الله عليه وسلّم وعنده أم سلمة فجعل يتحدث ثم قال فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم من هذا قالت هذا دحية الكلبي قالت ما حسبته إلا إياه، حتى سمعت خطبة النبي صلّى الله عليه وسلّم بخبر جبريل. قال راويه قلت لأبي عثمان ممن سمعت هذا قال من أسامة.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يوما بارزا للناس فأتاه رجل فقال ما الإيمان قال (**أن تؤمن بالله وملائكته وبكتابه ورسله وتؤمن بالبعث**). قال ما الإسلام قال (**أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان**)، قال ما الإحسان قال (**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**). قال متى الساعة قال (**ما المسؤول بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها إذا ولدت الأمة ربتها وإذا تطاول رعاء الإبل البهم في البنيان في خمس لا يعلمهن إلاّ الله ثم أدبر**). فقال ردوه فلم يروا شيئا، قال (**هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم**).

وأخرج أبو موسى المديني عن تميم بن سلمة رضي الله عنه قال بينا أنا عند النبي صلّى الله عليه وسلّم إذ انصرف من عنده رجل فنظرت إليه موليا معتما بعمامة قد أرسلها من ورائه قلت يا رسول الله من هذا قال (**هذا جبريل**).

وأخرج أحمد والطبراني والبيهقي بسند صحيح عن حارثة بن النعمان رضي الله عنه قال مررت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومعه جبريل فسلمت عليه ومررت فلما رجعت وانصرف النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**هل رأيت الذي كان معي**) قلت نعم، قال فإنه جبريل وقد رد عليك السلام.

وأخرج ابن شاهين عن القاسم بن حارثة رضي الله عنه أنه أتى النبي صلّى الله عليه وسلّم وهو يناجي رجلا فجلس ولم يسلم فقال جبريل أما إنه لو سلم لرددنا عليه. وأخرج ابن سعد عن حارثة قال رأيت جبريل من الدهر مرتين. وأخرج ابن سعد والطبراني عن محمد ابن عثمان عن أبيه أن حارثة بن عثمان كف بصره.

وأخرج أحمد والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت مع أبي عند رسول صلّى الله عليه وسلّم وعنده رجل يناجيه فكان كالمعرض عن أبي فخرجنا فقال لي أبي يا نبي ألم تر إلى ابن عمك كالمعرض عني قلت يا أبت إنه كان عنده رجل يناجيه فرجع فقال يا رسول الله قلت لعبد الله كذا وكذا فقال إنه كان عندك رجل يناجيك فهل كان عندك أحد قال (**وهل رأيته يا عبد الله**) قلت نعم، قال (**ذاك جبريل هو الذي كان يشغلني عنك**).

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رأيت جبريل مرتين ودعا لي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مرتين.

وأخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال لي النبي صلّى الله عليه وسلّم (**لما رأيت جبريل لم يره خلق إلا عمي إلا أن يكون نبيا ولكن دعوت الله أن يجعل ذلك في آخر عمرك**).

وأخرج البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال دعا رسول الله صلّى الله

عليه وسلّم رجل من الأنصار فلما دنا من مترله سمعه يتكلم في الداخل فلما دخل لم ير أحدا فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم **(من كنت تكلم)** قال يا رسول الله دخل علي داخل ما رأيت رجلا قط بعدك أكرم مجلسا ولا أحسن حديثا منه، قال **(ذاك جبريل وإن منكم لرجالا لو أن أحدهم يقسم على الله لأبره)**.

وأخرج الطبراني والبيهقي عن محمد بن مسلمة رضي الله عنه قال مررت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم واضعا خده على خد رجل فلم أسلم ثم رجعت فقال لي **(ما منعك أن تسلم)** قلت يا رسول الله رأيتك فعلت بهذا الرجل شيئا ما فعلته بأحد من الناس فكرهت أن أقطع عليك حديثك فمن كان يا رسول الله قال **(جبريل)**.

وأخرج الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت رأيت جبريل واقفا في حجرتي هذه ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم يناجيه فقلت يا رسول الله من هذا قال **(بمن شبهته)**، فقلت بدحية، قال **(لقد رأيت جبريل)** قالت فما لبثت إلا يسيرا حتى قال **(يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام)** قلت وعليه السلام جزاه الله من دخيل خيرا.

وأخرج ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن محمد بن المنكدر قال دخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على أبي بكر فرآه ثقيلا فخرج من عنده فدخل على عائشة فإنه ليخبرها بوجع أبي بكر إذ دخل أبوبكر يستأذن فقالت عائشة أبي فدخل فجعل النبي صلّى الله عليه وسلّم يتعجب لما عجل الله له من العافية، فقال ما هو إلا أن خرجت من عندي بغفوة فأتاني جبريل عليه السلام فسعطني سعطة فقمت وقد برأت.

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن حذيفة بن اليمان قال صلى بنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثم خرج فتبعته فإذا عارض قد عرض له فقال لي **(يا حذيفة هل رأيت العارض الذي عرض لي)** قلت نعم، قال **(ذاك ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قبلها استأذن فسلم علي وبشرني بالحسن والحسين أنهما سيدا شباب أهل الجنة أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة)**.

وأخرج مسلم عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال إن الملائكة كانت تسلم علي فلما اكتويت انقطع عني فلما تركت عاد إلي.

وأخرج الترمذي في التاريخ والبيهقي وأبو نعيم عن غزالة قالت كان عمران ابن حصين يأمرنا أن نكنس الدار ونسمع السلام عليكم، السلام عليكم ولا نرى أحدا. قال الترمذي هذا تسليم الملائكة.

وأخرج أبو نعيم عن يحيى بن سعيد القطان قال ما قدم علينا البصرة من الصحابة أفضل من عمران بن حصين أتت عليه ثلاثون سنة تسلم عليه الملائكة من جوانب بيته. وأخرج ابن سعد عن قتادة أن الملائكة كانت تصافح عمران بن حصين حتى اكتوى فتنحت.

وأخرج الشيخان عن البراء رضي الله عنه قال كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط فتغشته سحابة فجعلت تدنوا وجعل فرسه ينفر فلما أصبح أتى النبي صلّى الله عليه وسلّم فذكر له فقال (**تلك السكينة نزلت للقرآن**).

وأخرج ابن عساكر عن سعد بن مسعود أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان في مجلس فرفع نظره إلى السماء ثم طأطأ بنظره ثم رفعه فسئل عن ذلك فقال (**إن هؤلاء القوم كانوا يذكرون الله فنزلت عليهم السكينة تحملها الملائكة كالقبة فلما دنت منهم تكلم رجل منهم بباطل فرفعت عنهم**) مرسل.

وأخرج الشيخان عن أسيد ابن حضير رضي الله عنه قال بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة إذ جالت الفرس فسكت فسكنت ثم قرأ فجالت فسكت فسكنت فرفع رأسه إلى السماء فإذا هو بمثل الظلة فيها أمثال المصابيح عرجت إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بذلك فقال (**تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبح الناس ينظرون إليها لا تتوارى منهم**) وهذا الحديث له طرق عن أسيد وفي بعضها قال صلّى الله عليه وسلّم (**اقرأ أسيد فقد أوتيت من مزامير آل داود**) وكان حسن الصوت. أخرجه أبو نعيم.

وأخرج أبو نعيم أيضا من طريق عاصم عن زر وأبي وائل قالا قال أسيد بن حضير كنت أصلي إذ جاءني شيء فأظلني ثم ارتفع فغدوت على النبي صلّى الله عليه وسلّم فأخبرته فقال (**تلك السكينة نزلت تسمع القرآن**).

وأخرج أبو عبيد في فضائل القرآن عن محمد بن جرير بن يزيد أن أشياخ أهل المدينة حدثوه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قيل له ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم تزل داره البارحة تزهر فيها مصابيح قال صلّى الله عليه وسلّم (**فلعله قرأ سورة البقرة**) فسئل ثابت فقال قرأت سورة البقرة.

وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في سفر ففقدته ليلة فانطلقت أطلبه فإذا معاذ بن جبل وعبد الله بن قيس قائمان قلت أين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قالا لا ندري غير أنا سمعنا صوتا في أعلى الوادي فإذا مثل هزيز الرحى وأتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال (**إنه أتاني آت من ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة**).

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الذكر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال أبيّ بن كعب لأدخلن المسجد فلأصلينّ ولأحمدنّ الله بمحامد لم يحمده بها أحد فلما صلى وجلس ليحمد الله ويثني عليه إذا صوت عال من خلفه يقول اللّهمّ لك الحمد كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله علانيته وسره، إنك على كل شيء قدير، اغفر لي ما مضى من ذنوبي، واعصمني فيما بقي من عمري، وارزقني أعمالا زاكية ترضى بها عني وتب علي. فأتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقص عليه فقال (**ذاك جبريل عليه السلام**).

وأخرج البخاري والبيهقي عن النعمان بن بشير قال أغمي على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته تبكي عليه وتقول وا جبلاه وا كذا وا كذا فقال ابن رواحة حين أفاق ما قلت لي شيئا إلا وقد قيل لي أأنت كذلك.

وأخرج ابن سعد عن أبي عمران الجوني أن عبد الله بن رواحة أغمي عليه فأتاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال اللّهمّ إن كان حضر أجله فيسر عليه وإن لم يكن حضر أجله فاشفه فوجد خفة فقال يا رسول الله أمي تقول وا جبلاه وا ظهراه وملك قد رفع مرزبة من حديد يقول أنت كذا فلو قلت نعم لَقَمَعَنِي بها. وأخرج الطبراني عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال أغمي على عبد الله بن رواحة فقامت الناعية فدخل عليه النبي صلّى الله عليه وسلّم وأفاق فقال يا رسول الله أغمي علي فصاحت النساء وا عزاه وا جبلاه فقام ملك معه مرزبة فجعلها بين رجلي فقال أأنت كما تقول قلت لا ولو قلت نعم ضربني بها.

وأخرج الطبراني عن الحسن البصري[١] أن معاذ بن جبل أغمي عليه فجعلت أخته تقول وا جبلاه فلما أفاق قال ما زلت مؤذية منذ اليوم قالت لقد كان يعز علي أن أوذيك قال ما زال ملك شديد الانتهار كلما قلت وا كذا قال أكذلك أنت فأقول لا.

وأخرج ابن أبي الدنيا والحاكم والبيهقي عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أن عبد الرحمن بن عوف مرض مرضا فأغمي عليه حتى ظنوا أنه قد فاضت نفسه حتى قاموا من عنده وجللوه ثوبا ثم أفاق فقال أتاني ملكان فظان غليظان فقالاانطلق بنا نحاكمك إلى العزيز الأمين فذهبا بي فلقيهما ملكان هما أرق منهما وأرحم فقالا أين تذهبان به قالا نحاكمه إلى العزيز الأمين قالا دعاه فإنه ممن سبقت له السعادة وهو في بطن أمه وعاش بعد ذلك شهرا ثم توفي.

وأخرج ابن أبي الدنيا والطبراني وابن عساكر عن العرباض بن سارية رضي الله عنه وكان شيخا من أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم وكان يحب أن يقبض فكان يدعو اللّهمّ كبر سني ووهن عظمي فاقبضني إليك قال فبينا أنا يوما في مسجد دمشق وأنا أصلي وادعو أن أقبض إذا أنا بفتى شاب من أجمل الرجال وعليه دواج

---

(١) الحسن البصري سيد التابعين توفي سنة ١١٠ هـ. في البصرة.

أخضر فقال ما هذا الذي تدعو به قلت وكيف ادعو يا ابن أخي قال قل اللّهمّ حسن العمل وبلغ الأجل، قلت من أنت يرحمك الله قال أنا رتائيل الذي يسل الحزن من صدور المؤمنين ثم التفت فلم أر أحدا. والدواج اللحاف الذي يلبس بوزن رمان وغراب قاله في القاموس.

(الفصل الثالث) في معجزات انشقاق القمر ورد الشمس والرمي بالشهب وفيه إسلام الجن وأخبارهم

أما انشقاق القمر فهو من أمهات معجزاته وبينات آياته وأظهر دلائل نبوته وأبهر سواطع حجته صلّى الله عليه وسلّم قال الله تعالى (**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ** * القمر: ٢) أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ ماض وإعراض الكفرة عن آياته وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه قاله القاضي عياض في الشفاء وروى بسنده إلى البخاري إلى ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال عليه الصلاة والسلام (**اشهدوا**) وفي تفسير الخطيب روى أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقالت قريش سحركم ابن أبي كبشة فسلوا السفار فسألوهم فقالوا نعم قد رأيناه فأنزل الله تعالى (**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**) الآية قال وانشق القمر في الآية ماض على حقيقته وهو قول عامة المفسرين إلا من لا يلتفت إلى قوله وقد صح في الأخبار أن القمر انشق على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مرتين. وقال مقاتل انشق القمر ثم التأم بعد ذلك وعن حذيفة أنه خطب بالمدائن ثم قال ألا إن الساعة قد اقتربت وأن القمر قد انشق على عهد نبيكم انتهى ملخصا.

وقال في المواهب اعلم أن القمر لم ينشق لأحد غير نبينا صلّى الله عليه وسلّم وهو من أمهات معجزاته عليه الصلاة والسلام وقد أجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه لأجله صلّى الله عليه وسلّم فإن كفار قريش لما كذبوه و لم يصدقوه طلبوا منه

آية تدل على صدقه في دعواه فأعطاه الله تعالى هذه الآية العظيمة التي لا قدرة لبشر على إيجادها دلالة على صدقه عليه الصلاة والسلام في دعواه الوحدانية لله تعالى وأنه منفرد بالربوبية وأن هذه الآلهة التي يعبدونها باطلة لا تنفع ولا تضر وأن العبادة لا تكون إلاّ لله وحده لا شريك له.

قال الخطابي انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعد لها شيء من آيات الأنبياء وذلك أنه ظهر في ملكوت السماوات خارجا عن جملة طباع ما في العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر انتهى.

وقال ابن عبد البر قد روى هذا الحديث يعني حديث انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الجم الغفير إلى أن انتهى إلينا وتأيد بالآية الكريمة انتهى.

وقال العلامة ابن السبكي في شرحه لمختصر ابن الحاجب والصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق من حديث شعبة عن سليمان عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود ثم قال وله طرق شتى بحيث لا يتمرى في تواتره انتهى.

وقد جاءت أحاديث الانشقاق في رواية صحيحة عن جماعة من الصحابة منهم أنس وابن مسعود وابن عباس وعلي وحذيفة وجبير بن مطعم وابن عمر وغيرهم ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما.

ومن حديث ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**اشهدوا**) وفي الترمذي من حديث ابن عمر في قوله تعالى (**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ** * القمر: ١) قال قد كان على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انشق فلقتين فلقة دون الجبل وفلقة فوق الجبل فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**اشهدوا**).

وعن الإمام أحمد من حديث جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا سحرنا محمد فقالوا إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس.

وعن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال كفار قريش هذا سحر ابن أبي كبشة قال قالوا انظروا ما يأتيكم به السفار فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، قال فجاء السفار فأخبروهم بذلك. رواه أبوداود الطيالسي ورواه البيهقي بلفظ انشق القمر بمكة فقالوا سحركم ابن أبي كبشة فاسألوا السفار فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق وإن لم يكونوا رأوا ما رأيتم فهو سحر فسألوا السفار وقد قدموا من كل وجه فقالوا رأيناه.

وعند أبي نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال اجتمع المشركون إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاصي بن وائل والأسود بن المطلب والنضر بن الحارث ونظراؤهم فقالوا للنبي صلّى الله عليه وسلّم إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فسأل ربه فانشق. وقد وقع في رواية البخاري من حديث ابن مسعود ونحن بمنى.

قال أبو إسحاق الزجاج في معاني القرآن أنكر بعض المبتدعة انشقاق القمر ولا إنكار للعقل فيه لأن القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشاء كما يكوره يوم القيامة ويفنيه انتهى. وما يذكره بعض القصاص من أن القمر دخل في جيب النبي صلّى الله عليه وسلّم وخرج من كمه فليس له أصل انتهى مخلصا.

قال في الشفاء ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول بأنه لو كان هذا لم يخف على أهل الأرض إذ هو شيء ظاهر لجميعهم لأنه لم ينقل لنا عن أهل الأرض أنهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل إلينا عمن لا يجوز توافقهم لكثرتهم على الكذب لما كان علينا به حجة إذ ليس القمر في حد واحد لجميع أهل الأرض فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من

مقابليهم من أقطار الأرض أو يحول بين قوم وبينه سحاب أو جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها إلا المدعون لعلمها (**ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** * الأنعام: ٩٦) وآية القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدوء والسكون وإيجاف الأبواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيئا إلا من رصد ذلك واعتنى به ولذلك يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد وأكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشهدونها من أنوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الأحيان بالليل في السماء ولا علم عند أحد منها. وفي شرح الهمزية لابن حجر أن ذلك كان قبل الهجرة بنحو خمس سنين.

وأما رد الشمس له صلّى الله عليه وسلّم فهو ثابت وقد رواه ونقله الأئمة في كتبهم. قال في المواهب أما رد الشمس له صلّى الله عليه وسلّم فروي عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها أن النبي صلّى الله عليه وسلّم كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي رضي الله عنه فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**أصليت يا علي**) قال لا، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**اللّهمّ إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس**) قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ووقعت على الجبال والأرض وذلك في الصهباء في خيبر رواه الطحاوي. وقال الطحاوي أن أحمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لأنه من علامات النبوة انتهى. وصحح هذا الحديث الطحاوي والقاضي عياض وأخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس وابن مردويه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه الطبراني في معجمه الكبير بإسناد حسن عن أسماء رضي الله عنها ولفظه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صلى الظهر بالصهباء ثم أرسل عليا في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلّى الله عليه وسلّم العصر فوضع صلّى الله عليه وسلّم رأسه في حجر علي ونام فلم

يحركه حتى غابت الشمس فقال عليه الصلاة والسلام (**اللّهمّ إن عبدك عليا احتبس بنفسه على نبيك فرد عليه الشمس**) قالت أسماء فطلعت عليه الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الأرض وقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم غابت وذلك بالصهباء.

وروى الطبراني في معجمه الأوسط بإسناد حسن عن جابر أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار.

وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي عن ابن إسحاق مما ذكره القاضي عياض لما أسري بالنبي صلّى الله عليه وسلّم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجئ قال يوم الأربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون وقد ولى النهار ولم تجيء فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس.

وكذلك روى حبس الشمس لنبينا صلّى الله عليه وسلّم يوم الخندق حين شغل عن صلاة العصر فيكون حبس الشمس مخصوصا بنبينا صلّى الله عليه وسلّم وبيوشع عليه السلام كما ذكره القاضي عياض ونقله عنه النووي والحافظ ابن حجر والحافظ مغلطاي وأقروه انتهى ملخصا.

وأما رمي الشياطين بالشهب عند مبعثه صلّى الله عليه وسلّم فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره وذكره كثير من العلماء قال الإمام البوصيري في الهمزية:

بعث الله عند مبعثه الشهـــ * ـــب حراسا وضاق عنها الفضاء

تطرد الجن عن مقاعد للسمـــ * ـــع كما تطرد الذئاب الرعاء

فمحت آية الكهانة آيا * ت من الوحي ما لهن امحاء

قال شارحها الإمام ابن حجر وأصل هذا قوله تعالى (**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ**) إلى قوله (**فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا** * الجن: ١-٩) فلما سمع الجن ذلك عرفوا الحق فآمنوا ثم ولوا إلى قومهم منذرين قائلين ما حكاه الله

تعالى عنهم في أواخر سورة الأحقاف ويوافق هذا ما رواه أهل السير أنهم لما حيل بينهم وبين خبر السماء قالوا إن ذلك لأمر حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها وانظروا ما حال بينكم وبين خبر السماء فخرجت طائفة منهم من جن نصيبين فوجدوا النبي صلّى الله عليه وسلّم بنخلة قرية على ليلة من مكة مع أصحابه يصلي الصبح وهو يقرأ فاستمعوا له ثم قالوا هذا هو الذي حال بينكم وبين خبر السماء فأسلموا وولوا إلى قومهم منذرين وفي ذلك نزل (**قُلْ أُوحِيَ**) الآيات (**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ** * الأحقاف: ٢٩) الآية.

قال الحافظ ابن كثير ذكر ابن إسحاق أنه صلّى الله عليه وسلّم خرج إلى أهل الطائف يدعوهم إلى الإسلام وأنه انصرف عنهم فبات بنخلة يقرأ تلك الليلة فاستمع جن نصيبين وهي مدينة بالشام وما ذكره صحيح إلا قوله إن استماع الجن كان تلك الليلة ففيه نظر فإن استماعهم إنما كان في ابتداء البعثة كما يدل له حديث ابن عباس عند أحمد كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما يسمعونه حقا وما زادوه باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث صلّى الله عليه وسلّم كان أحدهم لا يأتي مقعده إلا رمي بشهاب يحرق ما أصاب منه فشكوا ذلك إلى إبليس فقال ما هذا إلا لأمر أمر أي عظيم قد حدث فبعث جنوده فإذا بالنبي صلّى الله عليه وسلّم يصلي بين جبلي نخلة فأخبروه فقال هذا الحديث الذي حدث في الأرض. ورواه النسائي وصححه الترمذي.

قال ابن كثير وأما خروجه صلّى الله عليه وسلّم إلى الطائف فإنما كان بعد موت عمه أبي طالب وروى ابن أبي شيبة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنهم هبطوا عليه صلّى الله عليه وسلّم وهو ببطن نخلة يقرأ القرآن فلما سمعوه قالوا انصتوا فأنزل الله عز وجل (**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ**) الآية فهذا مع رواية ابن عباس يقتضي أنه صلّى الله عليه وسلّم لم يشعر بحضورهم في هذه المرة وإنما استمعوا قراءته صلّى الله عليه وسلّم ثم رجعوا إلى قومهم منذرين ثم بعد ذلك وفدوا إليه إرسالا

قوما بعد قوم انتهى. وصح أن الذي آذنه صلّى الله عليه وسلّم بهم لما وفدوا إليه شجرة وأنهم سألوه الزاد فقال لهم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يد أحدكم أوفر ما يكون لحما وكل بعر علف لدوابكم وفيه رد على من زعم أن الجن لا تأكل ولا تشرب انتهى كلام ابن حجر.

وقال في المواهب اللدنية عند ذكره خصائص النبي صلّى الله عليه وسلّم ومنها انقطاع الكهانة عند مبعثه. وحراسة السماء من استراق السمع والرمي بالشهب. قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السماوات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها فيلقون على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سماوات فلما ولد محمد صلّى الله عليه وسلّم منعوا من السموات كلها فما منهم أحد يريد استراق السمع إلا رمي بشهاب. وهو الشعلة من النار فلا يخطئ أبدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل الناس في البراري. وهذا لم يكن ظاهرا قبل مبعث النبي صلّى الله عليه وسلّم ولم يذكره أحد قبل زمانه وإنما ظهر في بدء أمره وكان ذلك أساسا لنبوته.

وقال معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم، قلت أفرأيت قوله (**وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ** * الجن: ٩) قال غلظت وشدد أمرها حين بعث محمد صلّى الله عليه وسلّم وقال ابن قتيبة أن الرجم كان قبل مبعثه صلّى الله عليه وسلّم ولكن لم تكن شدة الحراسة إلا بعد مبعثه صلّى الله عليه وسلّم وقيل أن النجم كان ينقض ويرمى الشياطين ثم يعود إلى مكانه ذكره البغوي.

وقد رأيت من المناسب أن أذكر هنا ما يتعلق في الجن من الآيات الدالة على نبوته صلّى الله عليه وسلّم من إسلامهم ورؤية أصحابه لهم وغير ذلك مما يناسب هذا المقام من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام.

(إسلام الجن ورؤية الصحابة لهم)

قال تعالى (**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ** * الأحقاف: ٢٩) الآيات وقال

تعالى (**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ** * الجن: ١) أخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال انطلق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو بنخلة وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك حين رجعوا إلى قومهم قالوا يا قومنا (**إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا** * الجن: ٢). وأخرج الشيخان عن مسروق قال سألت ابن مسعود من آذن النبي صلّى الله عليه وسلّم بالجن ليلة استمعوا القرآن قال آذنته بهم شجرة. وأخرج مسلم وأحمد والترمذي عن علقمة قال قلت لابن مسعود هل صحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليلة الجن منكم أحد قال ما صحبه منا أحد ولكنا فقدناه ذات ليلة بمكة فقلنا اغتيل استطير ما فعل قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما كان في وجه الصبح إذا نحن به يجيء من قبل حراء فأخبرناه فقال إنه أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم.

وأخرج ابن جرير والحاكم وصححه والبيهقي وأبو نعيم من طريق أبي عثمان الخزاعي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لأصحابه وهو بمكة (**من أحب منكم أن يحضر الليلة أمر الجن فليفعل**) فلم يحضر منهم أحد غيري فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة خط لي برجله خطا ثم أمرني أن أجلس فيه ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته ثم انطلقوا فطفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط وفرغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مع الفجر فانطلق فبرز ثم أتاني

فقال (**ما فعل الرهط**) قلت هم أولئك يا رسول الله فأخذ عظما وروثا فأعطاهم إياه ثم (**نهى أن يستطيب أحد بعظم أو بروث**).

وأخرج البيهقي وأبو نعيم من طريق عُلَي بن رباح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال استتبعنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال إن نفرا من الجن خمسة عشر بني إخوة وبني عم يأتوني الليلة فاقرأ عليهم القرآن فانطلقت معه إلى المكان الذي أراد فخط لي خطا فأجلسني فيه وقال لي (**لا تخرج من هذا**) فثبت فيه حتى أتاني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مع السحر فلما أصبحت قلت لأعلمن حيث كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فذهبت فرأيت موضع مبرك ستين بعيرا.

وأخرج البيهقي من طريق أبي الجوزاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انطلقت مع النبي صلّى الله عليه وسلّم ليلة الجن حتى الحجون فخط عليّ خطا ثم تقدم إليهم فازدحموا عليه فقال سيد لهم يقال له وردان إني أنا أرحلهم عنك فقال إنه لن يجيرني من الله أحد.

وأخرج البيهقي عن أبي عثمان الهندي أن ابن مسعود أبصر زُطا في بعض الطريق فقال ما هؤلاء قالوا هؤلاء الزط قال ما رأيت شبههم إلا الجن ليلة الجن وكانوا مستفزين يتبع بعضهم بعضا.

وأخرج الطبراني وأبو نعيم من طريق أبي زيد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال بينما نحن مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بمكة وهو في نفر من أصحابه إذ قال (**ليقم منكم معي رجل ولا يقومن رجل في قلبه من الغش مثقال ذرة**) فقمت معه وأخذت إداوة ولا أحسبها إلا ماء فخرجت معه حتى إذا كنا بأعلى مكة رأيت أسودة مجتمعة فخط رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خطا ثم قال (**قم ههنا حتى آتيك**) فقمت ومضى إليهم فرأيتهم يتثورون إليه فسمر معهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم طويلا حتى جاءني مع الفجر فقال (**ما زلت قائما**) قال ابن مسعود قلت أو لم تقل لي قم حتى آتيك ثم قال لي هل معك من وضوء فقلت نعم ففتحت

الأدواة فإذا هو نبيذ فقلت والله لقد أخذت الأدواة ولا أحسبها إلا ماء فإذا هو نبيذ فقال (**ثمرة طيبة وماء طهور**) ثم توضأ منها فلما قام يصلي أدركه شخصان منهم فقالا له يا رسول الله، إنا نحب أن تؤمنا في صلاتنا فصفهما خلفه ثم صلى بهما ثم انصرف فقلت له من هؤلاء يا رسول الله قال (**هؤلاء جن نصيبين جاؤني يختصمون إليّ في أمور كانت فيهم وقد سألوني الزاد فزودهم**) فقلت ما زودهم قال (**الرجعة وما وجدوا من روث وجدوه تمرا وما وجدوا من عظم وجدوه كاسيا**) وعند ذلك نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يستطاب بالروث والعظم.

وأخرج أبو نعيم من طريق أبي المعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل الهجرة إلى نواحي مكة فخط لي خطا وقال (**لأتحدثن شيئا حتى آتيك**) ثم قال (**لا يروعنك أو لا يهولنك شيء تراه**) فتقدم شيئا ثم جلس فإذا رجال سود كأنهم رجال الزط وكانوا كما قال الله تعالى (**كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا** * الجن: ١٩) فأردت أن أقرب فأذب عنه بالغا ما بلغت ثم ذكرت عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فمكثت ثم أنهم تفرقوا عنه فسمعتهم يقولون يا رسول الله إن شقتنا بعيدة ونحن منطلقون فزودنا قال لكم الرجيع وما أتيتم عليه من عظم فلكم عليه لحم وما أتيتم عليه من الروث فهو لكم تمر فلما ولوا قلت من هؤلاء قال (**هؤلاء جن نصيبين**).

وأخرج أبو نعيم من طريق أبي ظبيان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انطلق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وانطلق بي معه حتى أتى البراز ثم خط لي خطا ثم قال لي (**لا تبرح حتى ارجع إليك**) فما جاء حتى السحر فقال (**أرسلت إلى الجن**) قلت فما هذه الأصوات التي أسمعها قال (**هذه أصواتهم حين ودعوني وسلموا عليّ**).

وأخرج الطبراني وأبو نعيم من طريق أبي عبد الله الجدلي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال استتبعني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليلة الجن فانطلقت معه حتى بلغنا أعلى مكة فخط عليّ خطة فقال (**لا تبرح**) ثم انصاع في الجبال فرأيت الرجال

ينحدرون عليه من رؤوس الجبال حتى حالوا بيني وبينه فاخترطت السيف وقلت لأضربن حتى استنقذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثم ذكرت قوله (**لا تبرح حتى آتيك**) فلم أزل كذلك حتى أضاء الفجر فجاء وأنا قائم فقال (**ما زلت على حالك**) قلت لو لبثت شهرا ما برحت حتى تأتيني ثم أخبرته بما أردت أن أصنع فقال (**لو خرجت ما التقيت أنا ولا أنت إلى يوم القيامة**) ثم شبك أصابعه في أصابعي قال (**إني وعدت أن تؤمن بي الجن والإنس فأما الإنس فقد آمنت بي وأما الجن فقد رأيت**).

وأخرج الطبراني وأبو نعيم من طريق عمرو البكالي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال استتبعني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فانطلقنا حتى أتينا مكان كذا وكذا فخط خطة وقال لي (**كن بين ظهراني هذه لا تخرج منها فإنك إن خرجت منها هلكت**) فكنت فيها فمضى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خذفة ثم أنه ذكر هنيئة كأنهم الزط ليس ليهم ثياب ولا أرى سوآتهم طوالا قليلا لحمهم فأتوا إلى رسول لله صلّى الله عليه وسلّم وجعل النبي صلّى الله عليه وسلّم يقرأ عليهم وجعلوا يأتوني فيجلبون حولي ويعترضون بي فرعبت منهم رعبا شديدا فلما انشق عمود الصبح جعلوا يذهبون فوضع رسول لله صلّى الله عليه وسلّم رأسه في حجري ثم إن هنيئة أتوا عليهم ثياب بيض طوال وقد أغفي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأرعبت أشد مما أرعبت الأولى فقال بعضهم لبعض فلنضرب له مثلا فقال بعضهم اضربوا له مثلا ونؤول نحن أو نضرب نحن وتؤولون فقال بعضهم مثله كمثل رجل سيد ابتنى بناء حصينا ثم أرسل إلى الناس لطعام فمن لم يأت طعامه عذبه عذابا شديدا قال الآخرون أما السيد فهو رب العالمين وأما البينان فهو الإسلام والطعام الجنة وهو الداعي فمن اتبعه كان في الجنة ومن لم يتبعه عذب ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم استيقظ قال ما رأيت يا ابن أم عبد فقلت رأيت كذا وكذا قال ما خفي عليّ شيء مما قالوا هم نفر من الملائكة.

وأخرج أبونعيم عن الواقدي قال كان الناس بغزوة تبوك فعارضتهم في

مسيرهم حية عظيمة الخلق فانصاع الناس عنها فأقبلت حتى وقفت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو على راحلته طويلا والناس ينظرون إليها ثم التوت حتى اعتزلت الطريق فقامت قائمة فأقبل الناس فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**تدرون من هذا**) قالوا الله ورسوله أعلم قال (**هذا أحد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا إليّ يستمعون القرآن فرأى عليه من الحق حين ألَمَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ببلده أن يسلم وها هو يقرئكم السلام**) فقال الناس وعليه السلام ورحمة الله.

وأخرج أبو نعيم عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال صلى بنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صلاة الصبح في مسجد المدينة فلما انصرف قال (**أيكم يتبعني إلى وفد الجن الليلة فخرجت**) معه حتى خفيت عنا جبال المدينة كلها وأفضينا إلى أرض براز فإذا رجال طوال كأنهم الرماح مستذفري ثيابهم من بين أرجلهم فلما رأيتهم غشيتني رعدة شديدة حتى ما تمسكني رجلاي من الفرق فلما دنونا منهم خط لي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خطا قال لي (**أقعد في وسطه**) فلما جلست ذهب عني كل شيء أجده من ريبة ومضى النبي صلّى الله عليه وسلّم بيني وبينهم فتلا قرآنا وبقوا حتى طلع الفجر ثم أقبل فقال لي (**الحق**) فمشيت معه فمضينا غير بعيد فقال لي (**التفت وانظر هل ترى حيث كان أولئك من أحد**) فقلت أرى سوادا كثيرا فخفض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رأسه إلى الأرض فنظم عظما بروثة ثم رمى بها إليهم وقال (**إنهم سألوني الزاد فجعلت لهم كل عظم وروثة**).

وأخرج أحمد والبزار وأبويعلى والبيهقي وأبونعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج رجل من خيبر فتبعه رجلان وآخر يتلوهما يقول ارجعا حتى أدركهما فردهما ثم لحق الرجل فقال له إن هذين شيطانان وإني لم أزل بهما حتى رددتهما عنك فإذا أتيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأقرئه السلام وأخبره أنا في جمع صدقاتنا ولو كانت تصلح له لبعثنا بها إليه فلما قدم الرجل المدينة أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبره فنهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عند ذلك عن الخلوة.

وأخرج أبو الشيخ في العظمة وأبو نعيم عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال قال بلال بن الحارث نزلنا مع النبي صلّى الله عليه وسلّم في بعض أسفاره العرج فلما قاربته سمعت لغطا وخصومة رجال لم أر أحدّ من ألسنتهم قط فوقفت حتى جاء النبي صلّى الله عليه وسلّم وهو يضحك فقال (**اختصم عندي الجن المسلمون والجن المشركون فسألوني أن أسكنهم فأسكنت المسلمين الحلس وأسكنت المشركين الغور**) قال كثير الحلس القرى والجبال والغور ما بين الجبال والبحار قال كثير وما رأيت أحدا أصيب بالحلس إلا سلم ولا بالغور إلا لم يكد يسلم.

وأخرج الخطيب في رواية مالك عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رأيت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثلاثة أشياء لو لم يأت بالقرآن لآمنت به تصحرنا في جبانة تنقطع الطرق دونها فأخذ النبي صلّى الله عليه وسلّم الوضوء ورأى نخلتين متفرقتين فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**يا جابر اذهب إليهما فقل لهما اجتمعا**) فاجتمعتا حتى كأنهما أصل واحد فتوضأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فبادرته بالماء وقلت لعل الله أن يطلعني على ما خرج من جوفه فآكله فرأيت الأرض بيضاء فقلت يا رسول الله أما كنت توضأت قال (**بلى ولكنا معشر النبيين أمرت الأرض أن تواري ما يخرج منا من الغائط والبول**) ثم افترقت النخلتان فبينا نسير إذ أقبلت حية سوداء ثعبان ذكر فوضعت رأسها في أذن النبي صلّى الله عليه وسلّم ووضع النبي صلّى الله عليه وسلّم فمه على أذنها فناجاها ثم لكأنما الأرض قد ابتلعتها فقلت يا رسول الله لقد أشفقنا عليك، قال (**هذا وافد الجن نسوا سورة فأرسلوه إليّ ففتحت عليهم القرآن**) ثم انتهينا إلى قرية فخرج إلينا فئام من الناس مع جارية كأنها فلقة القمر حين تمحى عنه السحاب حسنا مجنونة فقال أهلها احتسب فيها يا رسول الله فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقال (**لجنيها ويحك أنا محمد رسول الله خل عنها**) فتنقبت واستحيت ورجعت صحيحة.

(رؤية أصحابه صلّى الله عليه وسلّم الجن وسماعهم كلامهم غير ما تقدم)

وأخرج البخاري والنسائي من طريق ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال وكلني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت لأرفعنك إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال إني محتاج وعليّ عيال ولي حاجة شديدة فخليت عنه فأصبحت فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة**) قلت يا رسول شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته وخليت سبيله قال صلّى الله عليه وسلّم (**أما إنه قد كذبك وسيعود**) فعرفت أنه سيعود فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته وقلت لأرفعنك إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال دعني فإني محتاج وعليّ عيال لا أعود فرحمته وخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**ما فعل أسيرك البارحة**) فقلت يا رسول الله شكا حاجة وعيالا فرحمته وخليت سبيله قال (**أما إنه قد كذبك وسيعود**) فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته وقلت لأرفعنك إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهذا آخر ثلاث مرات تزعم أنك لا تعود ثم تعود فقال دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فأصبحت فأخبرت النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال (**أما إنه صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة**) قلت لا، قال (**ذاك شيطان**).

وأخرج النسائي وابن مردويه وأبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوما يفتح الباب فوجد التمر قد أخذ منه ملء كف ثم دخل يوما آخر فإذا قد أخذ منه ملء كف ثم دخل يوما ثالثا فإذا قد أخذ منه مثل ذلك فشكا ذلك إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال له النبي صلّى الله عليه وسلّم (**تحب أن تأخذ صاحبك هذا**) قال نعم، قال (**فإذا فتحت الباب فقل سبحان من سخرك لمحمد**) فذهب ففتح الباب فقال (**سبحان من سخرك لمحمد**) فإذا

هو قائم بين يديه قال يا عدو الله أنت صاحب هذا فقال نعم دعني فإني لا أعود ما كنت آخذ إلا لأهل بيت من الجن فقراء فخلى عنه ثم عاد الثانية ثم الثالثة فقلت أليس قد عاهدتني أن لا تعود لا أدعك اليوم حتى أذهب بك إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم قال لا تفعل وأعلمك كلمات إذا أنت قلتها لم يقربك أحد من الجن آية الكرسي.

وأخرج البخاري في تاريخه والطبراني والبيهقي وأبو نعيم بسند رجاله موثقون عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال ضم إليّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تمر الصدقة فجعلته في غرفة لي فكنت أجد فيه كل يوم نقصانا فشكوت ذلك إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال لي (**هو عمل الشيطان فارصده**) فرصدته ليلا فلما ذهب هوى من الليل أقبل على صورة الفيل فلما انتهى إلى الباب دخل من خلل الباب على غير صورته فدنا من التمر فجعل يلقمه فشددت عليّ ثيابي فتوسطته فقلت أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمدا عبده ورسوله يا عدو الله وثبت إلى تمر الصدقة فأخذته وكانوا أحق به منك لأرفعنك إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فعاهدني أن لا يعود فغدوت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال (**ما فعل أسيرك**) قلت عاهدني أن لا يعود قال (**إنه عائد فارصده**) فرصدته الليلة الثانية فصنع مثل ذلك وصنعت مثل ذلك فعاهدني أن لا يعود فغدوت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبرته فقال (**إنه عائد**) فرصدته الليلة الثالثة فصنع مثل ذلك فقلت يا عدو الله عاهدتني مرتين وهذه الثالثة فقال إني ذو عيال وما أتيتك إلا من نصيبين ولو أصبت شيئا دونه ما أتيتك ولقد كنا في مدينتكم هذه حتى بعث صاحبكم فلما نزلت عليه آيتان نفرنا منهما فوقعنا بنصيبين ولا يقرآن في بيت إلا لم يلج فيه الشيطان ثلاثا فإن خليت سبيلي علمتكهما قلت نعم، قال آية الكرسي وآخر سورة البقرة (**آمَنَ الرَّسُولُ** * البقرة: ٢٨٥) إلى آخرها فخليت سبيله ثم غدوت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبرته قال (**صدق وهو كذوب**).

وأخرج البيهقي عن بريدة رضي الله عنه قال كان لي طعام فتبينت فيه النقصان فكمنت في الليل فإذا غول قد سقطت عليه فقبضت عليها فقلت لا أفارقك حتى أذهب بك إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقالت إني امرأة كثيرة العيال لا أعود فحلفت لي فخليتها فجئت فأخبرت النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال (**كذبت وهي كذوب**) فجاءت الثانية فأخذتها فقالت لي كما قالت في الأولى وحلفت أن لا تعود فأخبرت النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال (**كذبت وهي كذوب**) فجاءت الثالثة فأخذتها فقالت ذرني حتى أعلمك شيئا إذا قلته لم يقرب متاعك أحد منا إذا أويت إلى فراشك فاقرأ على نفسك ومالك آية الكرسي فأخبرت النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال (**صدقت وهي كذوب**).

وأخرج أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وأبو نعيم عن أبي أيوب رضي الله عنه إنه كان في سهوة له وكانت الغول تجيء فتأخذ فشكاها إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال (**إذا رأيتها فقل باسم الله أجيبي رسول الله**) فجاءت فقال لها فأخذها فقالت إني لا أعود، فأرسلها فجاء إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال له (**ما فعل أسيرك**) قال أخذتها فقالت إني لا أعود فأرسلتها فقال صلّى الله عليه وسلّم (**إنها عائدة**) فأخذتها مرتين أو ثلاثا كل ذلك تقول لا أعود ويقول النبي صلّى الله عليه وسلّم فقالت في الثالثة أرسلني أعلمك شيئا تقوله فلا يقربك شيء آية الكرسي فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**صدقت وهي كذوب**).

وأخرج أبونعيم من وجه آخر عن أبي أيوب رضي الله عنه قال كان لي تمر في سهوة لي فجعلت أراه ينقص فذكرت ذلك للنبي صلّى الله عليه وسلّم فقال (**إنك ستجد فيه غدا هرة فقل أجيبي رسول الله**) فلما كان الغد وجدت فيه هرة فقلت أجيبِي رسول الله فتحولت عجوزا. فذكر الحديث.

وأخرجه الحاكم من وجه آخر عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبيه أن أبا أيوب كان له سهوة. فذكره وأخرجه من وجه ثالث عن ابن عباس رضي الله عنهما

قال كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نازلا على أبي أيوب في غرفة وكان طعامه في سلة في المخدع فكانت تجيء من الكوة هيئة السنور تأخذ الطعام من السلة فشكا ذلك إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال (**تلك الغول فإذا جاءت فقل عزم عليك رسول الله أن لا تبرحي**) فجاءت فقال لها ذلك قالت دعني فوالله لا أعود. وذكر تتمة الحديث.

وأخرج الطبراني وأبونعيم بسند جيد عن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه أنه قطع ثمر حائطه فجعله في غرفة فكانت الغول تخالفه إلى مشربته فتسرق تمره وتفسده عليه فشكا ذلك إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال (**تلك الغول يا أبا أسيد فاستمع عليها فإذا سمعت اقتحامها فقل بسم الله أجيبي رسول الله**) ففعل فقالت الغول يا أبا أسيد اعفني أن تكلفني أن أذهب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأعطيك موثقا من الله أن لا أعود وأدلك على آية تقرؤها على إنائك ولا يكشف غطاؤه آية الكرسي فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**صدقت وهي كذوب**).

وأخرج أبويعلى والحاكم وصححه والبيهقي وأبونعيم عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه كان له جرن فيه تمر فكان يتعاهده فوجده ينقص فحرسه ذات ليلة فإذا هو بداية شبه الغلام المحتلم قال فسلمت فرد السلام فقلت ما أنت أجنيّ أم أنسي قال جني قلت ناولني يدك فناولني فإذا يد كلب وشعر كلب قلت هكذا خلق الجن، قال قد علمت الجن أن ما فيهم أشد مني قلت ما حملك على ما صنعت قال بلغنا إنك رجل تحب الصدقة فأحببنا أن نصيب من طعامك قلت فما الذي يجيرنا منكم قال آية الكرسي، فلما أصبح أتى النبي صلّى الله عليه وسلّم فأخبره فقال (**صدق الخبيث**).

وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن أبي إسحاق قال خرج زيد بن ثابت ليلا إلى حائط له فسمع فيه جلبة فقال ما هذا قال رجل من الجان أصابتنا السنة فأردت أن أصيب من ثماركم فطيبوه لنا قال نعم ثم قال زيد بن ثابت ألا تخبرنا بالذي يعيذنا منكم قال آية الكرسي.

وأخرج أبو عبيد في فضائل القرآن والدارمي والطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلا لقي شيطانا في سكة من سكك المدينة فصارعه فقال دعني وأخبرك بشيء يعجبك فودعه فقال هل تقرأ سورة البقرة قال نعم، قال فإن الشيطان لا يسمع منها بشيء إلا أدبر وله خبيج كخبيج الحمار فقيل لابن مسعود من ذاك الرجل قال عمر بن الخطاب. والخبيج الضراط.

وأخرج أبو الشيخ وأبو النعيم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلّى الله عليه وسلّم في سفر فقال لعمار انطلق فاستق من الماء فانطلق فعرض له شيطان في صورة عبد أسود فحال بينه وبين الماء فصرعه عمار فقال له دعني وأخلي بينك وبين الماء ففعل ثم أتى فأخذه عمار الثانية فصرعه فقال دعني وأخلي بينك وبين الماء ففعل ثم أتى فأخذه عمار الثالثة فصرعه فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**إن الشيطان قد حال بين عمار وبين الماء في صورة عبد أسود وإن الله أظفر عمارا به**)، قال علي فتلقينا عمارا فأخبرناه بقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال أما والله لو شعرت أنه شيطان لقتلته.

وأخرج البيهقي وصححه وأبونعيم عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال أرسلني النبي صلّى الله عليه وسلّم إلى بئر فلقيت الشيطان في صورة الإنس فقاتلني فصرعته ثم جعلت أدقه بفهر معي فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**لقي عمار الشيطان عند البئر فقاتله**) فما عدا أن رجعت فأخبرته قال صلّى الله عليه وسلّم (**ذاك الشيطان**). قال البيهقي ويؤيده قول أبي هريرة لأهل العراق أليس فيكم عمار بن ياسر الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه صلّى الله عليه وسلّم. وأخرجه الحاكم.

وأخرج ابن سعد وابن راهويه في مسنده عن عمار رضي الله عنه قال قاتلت مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الإنس والجن، قلنا كيف قاتلت الجن قال نزلنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مترلا فأخذت قربتي ودلوي لأستقي فقال لي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**أما إنه سيأتيك آت يمنعك عن الماء**) فلما كنت على رأس البئر

إذا رجل أسود فقال والله لا تستقي اليوم منها ذنوبا واحدا فأخذته وأخذني فصرعته ثم أخذت حجرا فكسرت به أنفه ووجهه ثم ملأت قربتي فأتيت بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال (**هل أتاك على الماء من أحد**) فأخبرته، قال (**ذاك الشيطان**).

وأخرج البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا جلوسا عند النبي صلّى الله عليه وسلّم فجاءه رجل من أقبح الناس وجها وأقبحهم ثيابا وأنتنهم ريحا جاء يتخطى رقاب الناس حتى جلس بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال من خلقك فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**الله**)، قال من خلق السماء قال (**الله**)، قال من خلق الأرض قال (**الله**)، قال من خلق الله قال (**سبحانه الله، وأمسك بجبهته وطأطأ رأسه**) وقام الرجل فذهب فرفع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رأسه فقال (**علي بالرجل**) فطلبناه فكأن لم يكن فقال صلّى الله عليه وسلّم (**هذا إبليس جاء يُشَكِّكُكُمْ في دينكم**).

وأخرج البيهقي عن أبي دجانة رضي الله عنه قال شكوت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقلت يا رسول الله بينا أنا مضطجع في فراشي إذ سمعت في داري صريرا كصرير الرحى ودويا كدوي النحل ولمعا كلمع البرق فرفعت رأسي فزعا مرعوبا فإذا أنا بظل أسود مدلي يعلو ويطول في صحن داري فأهويت إليه فمسست جلده فإذا جلده كجلد القنفذ فرمى في وجهي مثل شرر النار فظننت أنه قد أحرقني فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**عامر دار سوء يا أبا دجانة**) ثم قال (**ائتوني بدواة وقرطاس**) فأتى بهما فناوله علي بن أبي طالب وقال (**اكتب بسم الله الرّحمن الرّحيم هذا كتاب من محمد رسول الله رب العالمين إلى من طرق من العمار والزوار والصالحين إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن أما بعد فإن لنا ولكم في الحق سعة فإن تك عاشقا مولعا أو فاجرا مقتحما أو مدعيا حقا مبطلا هذا كتاب الله ينطق علينا وعليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ورسلنا يكتبون ما كنتم تمكرون اتركوا صاحب كتابي هذا وانطلقوا إلى بعدة الأصنام وإلى من يزعم أن مع الله إلها آخر**

لا إله إلا هو كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ تغلبون حم لا تنصرون حمعسق تفرق أعداء الله وبلغت حجة الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. قال أبودجانة فحملته إلى دار وجعلته تحت رأسي وبت ليلتي فما انتبهت إلا من صراخ صارخ يقول يا أبا دجانة حرقتنا واللات والعزى الكلمات فبحق صاحبه لما رفعت عنا هذا الكتاب فلا عود لنا في دارك ولا في جوارك فغدوت فصليت الصبح مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأخبرته بما سمعت من الجن، فقال (**يا أبا دجانة ارفع عن القوم فوالذي بعثني بالحق إنهم ليجدون ألم العذاب إلى يوم القيامة**).

وأخرج البيهقي عن صحابي قال كنت أسير مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في ليلة ظلماء فسمع رجلا يقرأ (**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** * الكافرون: ١) فقال رسول الله صلى لله عليه وسلم (**أما هذا فقد برئ من الشرك**) وسرنا فسمعنا رجلا يقرأ (**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ** * الإخلاص: ١) فقال صلّى الله عليه وسلّم (**أما هذا فقد غفر له**) فكففت راحلتي لأنظر من هو فنظرت يمينا وشمالا فما رأيت أحدا.

(نوع آخر من رؤية الجن)

أخرج أبونعيم عن أبي رجاء قال كنا في سفر حتى نزلنا على الماء فضربنا أخبيتنا وذهبت أقيل فإذا أنا بحية دخلت الخباء وهي تضطرب فمددت إداوتي فنضحت عليها من الماء كلما نضحت عليها من الماء سكنت وكلما حبست عنها اضطربت فلما صليت العصر ماتت الحية فعمدت إلى عيبتي فأخرجت منها خرقة بيضاء فلففتها وكفنتها وحفرت لها ودفنتها ثم سرنا يومنا ذلك وليلتنا حتى إذا أصبحنا ونزلنا على الماء وضربنا أخبيتنا ذهبت أقيل فإذا أنا بأصوات سلام عليكم مرتين لا واحد ولا عشرة ولا مائة ولا ألف ولا أكثر من ذلك فقلت ما أنتم قالوا نحن الجن بارك الله عليك قد صنعت إلينا ما لا نستطيع أن نجازيك فقلت ماذا قالوا إن الحية التي ماتت عندك كان آخر من بقي ممن بايع من الجن النبي صلى الله عليه سلم.

وأخرج أبونعيم عن معاذ بن عبد الله بن معمر قال كنت جالس عند عثمان بن عفان فجاء رجل فقال يا أمير المؤمنين بينا أنا بفلاة كذا وكذا إذا إعصاران قد أقبلتا أحداهما من مكان والأخرى من مكان فالتقتا فاعتركتا ثم تفرقتا وإحداهما أقل منها حين جاءت فذهبت حتى جئت معتركيهما فإذا من الحيات شيء ما رأيت مثله قط فإذا ريح مسك من بعضها فجعلت أقلب الحيات من أيها هذا الريح فإذا ذلك من حية صفراء دقيقة فظننت أن ذلك لخير فيها فلففتها في عمامتي ثم دفنتها فبينا أنا أمشي إذ ناداني مناد ولا أراه، فقال يا عبد الله ما هذا الذي صنعت فأخبرته بالذي رأيت فقال إنك قد هديت هذان حيان من الجن بنو شيبان وبنو أقيس التقوا وكان من القتلى ما رأيت واستشهد الذي أخذته وكان من الذين استمعوا الوحي لرسول صلى الله عليه سلم. وأخرج أبونعيم عن إبراهيم النخعي قال خرج نفر من أصحاب عبد الله يريدون الحج حتى إذا كانوا ببعض الطريق إذا هم بحية تنثني على الطريق أبيض ينفح منه ريح المسك فقلت لأصحابي امضوا فلست ببارح حتى أنظر إلى ما يصير أمر هذه الحية فما لبثت أن ماتت فعمدت إلى خرقة بيضاء فلففتها فيها ثم نحيتها عن الطريق فدفنتها وأدركت أصحابي فوالله إنا لقعود إذ أقبل أربع نسوة من قبل المغرب فقالت واحدة منهن أيكم دفن عمرا قلنا ومن عمرو قالت أيكم دفن الحية قلت أنا، قالت أما والله لقد دفنت صواما قواما يأمر بما أنزل الله ولقد آمن بنبيكم وسمع صفته في السماء قبل أن يبعث بأربعمائة سنة فحمدنا الله ثم قضينا حجنا ثم مررت بعمر بن الخطاب بالمدينة فأنبأته بأمر الحية فقال صدقت سمعت رسول الله صلى الله عليه سلم يقول (**لقد آمن بي قبل أن أبعث بأربعمائة سنة**).

وأخرج الحاكم والطبراني عن صفوان بن المعطل رضي الله عنه قال خرجنا حجاجا فلما كنا بالعرج إذا نحن بحية تضطرب فما لبثت أن ماتت فلفها رجل في خرقة ودفنها ثم قدمنا مكة فإنا لبالمسجد الحرام وقف علينا شخص فقال أيكم صاحب عمرو بن جابر قلنا ما نعرف عمرا قال أيكم صاحب الجان قالوا هذا قال

أما إنه آخر التسعة موتا الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه سلم يستعمون القرآن.

وأخرج أبو نعيم عن ثابت بن قطبة، قال جاء رجل إلى ابن مسعود فقال إنا كنا في سفر فمررنا بحية مقتولة مشعرة في دمها فواريناها فلما نزلنا أتانا نسوة أو ناس فقالوا أيكم صاحب عمرو قلنا أي عمرو قالوا الحية التي دفنتموها أمس أما إنه كان من النفر الذين استمعوا من النبي صلى الله عليه سلم القرآن، قلنا ما شأنه قالوا كان بين حيين من الجن قتال مسلمين ومشركين فقالوا إن شئتم عوضناكم قلنا لا.

وأخرج أبو نعيم عن أبي رضي الله عنه قال خرج قوم يريدون مكة فأضلوا الطريق فلما عاينوا الموت أو كادوا أن يموتوا لبسوا أكفاهم وتضجعوا للموت فخرج عليهم جني يتخلل الشجر وقال أنا بقية النفر الذين استمعوا على محمد صلى الله عليه سلم سمعت رسول الله صلى الله عليه سلم يقول (**المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله لا يخذله هذا الماء وهذا الطريق**) ثم دلهم على الماء وأرشدهم إلى الطريق.

وأخرج العقيلي والبيهقي وأبو نعيم من طريق أبي معشر المدني عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال بينما نحن قعود مع النبي صلى الله عليه سلم على جبل من جبال تهامة إذ أقبل شيخ في يده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه سلم فرد عليه السلام ثم قال (**نغمة الجن وعمتهم من أنت**) قال أنا هامة بن هيم بن لاقيس بن إبليس قال رسول الله صلى الله عليه سلم (**ما بينك وبين إبليس إلا أبوان فكم أتى عليك من الدهر**) قال أفنيت الدنيا عمرها إلا قليلا كنت ليالي قتل قابيل هابيل غلاما ابن أعوام أفهم الكلام وأمر بالآكام وآمر بإفساد الطعام وقطيعة الأرحام فقال رسول الله صلى الله عليه سلم (**بئس عمل الشيخ المتوسم والشاب المتلوم**) قال ذرني إني تائب إلى الله إني كنت مع نوح في سفينته مع من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى وأبكاني وقال لا جرم أني على ذلك من النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، قلت يا نوح إني ممن أشرك في دم السعيد الشهيد هابيل بن آدم فهل تجد لي عند ربك توبة قال يا هامة همَّ بالخير وافعله قبل الحسرة

والندامة إني قرأت فيما أنزل الله علي أنه ليس من عبد تاب إلى الله بالغا ذنبه ما بلغ إلا تاب الله عليه، فقم فتوضأ واسجد سجدتين ففعلت من ساعتي ما أمرني به فناداني ارفع رأسك فقد نزلت توبتك من السماء فخررت لله ساجدا حولا وكنت مع هود في مسجده مع من آمن من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى عليهم وأبكاني وكنت زوارا ليعقوب وكنت مع يوسف بالمكان الأمين وكنت ألقى إلياس في الأودية وأنا ألقاه الآن وإني لقيت موسى بن عمران فعلمني من التوراة وقال إن أنت لقيت عيسى بن مريم فأقرئه مني السلام وإني لقيت عيسى بن مريم فأقرأته منه السلام وإني أتيت عيسى بن مريم فقال لي إن لقيت محمدا فأقرئه مني السلام، قال فأرسل رسول الله صلى الله عليه سلم عينيه فبكى ثم قال (**وعلى عيسى السلام ما دامت الدنيا وعليك السلام يا هامة بأدائك الأمانة**) قال يا رسول الله افعل لي ما فعل موسى بن عمران علمني من التوراة فعلمه رسول الله صلى الله عليه سلم إذا وقعت الواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت والمعوذتين وقل هو الله أحد وقال ارفع إلينا حاجتك يا هامة ولا تدع زيارتنا، قال ابن عمر فقبض رسول الله صلى الله عليه سلم ولم ينعه إلينا فلست أدري أحي هو أم ميت. قال البيهقي أبو مشعر روى عنه الكبار إلا أنه ضعيف، قال وقد روى هذا الحديث من وجه آخر هذا أقوى منه. قال الحافظ السيوطي في الخصائص بعد نقله ذلك، وأخرجه أبو نعيم من طريق محمد بن بركة الحلبي عن عبد العزيز بن سليمان الموصلي عن يعقوب بن كعب عن عبد الله بن نوح البغدادي عن عيسى بن سوادة عن عطاء الخراساني عن ابن عباس عن عمر به. وأخرجه أيضا من طريق أبي سلمة محمد بن عبد الله الأنصاري عن مالك بن دينار عن أنس ومن طريق زيد بن أبي الزرقاء الموصلي عن عيسى بن طهمان عن أنس به بطوله. وأخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد حدثني محمد بن صالح مولى بني هاشم البصري حدثني أبو سلمة محمد بن عبد الله الأنصاري حدثنا مالك بن دينار عن أنس به. وأخرج البيهقي عن أبي

راشد قال نزل بنا عمر بن عبد العزيز فلما رحل قال لي مولاي اركب معه فشيعه فركبت فمررنا بواد فإذا نحن بحية ميتة مطروحة على الطريق فنزل عمر فنحاها وواراها ثم ركب فبينا نحن نسير إذا هاتف يهتف يقول يا خرقا يا خرقا فالتفتنا يمينا وشمالا فلم نر أحدا، فقال عمر أسألك بالله أيها الهاتف إن كنت ممن يظهر إلا ظهرت وإن كنت ممن لا يظهر أخبرنا ما الخرقا قال الحية التي دفنتم بمكان كذا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه سلم يقول لها يوما (**يا خرقا تموتين بفلاة من الأرض يدفنك خير مؤمني أهل الأرض يومئذ**)، قال له عمر ومن أنت يرحمك الله قال أنا من التسعة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه سلم في هذا المكان فقال له عمر آلله أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه سلم فقال نعم فدمعت عينا عمر وانصرفنا. ورواه بنحوه البيهقي عن أسيدة قال بينما عمر بن عبد العزيز يمشي إلى مكة بفلاة من الأرض إذ رأى حية ميتة فقال عليّ بمحفار فحفر لها ولفها في خرقة ودفنها إلى آخر القصة وفيها اختلاف قليل.

الباب الثالث في معجزاته

المتعلقة بإحياء الموتى صلى الله عليه سلم وفيه فصلان

الفصل الأول في إحياء

أبويه وإيمانهما به صلى الله عليه سلم

قال في المواهب روى الطبراني بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه سلم نزل بالحجون كئيبا حزينا فأقام به ما شاء الله ثم رجع مسرورا فقال (**سألت ربي فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها**) ورواه أبو حفص بن شاهين بلفظ قالت عائشة رضي الله عنها حج بنا رسول الله صلى الله عليه سلم حجة الوداع فمر بي على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكائه ثم إنه نزل فقال (**يا حميراء استمسكي**) فاستندت إلى جنب البعير فمكثت مليا ثم عاد إلي وهو فرح متبسم فقال (**ذهبت لقبر أمي فسألت ربي أن يحييها فأحياها فآمنت بي**) وكذا روى من حديث

عائشة أيضا إحياء أبويه صلى الله عليه سلم حتى آمنا به.

روى السهيلي عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه سلم سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما. قال الزرقاني في شرح المواهب بعد ذكر حديث إحيائهما وقد جعل هؤلاء الأئمة هذا الحديث ناسخا للأحاديث الواردة بما يخالفه ونصوا على أنه متأخر عنها فلا تعارض بينه وبينها. وقال الشهاب ابن حجر في مولده وفي شرح الهمزية أن الحديث غير ضعيف بل صححه غير واحد من الحفاظ وقال بعضهم:

أيقنت أن أبا النبي وأمه * أحياهما الرب الكريم الباري

حتى له شهدا بصدق رسالة * سلم فتلك كرامة المختار

هذا الحديث ومن يقول بضعفه * فهو الضعيف عن الحقيقة عاري

وقال التلمساني روي إسلام أمه صلى الله عليه سلم بسند صحيح وكذا روي إسلام أبيه عليه الصلاة والسلام وكلاهما بعد الموت تشريفا له صلى الله عليه سلم وقد ألف كثير من العلماء مؤلفات مستقلة في نجاة أبويه صلى الله عليه سلم ولاسيما الحافظ السيوطي رحمه الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، فإنه ألف في ذلك جملة مؤلفات أثبت فيها نجاتهما ببراهين كثيرة وأقام النكير على من زعم خلاف ذلك من أهل الجمود والجحود. وقد أطلعت على ثلاثة منها (**مسالك الحنفا في نجاة أبوي المصطفى**) صلى الله عليه سلم و (**السبل الجلية في الآباء العلية والمقامة السندسيه في نسبة خير البرية**) الأولان متقاربان في الحجم والمعاني كل واحد منهما في حجم ثلاثين ورقة تقريبا وربما كان الأول أكبر حجما لكني اقتصرت على تلخيص الثاني لتأخر تأليفه بأقصر عبارة. ثم أذكر ما يلزم ذكره من المقامة وهو نصفها الأول وقليل من النصف الثاني بعبارة المؤلف بدون تصرف قال رحمه الله تعالى في أول **السبل الجليلة**. هذا سادس مؤلف ألفته في مسألة والدي رسول الله صلى الله عليه سلم ونقل عن الأئمة توجيه نجاتهما على سبل:

(**السبيل الأول**) أنهما لم تبلغهما الدعوة خصوصا وقد ماتا في حداثة السن فإن والده صلى الله عليه سلم عاش من العمر نحو ثمان عشرة سنة ووالدته ماتت في حدود العشرين وحكم من لم تبلغه الدعوة أنه يموت ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة.

(**السبيل الثاني**) أنهما من أهل الفترة وقد ورد في أهل الفترة أحاديث أنهم موقوفون إلى أن يمتحنوا يوم القيامة فمن أطاع منهم دخل الجنة ومن عصى دخل النار. وهذا السبيل نقل حافظ العصر أبوالفضل ابن حجر عن بعضهم أنه مشى عليه فيما نحن فيه ثم قال والظن بآبائه صلى الله عليه سلم كلهم الذين ماتوا في الفترة أن يطيعوا عند الامتحان لتقربهم عينه صلى الله عليه سلم.

(**السبيل الثالث**) إن الله أحياهما له صلى الله عليه سلم حتى آمنا به وهذا السبيل مال إليه طائفة كثيرة من الأئمة وحفاظ الحديث واستندوا إلى حديث ورد بذلك ذكره كثير من الأئمة الحفاظ منهم الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي والحافظ أبو القاسم ابن عساكر والحافظ أبو حفص بن شاهين والحافظ أبو القاسم السهيلي والإمام القرطبي والحافظ محب الدين الطبري والعلامة ناصر الدين بن المنير والحافظ فتح الدين بن سيد الناس ونقله عن بعض أهل العلم ومشى عليه الصلاح الصفدي في نظم له والحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي في أبيات له. وأخبرني بعض الفضلاء أنه وقف على فتيا بخط شيخ الإسلام ابن حجر أجاب فيها بهذا. وقال السهيلي في أوائل **الروض الأنف** بعد إيراد حديث أنه صلى الله عليه سلم سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما ما نصه والله قادر على كل شيء وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ونبيه عليه الصلاة والسلام أهل أن يختص بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته وقد جعل هؤلاء الأئمة هذا الحديث ناسخا للأحاديث الواردة بما يخالف ذلك ونصوا على أنه متأخر عنها فلا تعارض بينه وبينها. وقال القرطبي فضائل النبي صلى الله عليه سلم لم تزل تتوالى وتتابع إلى حين مماته فيكون هذا مما فضله الله به وأكرمه، قال وليس إحياؤهما وإيمانهما به بممتنع

عقلا ولا شرعا فقد ورد في القرآن إحياء قتيل بني إسرائيل وإخباره بقاتله وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يحيي الموتى وكذلك نبينا صلى الله عليه سلم قال وإذا ثبت فما يمتنع إحياؤهما وإيمانهما زيادة في كرامته وفضيلته صلى الله عليه سلم.

(**السبيل الرابع**) أنهما كانا على الحنفية دين إبراهيم كما كان زيد بن عمرو ابن نفيل وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وأبو بكر الصديق رضي الله عنه وغيرهم وقد مال إلى هذا السبيل الإمام فخر الدين الرازي فقال إن آباءه صلى الله عليه سلم كلهم إلى آدم عليه الصلاة والسلام كانوا على التوحيد انتهى تلخيص السبل الجلية وعد في المسالك السبيل الأول والثاني مسلكا واحدا فكانت المسالك ثلاثة ومن شاء بسط الأدلة فليرجع إلى الكتابين المذكورين وغيرهما من الكتب المؤلفة في هذا الشأن.

وقال الحافظ السيوطي في المقامة السندسية بعد البسملة ما نصه (**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ** * التوبة: ١٢٨) نبي سري * قدره عليّ * وبرهانه جليّ * خير الخليقة أما وأبا * وأزكاهم حسبا ونسبا * خلق الله لأجله الكونين * وأعطاه السيادة في الدارين * وجعله نبي الأنبياء وآدم منجدل في طينته * وكتب اسمه على العرش إعلاما بمزيته عنده وفضيلته * وتوسل به آدم فتاب عليه * وأخبره أنه لولاه ما خلقه وناهيك بها من مزية لديه:

نبي خص بالتقديم قدما * وآدم بعد في طين وماء

كريم بالجدا من راحتيه * يجود وفي الحيا وافي الحياء

ومن خصائصه صلّى الله عليه وسلّم فيما ذكره الغزالي إن الله ملكه الجنة. وأذن له أن يقطع منها من يشاء ما شاء وأعظم بذلك منّه، وخصه بطهارة النسب تعظيما لشأنه، وحفظ آباءه من الدنس تتميما لبرهانه، وجعل كل أصل من أصوله خير أهل زمانه، كما قال صلّى الله عليه وسلّم في حديث البخاري الذي يقطع بصدوره من فيه (**بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت فيه**) وقال عليه الصلاة والسلام (**أنا أنفسكم نسبا وصهرا وحسبا ولم يزل الله**

ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصطفى مهذبا، لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما فأنا خيركم نفسا وخيركم أبا). قال الإمام شرف الدين البوصيري رحمه الله تعالى في همزيته يخاطب النبي صلّى الله عليه وسلّم وشرف وكرم:

وبدا للوجود منك كريم * من كريم آباؤه كرماء

نسب تحسب العلا بحلاه * قلدتها نجومها الجوزاء

حبذا عقد سؤدد وفخار * أنت فيه اليتيمة العصماء

وينظم في سلك هذه الدرر، قول حافظ العصر أبي الفضل بن حجر:

نبي الهدى المختار من آل هاشم * فعن مجدهم فليقصر المتطاول

وقد ورد أن قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور في صلب آدم وهو الدرة الفاخرة، قال صلّى الله عليه وسلّم (**ثم لم يزل ينقلني من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة**) ويشهد لذلك بالاستئناس، ما أنشده عمه العباس:

من قبلها طبت في الظلال وفي * مستودع حيث يخصف الورق

ثم هبطت البلاد لا بشر * أنت ولا مضغة ولا علق

بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق

تنقل من صالب إلى رحم * إذا مضى عالم بدا طبق

حتى احتوى بيتك المهيمن من * خِندف علياء تحتها النطق

وأنت لما ولدت أشرقت الأر * ض وضاءت بنورك الأفق

فنحن في ذلك الضياء وفي * النور وسبل الرشاد نخترق

وأخذ الله تعالى الميثاق على النبيين إن جاءهم أن يؤمنوا به وينصروه، ولو أدركوه لما وسعهم إلا أن يتبعوه ويعزروه ويوقروه، وأرسله إلى جميع الخلق كافة من الجن والإنس والملائكة الصافه. قال البارزي ودخل في دعوته الجمادات والحيوانات والحجر والشجر. وقال السبكي هو مرسل إلى كل من تقدم من الأمم وغبر. قال

فجميع الأنبياء وأممهم كلهم من أمته. ومشمولون برسالته ونبوته. ولذلك يأتي عيسى في آخر الزمان على شريعته. وجميع الشرائع التي جاءت بها الأنبياء إلى أممهم هي أحكامه في الأزمنة المتقدمة عليه هكذا قرره ذاك الإمام الحبر التي لا تكاد تسمح بنظيره الأعصار. وأفرد له تأليفا مستقلا حقه أن يرقم على السندس بالنضار. ويوافقه قول الشرف البوصيري:

وكل آي أتى الرسل الكرام بها * فإنما اتصلت من نوره بهم

فإنه شمس فضل هم كواكبها * يظهرن أنوارها للناس في الظلم

وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر أو رشفا من الديم

وواقفون لديه عند حدهم * من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

وأجرى الله على يديه صلّى الله عليه وسلّم من المعجزات ألوفا جمله، وآتاه من الخصائص ما لم يؤت نبيا قبله، وكان مما أسدي من المعجزات والخصائص إليه، إحياؤه حتى آمنا به أبويه، وما زال أهل العلم والحديث يروون هذا الخبر وبه يسَرون، وينشرونه بين الناس ولا يسِرون، ويجعلونه في عداد الخصائص والمعجزات، ويدخلونه في حيز المناقب والمكرمات، ويرون أن ضعف إسناده في هذا المقام مغتفر، وأن إيراد ما لين في الفضائل والمناقب معتبر، وقد خرّجت الأئمة في أبواب المناقب ما هو أشد ضعفا من هذا، وتسامحوا في إيراد ما لم يصل إلى رتبته ولا حاذى، ووجهوه بأنواع من التوجيه، فارتضوه لما فيه من التبرئة والتنْزيه.

فقال القرطبي إن فضائل النبي صلّى الله عليه وسلّم وخصائصه لم تزل تتوالى إلى حين مماته. وتتابع إلى وقت وفاته، فيكون هذا مما فضله الله وكرمه به فضلا، وليس إحياؤهما بممتنع شرعا ولا عقلا. وقال ابن سيد الناس ذكر بعض أهل العلم أن النبي صلّى الله عليه وسلّم لم يزل راقيا في المقامات السنية، صاعدا في الدرجات العلية، إلى أن قبض الله روحه الطاهرة إليه، وأزلفه بما خصه به لديه، من الكرامات إلى حين القدوم عليه، فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له صلّى الله عليه

وسلّم بعد أن لم تكن وأن الإحياء والإيمان متأخر عن الأحاديث المخالفة لذلك فلا تعارض وقال الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي:

حبى الله النبي مزيد فضل * على فضل وكان به رؤفا

فأحيا أمه وكذا أباه * لإيمان به فضلا منيفا

فسلم فالإله بذا قدير * وإن كان الحديث به ضعيفا

وبعض الأساطين أيده وشيده وأكده، وأمده وقواه وشدده، ومهد طريقه وسدده، بأنه وافق العادة التي اتفقت عليها الأمة كلها، أنه لم يؤت نبي معجزة أو خصيصة إلا وقع لنبينا صلّى الله عليه وسلّم مثلها، وقد أوتي عيسى عليه السلام إحياء الموتى في القبور، فلابد أن يكون له صلّى الله عليه وسلّم نظيره وليس إلا هذه القصة فيما اشتهر من المأثور، وإن كان وقع له صلّى الله عليه وسلّم من هذا النمط نطق الذراع، وحنين الخشبة من الأجذاع، فإن قصة الأبوين أقرب إلى المماثلة، وأنسب بالمشاكل، ومن الأصول المحررة، أن الحديث الضعيف يقوى بالقاعدة المقررة، وذهب محققون في شأهما إلى ما هو أقوى مدركا، وأصح مسلكا، وهو أن حكمهما حكم من لم تبلغه الدعوة من أهل الفترة، إذ لم يثبت أهما دعيا وعاندا وكل مولود يولد على الفطرة، مع ما يعضده من أهما قبضا في إبان الشباب، ولم يبلغا سن من بلغ الأحقاب، فلم يسع عمرها الوقوف على الأخبار من الأحبار، والفحص عنها بالأسفار، وقد ورد في أهل الفترة أحاديث صحاح وحسان، بأهم موقوفون إلى الامتحان، بين يدي الملك الديان، فمن سبقت له السعادة أطاع ودخل الجنان، ومن سبقت له الشقاوة وعصى وأدخل النيران، ومن هنا نشأت قاعدة من لم تبلغه الدعوة، وأطبق على نجاته من له بمذهب الإمامين الشافعي والأشعري قدوة، وأجابوا عن الأحاديث التي بعضها في صحيح مسلم، بأها منسوخة بالأدلة التي بنوا عليها قاعدة شكر المنعم، وقد أوردوا على ذلك من التتريل أصولا، منها قوله تعالى (**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً** * الإسراء: ١٥) وقال تعالى في بيان أنه لا يعذب

أحد قبل البعثة ولا يجزى، (**وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى** * طه: ١٣٤) وقال في سورة (**طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ** * الشعراء: ٢) (**وَلَوْلاَ أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** * القصص: ٤٧) وقال تعالى في هذه السورة وبه استدل العالمون، (**وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ** * القصص: ٥٩) وقال تعالى في عدم تكليف الغافل وبه قال الناقلون (**ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ** * الأنعام: ١٣١) وقال تعالى في هذه السورة وهو أصدق القائلين (**أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ** * الأنعام: ١٥٦) وقال تعالى في سورة الشعراء تنبيها للعالمين (**وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنْذِرُونَ * ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ** * الشعراء: ٢٠٨) وقال تعالى قطعا لعذر الكفار حيث لا يجدون في النار من نصير (**وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ** * فاطر: ٣٧) وبالجملة فهذه القاعدة مقطوع بها عندنا في الفقه والأصول، مستغنية بشهرتها عن أن يورد فيها شيء من النقول، ونظير هذا نسخ تعذيب أطفال المشركين بما هو أحرى، وهو قوله تعالى (**وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** * الأنعام: ١٦٤) وعلى هذا التخريج يحمل ما لوح به حديث الحاكم وصححه عن ابن مسعود، أنه صلّى الله عليه وسلّم سئل عن أبويه فقال سألتهما ربي فيطيعني فيهما وإني لقائم المقام المحمود، فلوح صلّى الله عليه وسلّم أنه يرجو لهما في ذلك المقام الشفاعة. وليست إلا إلى التوفيق عند الامتحان للطاعة. وعلى ذلك يحمل حديث ابن عمر فيما رواه تمام في الفوائد المروية، (**إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي وأخ لي كان في الجاهلية**)، والمراد أخوه من الرضاعة وهو ابن حليمة السعدية، وقد تأول المحب الطبري في حق عمه على أنها شفاعة في التخفيف كما في

مسلم، ولابد من هذا التأويل في حقه لأنه أدرك البعثة و لم يسلم. وسلك الإمام فخر الدين الرازي مسلكا آخر في غاية التبجيل والتعظيم، فقال إنهما لم يكونا مشركين بل كانا على التوحيد وملة إبراهيم، وزاد أن أجداده صلّى الله عليه وسلّم كلهم إلى آدم كذلك، سالكون من التوحيد في أقوم المسالك، واستدل على ما في التنزيل الذي هو قرة عين العابدين (**الَّذي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ** * **وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ** * الشعراء: ٢١٩) وبقوله تعالى (**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ** * التوبة: ٢٨) فذاك صفة الكافرين، وقد قال صلّى الله عليه وسلّم (**لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين**) وقد استقريت أحوال أجداد سيد بني قصيّ، فوجدهم مؤمنين بيقين من آدم إلى مرة بن كعب بن لُؤيّ، إلا أنه يستثنى منهم آزر إن كان والد إبراهيم وإن كان عمه كما رجحه الإمام وقال به جماعة من السلف فالأمر على التعميم، وقد صحت الآثار بأنه لم يكن بين آدم ونوح نسمة جاحده، وهو معنى قوله تعالى (**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً** * البقرة: ٢١٣) وسام ابن نوح قيل إنه نبي وولده ارفخشد صديق، وقد أدرك جده نوحا ودعا له وكان في خدمته نعم الرفيق، وفي طبقات ابن سعد أن الناس من عهد نوح لم يزالوا على الإسلام، إلى أن ملكهم نمرود بن كوش بن كنعان فدعاهم إلى عبادة الأصنام، وأما العرب فصحت الأحاديث في البخاري وغيره لكل راو واعي، بأنهم لم يكفر أحد منهم من عهد إبراهيم إلى عهد عمرو بن عامر الخزاعي، فهو أول من عبد الأصنام، وغير دين ابراهام، ورآه النبي صلّى الله عليه وسلّم بسبب ذلك يجر قصبه في النار، وقد نص العلماء على هذه الجملة ودونوها في عدة من الأخبار، وقد أخرج ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس وهو جدير بأن تجدّ له في السير، كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة وأسد على ملة إبراهيم فلا تذكروهم إلا بخير، وفي الروض الأنف (**لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمنا**) وناهيك هذا بيانا. وفي دلائل النبوة لأبي نعيم أن كعب بن لؤي أوصى ولده بالإيمان بالنبي وكان ينشد إعلانا:

يا ليتني شاهد نجواء دعوته * إذا قريش تُبَغِّي الحق خذلانا

وأما كلاب وقصي وعبد مناف وهاشم، فلم أظفر في واحد منهم من الجانبين بنقل جازم، وأما عبد المطلب ففيه خلاف والأشبه أنه من أهل الفترة وقد استشهد أولئك القبيل، بقوله في قصة أصحاب الفيل:

اللّهمّ أن المرء يمنع رحله فامنع حلالك * وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

وقد استشهد مجاهد وسفيان بن عيينة على استمرار التوحيد في ذرية ابراهام، بقوله تعالى (**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ** * إبراهيم: ٣٥) وصح في تفسير ابن المنذر وهو العالم الأواه، في قوله (**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي** * إبراهيم: ٤٠) قال فلن يزال من ذرية إبراهيم ناس يعبدون الله. وورد عن ابن عباس ومجاهد وقتادة بسند يعتمده في قوله (**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ** * الزخرف: ٢٨) قال الإخلاص والتوحيد فلا يزال في ذريته من يوحد الله ويعبده، وما أحسن قول الحافظ ناصر الدين الدمشقي:

تنقل أحمد نورا عظيما * تلألأ في جباه الساجدينا

تقلب فيهم قرنا فقرنا * إلى أن جاء خير المرسلينا

هذه خلاصة النقول والأدلة، وهي بدور مسفرة ونجوم وأهله، شرحت صدور الأصحاب، وأشرقت أشراق الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب، انتهت عبارته في المقامة السندسية بحروفها وهي نصفها الأول المشتمل على جل المقصود بل كله وشغل النصف الثاني بالرد على من أنكر ذلك بعبارات شديدة لا حاجة لنا في إيرادها فمما يناسب نقله منه قوله ولا شك أن ألفاظ الأحاديث صريحة، ومبانيها فصيحة، في أن المراد بأهل الفترة من كان بعد دثور شريعة عيسى وقبل بعثة نبينا محمد السراج المنير، وهو ظاهر من قوله تعالى (**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ** * المائدة: ١٩) ثم قال وقد نص الشافعي رضي الله عنه وهو بعد البعثة بمائتين من السنين، على أن في زمانه من لم تبلغهم الدعوة وهم قوم وراء الصين، فإذا وجد

من لم تبلغه الدعوة بعد بعثة نبينا بمائتي سنة والإسلام ظاهر والدين وافر، فما ظنك بزمن الجاهلية التي عم فيها الكفر والجهل طبق الأرض وغلب فيها كل كافر، قال وبالجملة فالمدار على بلوغ الدعوة وعدمها فمن لم تبلغه فهو ناج سواء كان قبل البعثة المحمدية أو بعدها، ومن كان في زمن الفترة وبلغته فهو في النار إذا أصر على العناد وردها، وهذا القسم الأخير محل إجماع، ليس فيه بين أحد من الخلق نزاع، وهو الذي أشار إليه النووي في شرح مسلم، فمن عذره الله ورسوله فهو المعذور (**وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ** * الحج: ١٨) وقد ذكر الأبي في شرح مسلم هذه المسألة فأطنب فيها وأتقن وأحكم وقال أهل الفترة هم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ولا أدركوا الثاني كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى عليه السلام ولا لحقوا النبي صلّى الله عليه وسلّم قال أي الأبي ثم أهل الفترة فيما ذكره عقيل بن أبي طالب ثلاثة أقسام: الأول من أدرك التوحيد ببصيرته سواء لم يدخل في شريعة كزيد بن عمرو بن نفيل أم دخل في شريعة عيسى عليه السلام. والثاني من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل في شريعة ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع دينا بل بقي عمره على حال غفلة عن هذا كله تاركا جميعه وفي الجاهلية من كان كذلك وهم أهل الفترة حقيقة، وهم غير معذبين للقطع كما قررنا طريقه. والثالث من أدرك ولم يوحد وبدل وغير وشرع لنفسه فحلل وحرم وعلى هذا القسم يحمل من صح تعذيبه، أو يجاب بأنها أخبار آحاد لا تعارض القاطع كما مر تقريره وتهذيبه، وزاد بعض من تأخر من أهل العلم، يجب إخراج الأبوين الشريفين من هذا القسم، وقد وردت آثار أخر يستأنس بها في هذا المقام، وإن لم تكن نصا في المرام، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى (**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** * الضحى: ٥) قال من رضا محمد صلّى الله عليه وسلّم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار وبهذا العموم يقضى. وما أخرجه أبو سعيد في شرف النبوة وغيره من حديث عمران بن حصين مرفوع المسالك (**سألت ربي أن لا يدخل النار أحد من آل**

بيتي فأعطاني ذلك) وعموم اللفظ وأن طرقه الاحتمال معتبر، وتوجيهه ما أشرنا إليه في أوائل المقامة قبل حديث ابن عمر، ولهذا قال حافظ العصر أبو الفضل بن حجر، قولا جامعا بين مراعاة الأصول والأثر، الظن بآله كلهم من أهل الفترة أن يطيعوا عند الامتحان، لتقربهم عينه صلّى الله عليه وسلّم في الجنان، ولو كنا نحب إيراد الواهيات كبعض من سلك، لأوردنا (**أوحى الله إلي إني حرمت النار على صلب أنزلك وبطن حملك)** لكني لا احتج بمثل هذا، ولا استمطر به وابلا ولا رذاذا، فإن في الأدلة القويمة غني عن واه فيه تكلم، ومهما طلع البدر أغنى عن النجوم، وإذا حضر الماء بطل التيمم، انتهى كلام الحافظ السيوطي. وما أحسن ما قلته في همزيتي طيبة الغراء في مدح سيد الأنبياء صلّى الله عليه وسلّم:

ماتت أم النبي وهو ابن ست * وأبوه وبيته الأحشاء

ثم أحياهما القدير فحازا * شرف الدين حبذا الإحياء

وهما ناجيان من غير شك * فترة أو حياة أو حنفاء

رضي الله عنهما وكرام النـــ*ـــاس منا ولتسخط اللؤماء

ليس يرتاب في نجاتهما إلا * رقيع في الدين أو رقعاء

كيف ترجى النجاة للناس ممن * ما أتى والديه منه النجاء

كم أتانا بأمر بر ونهي * عن عقوق وهو الفتى المئتاء

ومحال تكليفه الناس خيرا * هو منه حاشا وحاشا براء

أيرون الدعاء ما كان منه * لهما أو دعا وخاب الدعاء

بل دعا الله واستجاب له الله * فحيا تلك القبور الحياء

الفصل الثاني في بعض من أحياهم الله لأجله صلّى الله عليه وسلّم

أخرج أبو نعيم حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا عبد الرحمن بن محمد ابن حماد حدثنا أبو برة محمد بن أبي هاشم مولى بني هاشم أنبأنا أبو كعب البداح بن

سهل الأنصاري عن أبيه سهل بن عبد الرحمن عن أبيه عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال أتى جابر بن عبد الله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فرأى وجهه متغيرا فرجع إلى امرأته وقال قد رأيت وجه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم متغيرا وما أحسبه إلا من الجوع فهل عندك من شيء قالت والله ما لنا إلا هذا الداجن وفضلة من زاد فذبحت الداجن وطحنت ما كان عندها وخبزت وطبخت ثم ثردنا في جفنة لنا ثم حملتها إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال **(يا جابر اجمع لي قومك)** فأتيته بهم فقال **(أدخلهم علي إرسالا)** فكانوا يأكلون فإذا شبع قوم خرجوا ودخل آخرون حتى أكلوا جميعا وفضل في الجفنة شبه ما كان فيها وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول لهم **(كلوا ولا تكسروا عظما)** ثم إنه جمع العظام في وسط الجفنة فوضع يده عليها ثم تكلم بكلام لم أسمعه فإذا الشاة قد قامت تنفض أذنيها فقال لي **(خذ شاتك)** فأتيت امرأتي فقالت ما هذا قلت هذه والله شاتنا التي ذبحنا دعا الله فأحياها لنا قالت أشهد أنه رسول الله.

وأخرج البيهقي في الدلائل أنه صلّى الله عليه وسلّم دعا رجلا إلى الإسلام فقال لا أؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم **(أرني قبرها)** فأراه إياه، فقال صلّى الله عليه وسلّم **(يا فلانة)** فقالت لبيك وسعديك فقال صلّى الله عليه وسلّم **(أتحبين أن ترجعي)** فقالت لا والله يا رسول الله إني وجدت الله خيرا لي من أبوي ووجدت الآخرة خيرا لي من الدنيا.

وأورد القاضي عياض في الشفاء عن الحسن البصري أنه أتى رجل النبي صلّى الله عليه وسلّم فذكر أنه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه صلّى الله عليه وسلّم إلى الوادي وناداها باسمها **(يا فلانة أحيي بإذن الله)** فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها **(إن أبويك قد أسلما فإن أحببت أن أردك عليهما)** قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما.

وأخرج أبو نعيم عن ضمرة قال كان لرجل غنم وكان له ابن يأتي النبي صلّى

الله عليه وسلّم بقدح من لبن إذا حلب ثم إن النبي صلّى الله عليه وسلّم افتقده فجاء أبوه فأخبر أن ابنه هلك فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**أتريدان أدعو الله أن ينشره لك أو تصبر فيؤخره لك إلى يوم القيامة فيأتيك ابنك فيأخذ بيدك فينطلق بك إلى باب الجنة، فتدخل من أي أبواب الجنة شئت**) قال الرجل من لي بذلك يا نبي الله، قال (**هو لك ولكل مؤمن**). وهذا الحديث وإن لم يقع فيه إحياء الموتى بالفعل إلا أنه كأنه حصل لتخيير النبي صلّى الله عليه وسلّم الرجل في إحياء ولده فلو اختار ذلك لدعا الله أن يحييه فيحييه معجزة له صلّى الله عليه وسلّم ولو لم يعلم عليه الصلاة والسلام ذلك يقينا لما خير هذا التخيير.

وقد صح أنه وقع إحياء الموتى كرامة لكثير من أولياء أمته صلّى الله عليه وسلّم من الصحابة فمن بعدهم وسيأتي في الكرامات في خاتمة هذا الكتاب كثير من ذلك وكلها من جملة معجزاته صلّى الله عليه وسلّم كسائر كرامات الأولياء كما يأتي بسطه في الخاتمة. وأذكر هنا حديث المرأة الصحابية التي أحيا الله ولدها في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

أخرج ابن عدي وابن أبي الدنيا والبيهقي وأبو نعيم عن أنس رضي الله عنه قال كنا في الصفة عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأتته عجوز عمياء مهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة فمرض أياما ثم قبض فغمضه النبي صلّى الله عليه وسلّم وأمرنا بجهازه قال فلما أردنا أن نغسله قال صلّى الله عليه وسلّم (**يا أنس ائت أمه فأعلمها**) قال فأعلمتها فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما ثم قالت مات ابني فقلنا نعم فقالت اللّهمّ إنك تعلم إني أسلمت إليك طوعا وخلعت الأوثان زهدا وخرجت إليك رغبة، اللّهمّ لا تشمت بي عبدة الأوثان ولا تحملني في هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحمله فوالله ما انقضى كلامها حتى حرك قدميه وألقى الثوب عن وجهه وطعم وطعمنا معه وعاش حتى قبض النبي صلّى الله عليه وسلّم وهلكت أمه رضي الله عنهما.

الجلد الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

(ومن دلائل نبوته صلّى الله عليه وسلّم)

إن الله تعالى ألهم من جاء بعد الصحابة رضي الله عنهم من الأئمة، وسادات الأمة، جمع أحاديثه صلّى الله عليه وسلّم وتدوينها في الكتب لأنها بعد القرآن عليها مدار أحكام الإسلام فهي الركن الثاني لشريعته، وبيان أحكام دينه وملته، صلّى الله عليه وسلّم فشمروا رضي الله عنهم عن ساعد الجد والاجتهاد، وحرموا نفوسهم لذيذ الرقاد، ورحلوا في تطلبها إلى أقاصي البلاد، وقطعوا للحصول عليها المفاوز والقفار، وخاضوا لنوال جواهرها العزيزة لجج البحار، حتى أخذها الصغار عن الكبار، وربما وجد الكبير عند الصغير ما ليس عنده منها فيأخذه عنه بدون استكبار، ودققوا غاية التدقيق في أحوال الرجال الذين يروونها عنهم وميزوا درجاتهم في الصدق والكذب والحفظ والنسيان والتيقظ والغفلة وما أشبه ذلك من الأوصاف المحمودة والمذمومة في الرواة وجعلوا أحاديثه صلّى الله عليه وسلّم بحسب ذلك أقساما الصحيح والحسن والضعيف وقسموا هذه أيضا أقساما وألفوا الكتب الحافلة في علل الرجال ومصطلح الحديث وجمعوا أحاديثه صلّى الله عليه وسلّم ورتبوها، وفصلوها وبوبوها، بأسانيدهم المعروفة عن فلان عن فلان إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فزادت عن مئات ألوف جمعوا بها أقواله وأفعاله وأحواله وتقريراته صلّى الله عليه وسلّم حتى ضبطوا بذلك شريعته الغراء صلّى الله عليه وسلّم أحسن ضبط وحموا حماها من أن يدخل فيها ما ليس منها من كذب الكذابين وتحريف الملحدين مع كثرة أعدائها من الزنادقة وأهل الكتاب ولما كان نقلها وحفظها على هذا الوجه البالغ منتهى الضبط والإتقان أمرا عظيما يكاد أن لا يكون في طاقة البشر قيض الله لها رجالا من أفراد الأمة المحمدية عربها وعجمها بلغوا في وفرة العقل وحدة الذهن وسرعة الفهم وجودة الحفظ وقوة الدين وكثرة الصدق والأمانة والجد والاجتهاد

وعلو الهمم ما لم يسبق نظيره لأحد من سائر الأمم فقد كان الحافظ من هؤلاء يرحل من الشرق إلى الغرب في طلب حديث واحد يبلغه أنه عند الشيخ الفلاني ولا يرى أن يرويه عنه بواسطة فيرحل في طلبه ليرويه عنه مباشرة كالبخاري رحمه الله وكان الرجل منهم يرحل إلى أقصى البلاد لأخذ الحديث عن شيخ يكون قد سمع به فإذا وصل إليه ورأى منه أدنى شيء يدل على عدم الاستقامة في الدين وآداب الشريعة يتركه ولا يأخذ عنه شيئا ومنهم من كان يأخذ عن ألف شيخ كالطبراني ومنهم من كان يحفظ نحو ألف ألف حديث بأسانيدها مع معرفة أحوال رواتها والتمييز بين درجاتها كالإمام أحمد. قال الإمام الشعراني[١] في الباب السادس من **المنن الكبرى** نقل ابن السبكي يعني في طبقات الشافعية الكبرى إن كتب خزانة المكتبة النظامية حرقت في زمان حياة نظام الملك فشق عليه ذلك فقالوا له لا تخف فإن ابن الحداد يملي للكتاب جميع ما حرق من حفظه فأرسلوا خلفه فأملى جميع ما حرق في مدة ثلاث سنين ما بين تفسير وحديث وفقه وأصول ونحو ذلك. قال وحكا لي الجلال السيوطي عن محمد بن جرير الطبري أنه كان يحفظ من العلم وقر ثمانين بعيرا. قال وحكي الشيخ تقي الدين السبكي أن محمد بن الأنباري كان يحفظ في كل جمعة عشرة آلاف ورقة. وأن الأمام الواحدي[٢] كان يحفظ من كتب العلم وقر مائة وعشرين بعيرا. وأن الإمام الشافعي رضي الله عنه كان يقول ما سمعت شيئا قط ونسيته بعد ذلك. قال وروينا عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه أنه كان يقول لو شئت لاوقرت لكم ثمانين بعيرا من معنى الباء. وكان الإمام الليث ابن سعد رضي الله عنه يقول لو كتبت ما في صدري ما وسعه مركب انتهى. وبهذا تعلم أن ذلك كان في تلك الأعصر المتقدمة آية من آيات الله تعالى على صحة دين الإسلام جعل الله أولئك الأئمة مظهرا لحفظ هذا الدين المبين وضبط شريعة سيد

---

(١) عبد الوهاب الشعراني الشافعي توفي سنة ٩٧٣ هـ. [١٥٦٥ م].

(٢) علي بن أحمد الواحدي توفي سنة ٤٦٨ هـ. [١٠٧٥ م.] في نيشابور.

المرسلين صلّى الله عليه وسلّم ولما تم ذلك على أتم وجه وجمعت الشريعة المحمدية الكتبُ والدواوين تمت بذلك الحكمة، ولم يجيء أحد في درجة أولئك الأئمة. وإن كان لا يزال في كل عصر والحمد لله كثير من الأفاضل المحققين الأئمة. والهداة المهديين من علماء هذه الأمة.

(ومن دلائل نبوته صلّى الله عليه وسلّم)

إن الله تعالى وله الحمد والمنة كما قيض لشريعته المحمدية، البيضاء النقية، أولئك الحفاظ الأيقاظ، والأفراد الأفذاذ، خصص سبحانه من خاصتهم أئمة مجتهدين، رتبتهم في العلم فوق رتبة أولئك الكتبة الحافظين، إذا حلف الحالف أن كل واحد منهم في العلم بمنزلة أمة من الأمم لا يحنث ولا يمين. فاجتهدوا فيها، وشرحوا دقائق معانيها، وظهر باجتهادهم للناس خافيها كباديها، وأوضحوا لهم الصراط المستقيم بمذاهبهم فيها، وأولئك الحفاظ وإن كانت درجتهم لا درجة فوقها إلا النبوة من جهة حملهم شرع الرسول، صلّى الله عليه وسلّم وبلوغهم وتبليغهم منه غاية المأمول، فالأئمة المجتهدون أعلى درجة ممن سواهم من الحفاظ لأنهم شاركوهم في الحفظ وسائر أوصافهم الجميلة الجليلة وامتازوا عنهم بجمع علوم الاجتهاد وقوة الإدراك ووفرة العقل إلى الدرجة العليا التي أهلهم الله بها لأن يكونوا في فهم الشريعة المحمدية من الكتاب والسنة وغيرهما مما يرجع إليهما قدوة لجميع المسلمين من أهل السنة والجماعة من عصرهم إلى الآن وإلى ما شاء الله وقد كانوا في عهد السلف الصالح كثيرين ولكن الله تعالى نفذت إرادته واقتضت حكمته أن يجمع هذه الأمة المرحومة على أربعة من ساداتهم وكلهم سادات وهم: الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي[١] الذي حملوا عليه قوله صلّى الله عليه وسلّم **(لو كان العلم بالثريا لناله رجال من أبناء فارس)**. والإمام مالك بن أنس الأصبحي المدني[٢] الذي حملوا عليه

---

(١) الإمام الأعظم أبو حنيفة توفي سنة ١٥٠ هـ. [٧٦٧ م.] في بغداد.

(٢) الإمام مالك بن أنس ولد سنة ٩٠ هـ. توفي سنة ١٧٩ هـ. في المدينة المنورة.

قوله صلّى الله عليه وسلّم (**يوشك أن تضرب الناس آباط الإبل فلا يجدون أعلم من عالم المدينة**). وإمامنا الإمام محمد بن إدريس الشافعي[١] المحمول عليه قوله صلّى الله عليه وسلّم (**عالم قريش يملأ طباق الأرض علما**). والإمام أحمد بن حنبل[٢] صاحب المسند الكبير وهو أكثرهم حديثا رضي الله عنهم أجمعين ونفعنا ببركاتهم آمين. فدونوا مذاهبهم وقدر الله تعالى انقراض مذاهب من عداهم لأنه سبحانه لم ييسر لهم أصحابا يحفظونها ويشرحونها ويبلغونها من بعدهم كهؤلاء الأربعة فإن الله يسر لكل واحد منهم أصحابا من الأئمة الكبار حفظوا مذهبه وشرحوه وبلغوه إلى من بعدهم طبقة بعد طبقة ومعنى مذهبه ما ذهب إليه وفهمه في شرحه وتوضيحه وتبيينه لمعاني كتاب الله وأحاديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم باجتهاده بقدر وسعه وطاقته فأتباعه إنما يقلدونه في فهم معاني الكتاب والسنة ويتعبدون الله بما شرعه في كتابه وسنة رسوله صلّى الله عليه وسلّم التي هي شرح لكتاب الله تعالى.

والحاصل: إن أئمة الأمة لما كانوا لا قدرة لهم على استنباط جميع الأحكام من كتاب الله تعالى شرحه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بسنته وفي الحقيقة هي كلها من الله قال تعالى (**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى** * النجم: ٤-٣) وكما أن شرح كتاب الله على هذا الوجه لا يقدر عليه إلا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كذلك شرح الكتاب والسنة واستنباط الأحكام الشرعية منهما لا يقدر عليه إلا سادات الأمة وأكابر الأئمة الراسخون في العلم ولذلك قيض الله الأئمة المجتهدين فشرحوا بمذاهبهم معاني الكتاب والسنة على الوجه الذي أقدرهم الله عليه بقدر وسعهم وطاقتهم بعد أن منحهم سبحانه الإحاطة بجميع الأدوات والشروط اللازمة لذلك من العلوم العقلية والنقلية وقوة الإدراك وحدة الذهن ووفور العقل وغيرها وأصل جميع ذلك التقوى التي امتازوا بها والنور الإلهي الذي قذفه الله في قلوبهم

---

(١) الإمام محمد بن إدريس الشافعي توفي سنة ٢٠٤ هـ. [٨٢٠ م.] في القاهرة.

(٢) الإمام أحمد بن حنبل توفي سنة ٢٤١ هـ. [٨٥٥ م.] في بغداد.

واختصهم به لما سبق في علمه سبحانه أن يجعلهم قدوة للأمة المحمدية فيما ذهبوا إليه من أحكام شرعه القويم التي فهموها من كلامه تعالى وكلام رسوله صلّى الله عليه وسلّم وما لم يخرج عنهما من الإجماع والقياس وقد روي عن كل واحد من هؤلاء الأئمة الأربعة التبري من الرأي وقوله إذا صح الحديث فهو مذهبي واضربوا بقولي الحائط أي اتبعوا حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا صح وارفضوا قولي رفضا بتّا بلا رعاية ولا كرامة إذ ليس أحد منهم مشرعا وإنما المشرع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بما يرويه عن الله تعالى من الكتاب والسنة فإذا صح عنه حديث يخالف قول ذلك الإمام يرفض قوله ويتبع الحديث لأنه قد ظهر بصحة الحديث أن مستند ذلك القول ضعيف وإن كان حينما استند إليه الإمام كان قويا لعدم اطلاعه على ذلك الحديث الصحيح الذي ظهر بعد ذلك والمخاطب بقوله إذا صح الحديث فهو مذهبي، إنما هو أصحابه الأئمة الفحول الجامعون بين المعقول والمنقول ومن يأتي بعدهم ممن هو على شاكلتهم من علماء مذهبه الأعلام أهل الترجيح وجلهم بل كلهم كانوا حافظين لحديث رسول الله واقفين على أدلة جميع المذاهب أتم وقوف متبحرين في العلوم العقلية والنقلية من أصول وفروع وهم مجتهدوا المذاهب ومجتهدوا الفتيا المتأهلون لترجيح أقوال إمامهم على قواعده بحسب قوة الدليل من الكتاب والسنة وما لم يخرج عنهما فهؤلاء هم الذين عناهم ذلك الإمام بقوله إذا صح الحديث فهو مذهبي واضربوا بقول الحائط. لأنهم يطبقون بين الحديث الذي استند إليه الإمام في قوله وبين هذا الحديث الذي صح بعده وينظرون أيهما أصح سندا وأثبت رواة وأيهما آخر الحديثين حتى يكون المتأخر ناسخا للمتقدم ونحو ذلك مما يلزم من يريد الترجيح بين القولين معرفته من أوصاف أدلة الأحكام أو يكون الإمام قد استدل على مسألة بالقياس لعدم اطلاعه على حديث يصلح دليلا لها ثم اطلع أصحابه بعده على حديث صح في ذلك فأثبتوا به الحكم على ما يخالف ما ذهب إليه الإمام في تلك المسألة ومع ذلك لا يخرج كل واحد منهم في الترجيح عن قواعد

إمامه صاحب المذهب الذي هو تابعه وبذلك تظهر حكمة اعتماد بعض الأقوال في المذاهب مع كونها مخالفة لأصل المذهب وحكمة اعتماد كتب الفقهاء المتأخرين وترجيحها على كتب المتقدمين فما ذلك إلا بترجيح الدليل وأن المتأخر من أهل الترجيح قد يطلع على ما لم يطلع عليه المتقدم من أدلة الأحكام وصحتها فيحصل الترجيح بحسب ذلك متى استوفى شروطه اللازمة فالراجح هو ما كان موافقا لحكم الله وحكم رسوله بعد إفراغ المجتهد المطلق ثم مجتهد المذهب ثم مجتهد الفتوى وسعه وطاقته لمعرفة ذلك عند توفر شرائط اجتهاده فيه قد تبين أن المقلدين للأئمة أصحاب المذاهب الأربعة الذين اتفقت على تقليدهم الأمة إنما تبعوا أحكام الله ورسوله وليس لذلك الإمام الذي قلدوه سوى أنه فهم من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلّى الله عليه وسلّم ما لم يقدروا على فهمه فقلدوه في ذلك وقد قال الله تعالى (**وَاسألوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** * الأنبياء: ٧) وقال تعالى (**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ** * النساء: ٨٣) إذا علمت ذلك تعلم أن ما خص الله به هذه الشريعة المحمدية من اجتهاد الأئمة وتدوين مذاهبهم فيها وجمع الأمة الإسلامية عليها هو من أكبر الآيات على نبوة سيد السادات صلّى الله عليه وسلّم، كما جعل الله تعالى للأمة أئمة في العقائد حفظوها من أن يدخل فيها ضُلاّل الزنادقة والملحدين وسائر أعوان الشياطين ما ليس منها مما لا يليق بالله سبحانه وتعالى عما يقول الجاحدون والجاهلون علوا كبيرا وهم فرقتان من أتباع الأئمة الأربعة كل منهما على هدى من الله تعالى أحداهما أبو الحسن الأشعري[١] الشافعي وأتباعه من الشافعية والمالكية والأخرى أبو منصور الماتريدي[٢] الحنفي وأتباعه من الحنفية رضي الله عنهم وعن سائر أئمة المسلمين أجمعين إذ لولا أن الله تعالى منّ على هذه الأمة المرحومة بهم وبمذاهبهم التي ضبطوا فيها دين الإسلام وحموه من أن يدخل

---

(١) أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل توفي سنة ٣٢٤ هـ. في بغداد.

(٢) أبو منصور محمد بن محمود الماتريدي توفي سنة ٣٣٣ هـ. في سمرقند.

فيه ما ليس منه لصار الدين ألعوبة بأيدي الملاحدة اللئام، والجهلة الطغام، كما وقع ذلك للأديان السابقة وكتبها ولا يخفى ما حصل فيها من التلاعب والتغيير والتبديل والزيادة والنقص والتحريف والتصحيف على حسب الأهواء والأغراض حتى صارت بمعزل عما كانت عليه في أزمنة الرسل عليهم السلام فالحمد لله رب العالمين. وصلى الله عليه سيدنا محمد وآله وأصحابه والمجتهدين وأتباعهم بحق إلى يوم الدين.

(واعلم أنه قد انقطع الاجتهاد)

منذ مئات من السنين باتفاق علماء المذاهب الذين يعول عليهم وهم سادات الأمة وحماة دينها ولم يبق لكل مسلم إلا أن يتبع مذهبا من هذه المذاهب الأربعة لعجزه عن فهم الكتاب والسنة بنفسه فيكون قد اتبع كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلّى الله عليه وسلّم مقلدا في فهمهما ذلك الإمام ومن تبعه من أئمة مذهبه الذين اطلعوا على كلامه جيلا بعد جيل، وطبقوه على أدلة الكتاب والسنة قبيلا بعد قبيل، فما رأوه موافقا لها من أحكام المذهب وأكثره كذلك قبلوه وأثبتوه واعتمدوه، وما رأوه مخالفا وهو النّزر القليل زيفوه وضعفوه. جاعلين محط نظرهم كتاب الله وسنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وما لم يخرج عنهما من الإجماع والقياس بدون محاباة لإمامهم ولمن وافقه على قوله الضعيف ممن جاء بعده من أئمتهم فالأمة المحمدية ولله الحمد لم تخرج باقتدائها بهؤلاء الأئمة عن اتباعها لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلّى الله عليه وسلّم أما الاجتهاد فلا يدعيه اليوم إلا مختل العقل والدين إلا من طريق الولاية كما قاله الشيخ الأكبر محي الدين. قال الإمام المناوي[١] في أول شرحه الكبير على الجامع الصغير من عبارة طويلة: قال العلامة الشهاب ابن حجر الهيتمي لما ادعى الجلال السيوطي الاجتهاد قام عليه معاصروه ورموه عن قوس واحدة وكتبوا له سؤالا فيه مسائل أطلق الأصحاب فيها وجهين وطلبوا منه إن كان عنده أدنى مراتب الاجتهاد وهو اجتهاد الفتوى فليتكلم على الراجح من تلك إلا وجه وعلى الدليل على قواعد

(١) عبد الرؤف المناوي الشافعي توفي سنة ١٠٣١ هـ. في القاهرة.

المجتهدين فرد السؤال من غير كتابة واعتذر بأن له أشغالا تمنعه من النظر في ذلك. قال الشهاب فتأمل صعوبة هذه المرتبة عني اجتهاد الفتوى الذي هو أدنى مراتب الاجتهاد يظهر لك أن مدعيها فضلا عن مدعي الاجتهاد المطلق في حيرة من أمره وفساد في فكره وأنه ممن ركب متن عمياء وخبط خبط عشواء. قال ومن تصور مرتبة الاجتهاد المطلق استحيا من الله أن ينسبها لأحد من أهل هذه الأزمنة بل قال ابن الصلاح ومن تبعه أنها انقطعت من نحو ثلاثمائة سنة ولابن الصلاح[١] نحو الثلاثمائة سنة أي لأنه من أهل القرن السادس فتكون اليوم قد انقطعت من ستمائة سنة (أي بالنظر إلى عصر ابن حجر وهو من أهل القرن العاشر فيكون لها الآن منقطعة نحو ألف سنة إذ نحن في العام السابع عشر من القرن الرابع عشر) قال بل نقل ابن الصلاح عن بعض الأصوليين أنه لم يوجد بعد عصر الشافعي مجتهد مستقل ثم قال الشهاب ابن حجر وإذا كان بين الأئمة نزاع طويل في أن إمام الحرمين وحجة الإسلام الغزالي وناهيك بهما هل هما من أصحاب الوجوه أو لا فما ظنك بغيرهما بل قال الأئمة في الروياني صاحب البحر إنه لم يكن من أصحاب الوجوه هذا مع قوله لو ضاعت نصوص الشافعي لامليتها من صدري فإذا لم يتأهل هؤلاء الأكابر لمرتبة الاجتهاد المذهبي فكيف يسوغ لمن لم يفهم أكثر عباراتهم على وجهها أن يدعي ما هو أعلى من ذلك وهو الاجتهاد المطلق سبحانك هذا بهتان عظيم انتهى. وفي الأنوار عن الإمام الرافعي الشافعي القوم كالمجمعين على أنه لا مجتهد اليوم. وقال عالم الأقطار الشامية ابن أبي الدم بعد سرده شروط الاجتهاد المطلق: هذه الشرائط يعز وجودها في زماننا في شخص من العلماء بل لا يوجد في البسيطة اليوم مجتهد مطلق بل ولا مجتهد في مذهب إمام تعتبر أقواله وجوها مخرجة على مذهب إمامه ما ذاك إلا أن الله أعجز الخلائق عن هذا إعلاما لعباده بتصرم الزمان وقرب الساعة وإن ذلك من أشراطها. وقد قال شيخ الأصحاب القفال الفتوى قسمان أحدهما

---

(١) ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن الشافعي توفي سنة ٦٤٣ هـ.

من جمع شرائط الاجتهاد وهذا لا يوجد. والثاني من ينتحل مذهب واحد من الأئمة كالشافعي وعرف مذهبه وصار حاذقا فيه بحيث لا يشذ عنه شيء من أصوله فإذا سئل عن حادثة فإن عرف لصاحبه نصا أجاب عليه وإلا يجتهد فيها على مذهبه ويخرجها على أصوله وهذا أعز من الكبريت الأحمر فإذا كان هذا قول القفال مع جلالة قدره وكون تلامذته وغلمانه أصحاب وجوه في المذهب فكيف بعلماء عصرنا ومن جملة غلمانه القاضي حسين والفوراني ووالد إمام الحرمين والصيدلاني والبوشنجي وغيرهم وبموتهم وموت أصحاب أبي حامد انقطع الاجتهاد وتخريج الوجوه من مذهب الشافعي وغايتهم نقله وحفظه فأما في هذا الزمان فقد خلت الدنيا منهم وشغر الزمان عنهم إلى هنا كلام ابن أبي الدم. وقد صرح حجة الإسلام الغزالي[١] بخلو عصره عن مجتهد حيث قال في الإحياء في تقسيمه للمناظرات ما نصه: أما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كل أهل العصر فإنما يفتي فيه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يتركه. وقال في الوسيط هذه الشروط يعني شروط الاجتهاد المعبرة في القاضي قد تعذرت في عصرنا انتهت عبارة الشرح الكبير للمناي باختصار ومن أراد الاطلاع على أبسط من هذا في هذا البحث فليراجعها ويراجع حاشية ابن قاسم على جمع الجوامع وفتاوى ابن حجر وفتاوى الشيخ محمد بن سليمان الكردي[٢] وغيرها من كتب الأصول والفقه يجد العلماء قد اتفقوا على انقطاع الاجتهاد المذهبي فضلا عن الاجتهاد المطلق. قال العلامة الكردي المذكور بعد أن نقل عن الأئمة انقطاع الاجتهاد منذ عصور طويلة وقول الفخر الرازي والإمامين الرافعي والنووي الناس كالمجمعين اليوم على أنه لا مجتهد حكمُ من لم يبلغ رتبة الاجتهاد إذا رأى حديثا صحيحا ولم تسمع نفسه بمخالفته أن يفتش عمن أخذ به من المجتهدين فيقلده فيه كما نبه عليه الإمام العمدة

---

(١) حجة الإسلام الإمام محمد الغزالي توفي سنة ٥٠٥ هـ. في طوس.

(٢) محمد بن سليمان الشافعي توفي سنة ١١٩٤ هـ. في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

المحقق القدوة النووي في الروضة إذ الاستنباط من الكتاب والسنة لا يجوز إلا لمن بلغ رتبة الاجتهاد كما نصوا عليه انتهى.

إذا علمت ذلك أيها الواقف على كتابي هذا تعلم أن ما يهذي به الآن بعض طلبة العلم من بلوغهم درجة الاجتهاد المطلق وأنهم تأهلوا لاستنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة بأنفسهم و لم يبق لهم حاجة إلى تقليد أحد من الأئمة الأربعة حتى تركوا مذاهبهم التي نشؤا عليها وصاروا يعترضون بأفهامهم السقيمة على المذاهب ويقولون نحن لا نعمل بآراء الرجال. وما أشبه ذلك من عبارات المغرورين الجهال هو من الوساوس الشيطانية والدعاوي النفسانية التي حملهم عليها قلة العقل والدين ورضاهم عن نفوسهم وجهلهم بما انطوت عليه من العيوب وقد انعكس عليهم ما أرادوه من هذا الهوس والحماقة والوقاحة فلم يحصلوا مطلوبهم من علو المترلة عند الناس ومقتهم الله وكره فيهم خلقه فصاروا عندهم مرذولين يهزؤون بهم.

ومن جهلت نفسه قدره * رأى غيره منه ما لا يرى

وقد رأيت بعضهم يدعو عوام الناس إلى استنباط الأحكام الشرعية من القرآن وصحيح البخاري[١] فانظر هذا الجهل العظيم والضلال المبين، فإياك يا أخي ثم إياك من الاجتماع على أمثال هؤلاء الحمقى وألزم مذهبك وقلد أي إمام شئت من الأئمة الأربعة بدون تتبع الرخص والتلفيق في الأحكام بحيث يحصل من ذلك هيئة لا يقول بها إمام منهم فإن ذلك ممنوع وعليك إذا كنت أهلا بقراءة الأحاديث النبوية لتعرف أدلة مذهبك وتعمل بأحاديث الترغيب والترهيب وتعرف عظمة دين الإسلام وتفرعاته وعقائده وكمالات الله تعالى وأسماءه وصفاته وسيرة النبي صلّى الله عليه وسلّم وفضائله ومعجزاته وأحوال الدنيا والآخرة والبعث والنشور والجنة والنار وأخبار الملائكة والجن والأمم السالفة وفضل النبيين وكتبهم وتفضيل النبي وكتابه عليهم ومناقب آله وأصحابه وأشراط الساعة وسائر العلوم والآداب الدنيوية والأخروية فقد

---

(١) الإمام البخاري محمد بن إسماعيل توفي سنة ٢٥٦ هـ. في سمرقند.

جمعت أحاديثه صلّى الله عليه وسلّم علوم الأولين والآخرين إذا علمت ذلك تعلم شدة جهل من يقول إذا لم نأخذ الأحكام الشرعية من الأحاديث فما فائدتها. فهذه فوائد لا تعد ولا تحصى وهي معظم دين الإسلام أما أحاديث الأحكام الواردة في نحو الصلاة والصيام والحج والزكاة والمعاملات وهي على ما قال بعضهم نحو الخمسمائة حديث فإذا رأيت منها حديثا صحيحا لا يوافق مذهبك فقلد بالأخذ بذلك الحديث من أخذ به من الأئمة ولا تجد حديثا صحيحا إلا وقد أخذ به إمام منهم ولعل إمامك أطلع عليه ولكن عارضه حديث أصح عنده منه أو متأخر صدوره من النبي صلّى الله عليه وسلّم عنه فنسخه أو غير ذلك مما يعلمه المجتهدون وإذا أردت أنت العمل به فحسن ولكن يلزمك تقليد الإمام الذي أخذ به لأنه لم يأخذ به إلا وقد انتفى عنده المانع من العمل به مع اطلاعه هو على ما لم تطلع عليه أنت من أدلة الأحكام وتأهله لذلك وإذا عملت بحكم مذهبك فلا حرج عليك فإنه لابد أن يكون عن دليل قام عند إمامك وإن لم تطلع عليه أنت فإن الأئمة لم يخرجوا عن الكتاب والسنة قيد شعرة ما وجدوا فيهما دليلا على المسألة بل هم أفضل من ذلك وأتقى وأورع وإنما هم بمذاهبهم شرحوا الكتاب والسنة وبينوا للناس معانيهما وأحكامهما وقربوها لأفهامهم وضبطوها ضبطا لولا إعانة الله لهم عليه لما كان في وسع البشر الإتيان بمثله ولذلك كانت مذاهبهم هي من دلائل نبوة سيد المرسلين وصحة دينه المبين صلّى الله عليه وسلّم. واختلاف الأئمة رضي الله عنهم ليس هو في أصول الدين وعقائد التوحيد التي يترتب على الاختلاف فيها محظور ولم يختلفوا أيضا في معظم الأحكام الشرعية المعلومة من الدين بالضرورة والتي تواترت أحاديثها واستفاضت أخبارها عن النبي صلّى الله عليه وسلّم وإنما اختلافهم في بعض الفروع بحسب ما قام عند كل منهم من قوة الدليل فكان اختلافهم هذا رحمة للأمة تقلد أيهم شاءت بدون حرج ولا تضييق كما قال صلّى الله عليه وسلّم (**اختلاف أمتي رحمة**) رواه البيهقي[1]

(1) الإمام أحمد بن حسين البيهقي توفي سنة ٤٥٨ هـ. في نيشابور.

وغيره كما في الجامع الصغير. قال المناوي في شرحه الكبير: اختلافهم توسعة على الناس بجعل المذاهب كشرائع متعددة بعث النبي بكلها لئلا تضيق بهم الأمور و لم يكلفوا ما لا طاقة لهم به توسعة في شريعته السمحة السهلة، فاختلاف المذاهب نعمة كبيرة وفضيلة جسيمة خصت بها هذه الأمة وقد وعد بوقوع ذلك فوقع من معجزاته صلّى الله عليه وسلّم، أما الاجتهاد في العقائد فضلال ووبال كما تقرر والحق ما عليه أهل السنة والجماعة فقط. فالحديث إنما هو في الاختلاف في الأحكام ولما روى من أن مالكا لما أراده الرشيد على الذهاب معه إلى العراق وأن يحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على القرآن فقال مالك أما حمل الناس على الموطأ فلا سبيل إليه لأن الصحابة افترقوا بعد موت النبي صلّى الله عليه وسلّم في الأمصار فحدثوا فعند أهل كل مصر علم وقد قال عليه الصلاة والسلام (**اختلاف أمتي رحمة**) قال وفيه رد على المتعصبين لبعض الأئمة على بعض وقد عمت به البلوى وعظم الخطر، ثم قال ويجب علينا أن نعتقد أن الأئمة الأربعة والسفيانين والأوزاعي وداود الظاهري وإسحاق بن راهويه وسائر الأئمة على هدى والمصيب منهم في الفروع واحد وفاقا للجمهور ومن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر وعلى غير المجتهد أن يقلد مذهبا معينا وقضية جعل الحديث الاختلاف رحمة جواز الانتقال من مذهب إلى آخر والصحيح عند الشافعية: الجواز، لكن لا يجوز تقليد الصحابة وكذا التابعين كما قاله إمام الحرمين[١] من كل من لم يدون مذهبه فيمتنع تقليد غير الأربعة في القضاء والإفتاء لأن مذاهب الأربعة انتشرت وتحررت حتى ظهر تقييد مطلقها وتخصيص عامها بخلاف غيرهم لانقراض أتباعهم وقد نقل الإمام الرازي إجماع المحققين على منع العوام من تقليد أعيان الصحابة وأكابرهم نعم يجوز لغير عامي من الفقهاء تقليد غير الأربعة في العمل لنفسه إن علم نسبته لمن يجوز تقليده واجتمعت شروطه عنده لكن بشرط أن لا يتبع الرخصة بأن يأخذ من كل مذهب الأهون بحيث تنحل

---

(١) إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الشافعي توفي سنة ٤٧٨ هـ.

رتبة التكليف من عنقه وإلا لم يجز انتهى كلام المناوي باختصار. وإذا أردت أن تقف على فضل المذاهب والمجتهدين ولاسيما الأئمة الأربعة وتعلم أن مذاهبهم لم تخرج عن الكتاب والسنة وما يؤل إليهما من الإجماع والقياس وتبريهم من الرأي وتطلع على بسط الكلام في هذا البحث فعليك بكتب الإمام الشعراني فقد اعتنى بذلك في مؤلفاته كمال الاعتناء ولاسيما **الميزان الكبرى** و**الميزان الخضرية** فإنه إنما ألفهما في هذا الشأن خاصة فيلزم كل طالب علم الاطلاع عليهما ليعرف كيف خدم الأئمة المجتهدون الشريعة المطهرة فكانوا رحمة على هذه الأمة المحمدية وهذان الكتابان ميسر الحصول عليهما لكل أحد فلا حاجة للتطويل بنقل كثير من عباراتهما ولكن لا بأس بنقل بعض غرر فوائده تتميما للمقصود. قال رحمه الله تعالى في الميزان الكبرى: واعلم يا أخي أن الأئمة المجتهدين ما سموا بذلك إلا بذل أحدهم وسعه في استنباط الأحكام الكامنة في الكتاب والسنة فإن الاجتهاد مشتق من الجهد والمبالغة في إتعاب الفكر وكثرة النظر في الأدلة فالله تعالى يجزي جميع المجتهدين عن هذه الأمة خيرا فإنهم لولا استنبطوا للأمة الأحكام من الكتاب والسنة ما قدر أحد من غيرهم على ذلك.

وقال في اليواقيت والجواهر سمعت سيدي عليا الخواص يقول ما تم لنا قول إلاّ وأصله مجمل في الكتاب والسنة ولولا ذلك ما قال الله تعالى لمحمد صلّى الله عليه وسلّم (**لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** * النحل: ٤٤) بل كان يكتفي بتبليغه للقرآن قال ولما كان من المعلوم أنه لا يفصل العبارة إلا العبارة نابت الرسل عليهم الصلاة والسلام عن الحق تعالى في تفصيل ما أجمله في كتابه العزيز وناب المجتهدون مناب الرسل في تفصيل ما أجملوه في كلامهم وناب أتباع المجتهدين مناب المجتهدين فيما أجملوه من كلامهم وهكذا القول في كلام أهل كل دور ممن بعدهم إلى وقتنا هذا يفصل أهل كل دور ما أجمله الدور الذي قبله ولولا أن حقيقة هذا الإجمال سارية في العالم ما شرحت الكتب ولا ترجمت من لسان إلى لسان ولا وضع الناس على تفسير بعضهم وشروحه حواشي بل ربما وضعوا على الحواشي حواشي فعلم أن أهل

كل دور رحمة على من بعدهم قال رحمه الله فلولا بيان الشارع صلّى الله عليه وسلّم ما أجمل في القرآن بأحاديث شريعته لبقي القرآن على إجماله إلى وقتنا هذا وما كنا عرفنا كيفية تأدية الصلاة ولا الطهارة ولا عرفنا نواقض الطهارة ولا عرفنا أنصبة الزكاة ولا شروطها ولا واجبات الصوم والحج ولا مفسدها ولا كيفية العقود والمعاملات ولا غير ذلك مما هو معلوم وكذلك لولا بيان المجتهدين ما أجمل في الشريعة لمقلديهم لبقيت السنة على إجمالها وهكذا الكلام في كل دور بعدهم إلى يوم القيامة يفصل كل دور ما أجمل في كلام من قبله انتهى باختصار.

ونقل نحوه في الميزان الخضرية عن الشيخ الأكبر سيدي محي الدين ابن العربي[١] وقال إن العلماء سلكوا على مدرجة الرسل فكما يجب علينا الإيمان والتصديق بكل ما جاءت به الرسل وإن لم نفهمه فكذلك يجب علينا الإيمان والتصديق بكلام الأئمة إذا لم نفهمه حتى يأتينا عن الشارع ما يخالفه. قال وتقدم نقل الإجماع على وجوب الإيمان والتصديق بشرائع الرسل كلهم وأنها كلها حق مع اختلافها وتباينها وكذلك الحكم في مذاهب الأئمة المجتهدين يجب الإيمان بصحتها على سائر المحجوبين الذين يشهدون تباينها وتفاضلها، أما من نور الله تعالى بصيرته ووزن المذاهب كلها بهذه الميزان فلا يرى فيها تناقضا ولا تباينا بل يجدها كلها ترجع إلى الشريعة المطهرة ولا يخرج منها قول واحد عنها لعدم خروج شيء من المذاهب وأقوال مقلديها عن إحدى مرتبتي الشريعة اللتين هما التخفيف والتشديد. ثم قال بعد: أن ذكر تبري الأئمة من الرأي ونقل عباراتهم في ذلك من الصحابة فمن بعدهم فقد تبين لك يا أخي مما قررناه لك مرارا أن الأئمة كلهم دائرون مع أدلة الشريعة حيث دارت وأنهم كلهم متزهون عن القول بالرأي في دين الله تعالى وأن مذاهبهم كلها كأنها منسوجة من الشريعة المطهرة سداها ولحمتها من آياتها وأخبارها وما بقي لك عذر في التقليد لأي مذهب شئت من حيث أنهم كلهم عدول على هدى من ربهم

---

(١) الشيخ محي الدين ابن العربي محمد بن علي توفي سنة ٦٣٨ هـ. في دمشق.

وإذا صليت وراء من لم يقل بالقنوت مثلا في الصبح أو يقول به لكن قبل الركوع فوافقه عملا بحديث (**وَلاَ تَخْتَلِفُوا عليه**) أي الإمام (**فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ**) وقس على ذلك فإنا مقلدون للأئمة معتقدون أنهم كلهم على هدى من ربهم، وما طعن أحد في مذهب إمام إلا لجهله به ودقة مدارك ذلك الإمام عليه. قال وقد حث جميع الأئمة المجتهدين أتباعهم على العمل بالكتاب والسنة إذا كان كلامهم مخالفا للكتاب والسنة أو لأحدهما وتبرؤا من الرأي هضما لأنفسهم واحتياطا لها لعدم عصمتهم وأدبا مع الشارع صلّى الله عليه وسلّم والمراد بذم الرأي حيث أطلق والبدعة حيث أطلقت في كلام العلماء ما لم يكن مندرجا تحت أصل من أصول الشريعة أو قاعدة من قواعدها وكل كلام شهدت له الشريعة بالصحة أو وافق القواعد فهو من السنة وليس من الرأي في شيء ومن هنا تعلم يا أخي أن جميع ما استنبطه الأئمة المجتهدون ومقلدوهم هو مما شهدت له الشريعة بالصحة لارتباطهم كلهم بها واقتباس أقوالهم من شعاع نورها ومن قال ليست السنة إلا ما جاء صريحا في الأحاديث فكأنه رد جميع مذاهب المجتهدين وخالف الإجماع ولا يخفى سوء عقيدته فنسأل الله العافية.

وقال في اليواقيت والجواهر ونقل نحوه في الميزان الخضرية عن شيخ الإسلام زكريا[١] قد تتبعت بحمد الله أدلة المجتهدين فلم أجد فرعا من فروع مذاهبهم إلاّ وهو مستند إلى دليل إما آية أو حديث أو أثر او قياس صحيح على أصل صحيح لكن من أقوالهم ما هو مأخوذ من صريح الحديث أو الآية أو الأثر مثلا ومنها ما هو مأخوذ من المفهوم أو مأخوذ من ذلك المأخوذ وهكذا فمن أقوالهم قريب وأقرب وبعيد وأبعد وكلها مقتبسة من شعاع نور الشريعة التي هي الأصل ومحال أن يوجد فرع من غير أصل. وقال رحمه الله الحق الذي نعتقده أن الشريعة إنما كملت أحكامها بضم جميع الأحاديث والمذاهب كلها إليها فكانت أحاديث الشريعة وأقوال علمائها هي

(١) القاضي زكريا بن محمد الشافعي المصري توفي سنة ٩٢٦ هـ.

الشريعة برمتها فكأنها منسوجة ولو قدر أنا أخرجنا قولا من أقوال المجتهدين عنها لكان كالثوب الذي نقص منه خيط فضم يا أخي جميع أحاديث الشريعة وأقوال علمائها إلى بعضها بعضا وحينئذ يظهر لك عظمة الشريعة ثم تأمل فيها تجدها كلها لا تخرج عن مرتبتين تخفيف وتشديد. قال وذكر الشيخ محي الدين في الكلام على مسح الخف في الفتوحات المكية ما نصه: لا ينبغي لأحد قط أن يطعن في حكم مجتهد لأن الشرع الذي هو حكم الله تعالى قد قرر ذلك الحكم فصار شرعا لله بتقرير الله إياه. قال وهذه مسألة يقع في محظورها كثير من أصحاب المذاهب لعدم استحضارهم ما نبهناهم عليه مع كونهم عالمين به فكل من خطأ مجتهدا بعينه فكأنه خطأ الشارع فيما قرره حكما. وقال في باب الوصايا منها إياكم والطعن على أحد من المجتهدين وتقولون إنهم محجوبون عن المعارف والأسرار كما يقع فيه جهلة المتصوفة فإن ذلك جهل في مقام الأئمة فإن للمجتهدين القدم الراسخ في علم الغيوب فهم وإن كانوا يحكمون بالظن فالظن علم وما بينهم وبين أهل الكشف إلا اختلاف الطريق وهم في مقامات الرسل من حيث تشريعهم للأمة باجتهادهم كما شرعت الرسل لأممهم انتهى.

قال الإمام الشعراني وقد أجمع أهل الكشف على أنه ما من قول من أقوال علماء هذه الشريعة إلا وكان شرعا لنبي تقدم فأراد الحق تعالى بفضله ورحمته أن يكون لهذه الأمة نصيب من الأجر الذي جعل للعاملين بشريعة كل نبي.

وقال في الميزان الكبرى بعد ذكر قوله صلّى الله عليه وسلّم (**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**) ومعلوم أن المجتهدين على مدرجة الصحابة سلكوا فلا تجد مجتهد إلا وسلسلته متصلة بصحابي قال بقوله أو بجماعة منهم فإن قلت فلأي شيء قدم العلماء كلام المجتهدين من غير الصحابة على كلام آحاد الصحابة مع أن المجتهدين من فروعهم، فالجواب: إنما قدم العلماء كلام المجتهد غير الصحابي على كلام الصحابي في بعض المسائل لأن المجتهد لتأخره في الزمان أحاط علما بجميع

أقوال الصحابة أو غالبهم فرجع الأمر في ذلك إلى مرتبتي الميزان من تخفيف وتشديد لأن ما عليه جمهور الصحابة أو بعضهم لا يخرج عن ذلك. قال وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا رحمه الله تعالى يقول مرارا عين الشريعة كالبحر فمن أي الجوانب اغترفت منه فهو واحد. وسمعته أيضا يقول إياكم أن تبادروا إلى الإنكار على قول مجتهد أو تخطئته إلا بعد إحاطتكم بأدلة الشريعة كلها ومعرفتكم بجميع لغات العرب التي احتوت عليها الشريعة ومعرفتكم بمعانيها وطرقها فإذا أحطتم بها كما ذكرنا و لم تجدوا ذلك الأمر الذي أنكرتموه فيها فحينئذ لكم الإنكار والخير لكم وأني لكم بذلك فقد روى الطبراني مرفوعا (**أن شريعتي جاءت على ثلاثمائة وستين طريقة ما سلك أحد طريقة منها إلا نجا**) انتهى.

قال في الميزان الخضرية واعمل بالأحاديث التي صحت عند الأئمة ولو لم يأخذ بها إمامك تحز الخير بكلتا يديك ولا تقل إن إمامي لم يأخذ بها فلا أعمل بها لان الأئمة كلهم أسرى في يدي الشريعة لا يخرجون عنها وقد تبرؤا كلهم من القول في دين الله بالرأي الذي لم يكن مندرجا تحت أصل من أدلة الشريعة فيجب عليك يا أخي أن تحمل إمامك في كل حديث لم يأخذ به أنه لم يظفر به أو ظفر به ولكن لم يصح عنده والمذهب الواحد لا يحتوي على جميع أحاديث الشريعة أبدا وقد قال إمامك إذا صح الحديث فهو مذهبي بل ربما ترك أتباعه من المقلدين أحاديث كثيرة صحت بعده وكان الأولى لهم الأخذ بها عملا بوصية إمامهم فإن اعتقادنا في الأئمة أحدهم لو عاش وظفر بذلك الحديث الذي صح بعده لأخذ به، ثم قال واعلم أنه لا ينافي ما ذكرناه إلزام العلماء للعامة بالتزام مذهب معين وإن كان لم يرد بذلك شرع بخصوصه لأنهم ما ألزموهم بذلك إلا رحمة بهم من باب ارتكاب أخف المفسدتين فلولا إلزامهم العامي بمذهب معين لضل عن طريق الهدى لعجزه عن المشي بغير دليل انتهى. وقوله اعمل بالأحاديث التي صحت عند الأئمة يؤيد كلام النووي السابق من أن من أراد العمل بالحديث الصحيح يقلد الإمام الذي أخذ به.

(ومن أجل دلائل نبوته صلّى الله عليه وسلّم)

ما يحصل لساداتنا الصوفية بملازمتهم الطاعات والأذكار من صفاء السرائر والعلوم الوهبية، والكشف عن حقائق الأمور الخفية، والكرامات وخوارق العادات بجميع أنواعها كما كانت تحصل للرسل عليهم السلام المعجزات وكلها في الحقيقة معجزات لنبينا ودلائل على نبوته وصحة دينه صلّى الله عليه وسلّم وسيأتي بسط الكلام على الكرامات في خاتمة هذا الكتاب إن شاء الله تعالى والقصد الآن إجمال الكلام وبيان أن ما عليه الصوفية العارفون أهل الطريقة والحقيقة من الأحوال الحسنة، والأخلاق المستحسنة، والكرامات العجيبة، والعلوم الغريبة، والكمالات الظاهرة الباهرة التي لا ينكرها إلا كل أعمى البصيرة إنما هي ببركة عملهم بالشريعة المحمدية وإتباعهم لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم فحصلوا بذلك محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلّى الله عليه وسلّم كما قال تعالى (**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ** * آل عمران: ٣١) فلما أحبهم سبحانه أفرغ عليهم أصناف الكمالات، وأكرمهم بأنواع الكرامات، كما هو مشاهد منهم وذلك من أكبر الآيات البينات الدالة على صدق سيد المرسلين، صلّى الله عليه وسلّم فيما أتى به من هذا الدين المبين، وذكروا في كتبهم من فوائد المداومة على ذكر الله تعالى ولزوم آداب الطريق الشرعية ما يدهش العقول وكل من سار في طريقهم بصدق واستقامة يشاهد ذلك عيانا ولاسيما إذا لازم شيخا مرشدا كاملا رباه مرشد كامل وهكذا إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم.

(ومن أجل دلائل نبوته صلّى الله عليه وسلّم)

والبراهين الدالة على صحة دينه المبين، دين الإسلام أنه كلما دقق العاقل النظر فيه، وتوغل في فهم معانيه، وتبحر في معرفة أحكامه وفروعه وأصوله، وطبق بين معقوله ومنقوله، يزيد فيه رسوخا ومحبة وقوة اعتقاد ولذلك ترى أعقل عقلاء الأمة المحمدية، وأفضل فضلاء الملة الأحمدية، وأعلم علماء الشريعة الإسلامية، هم علماء

هذا الدين المبين، وخدام شريعة سيد المرسلين، صلّى الله عليه وسلّم وهم المحدثون والفقهاء والصوفية والمتكلمون وكل منهم ألوف كثيرة لا يمكن حصرهم وقد ملأت كتبهم الدينية من تفسير وحديث وعقائد وفقه وتصوف فضلا عن غير الدينية أقطار الأرض حتى أن فضلاء جميع الملل، وعقلاء كافة الدول، يفتخرون بالحصول على كتبهم هذه بجميع أصنافها ويتنافسون فيها غاية التنافس ويعتقدونها من أنفس الذخائر وأشرف المطالب فيجمعونها من سائر البلدان، بأغلى الأثمان، حتى صار ما عندهم منها أكثر مما عندنا معاشر المسلمين فقد أحرزوا منها مئات ألوف من المجلدات افتخروا بوضعها في مكاتبهم العمومية والخصوصية وحكمة ذلك الباطنة والله أعلم، نشر دعوة النبي صلّى الله عليه وسلّم بينهم وزيادة إقامة الحجة عليهم يوم القيامة ولهذه الحكمة اعتنوا كثيرا بنشر القرآن الكريم بينهم فطبعوه في بلادهم بغاية الإتقان، وترجموه إلى لغاتهم بكل لسان، مع أن كتبهم الدينية وتآليف علماء دينهم لم تبلغ عندهم عشر هذا الاعتبار وهي عندهم مبتذلة كالكتب العادية بل أدنى على أنا لو قابلنا جميع ما ألف في أحد الأديان المخالفة لدين الإسلام لا تقاوم في الكثرة مؤلفات أمام واحد من أئمة المسلمين وهم ألوف كثيرة من المتقدمين والمتأخرين لا يمكن حصر مؤلفاتهم ولو فرض حصرها لبلغت ألوف ألوف ألوف وهكذا إلى انقطاع النفس فقد بلغت مؤلفات الحافظ السيوطي[1] وحده نحو الخمسمائة مؤلف وكثير منها في مجلدات عديدة وأكثرها دينية وقبله الحافظ ابن حجر له تآليف كثيرة وقبله الإمامان البيضاوي وشيخ زاده وقبلهم الإمام النووي وقبلهم الشيخ الأكبر سيدنا محي الدين ابن العربي بلغت مؤلفاته المئين وكثير منها عدة مجلدات وكلها دينية وقبله الإمام الغزالي كذلك وقبلهم وفي أعصارهم وبعدهم أئمة كثيرون كالشعراني وابن حجر المكي والمناوي وعلي القاري وابن كمال باشا ولو أردنا لعددنا من أئمة

---

(1) الإمام حافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي توفي سنة ٩١١ هـ. [١٥٠٥ م.].

دين الإسلام ألوفا ممن عرفناهم فضلا عمن لم نعرفهم و لم نسمع بهم و لم نطلع على مؤلفاتهم من عهد السلف الصالح إلى الآن بخلاف سائر الأديان بل لا يقابل جميع ما ألف فيها كتابا واحدا من مؤلفات بعض أكابر علماء الإسلام كتفسير الشيخ الأكبر فإنه مائة مجلد ومثله تفسير الإمام البيضاوي ومثله تفسير ابن النقيب المقدسي، وأعظم من ذلك ما ذكره سيدي عبد الوهاب الشعراني في الباب السادس من المنن الكبرى من أن أصحاب الطبقات نقلوا أن ابن شاهين[١] الحافظ صنف ثلاثمائة وثلاثين مؤلفا منها تفسيره للقرآن في ألف مجلد ومنها المسند في الحديث في ألف وستمائة مجلد وغير ذلك وأنه حاسب الحبار على استجراره منه الحبر للكتابة أواخر عمره فبلغ ألف رطل وثمانمائة رطل. وحكى بعضهم أن الشيخ عبد الغفار القوصي صنف في مذهب الشافعي بأخميم ألف مجلد وحكى الجلال السيوطي أن الشيخ أبا الحسن الأشعري ألف تفسيرا ستمائة مجلد قال وهو في خزانة النظامية ببغداد انتهى كلام الإمام الشعراني.

ومع ذلك فتلك الديانات إنما خدمها في الغالب العوام أو من هم كالعوام و لم ينقلها فحول العلماء بالأسانيد المتصلة كدين الإسلام قال شيخنا الشيخ عبد الهادي الأبياري[٢] المصري في حاشيته على مقدمة شرح البخاري للقسطلاني قال ابن حزم[٣] نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي صلّى الله عليه وسلّم مع الاتصال فضيلة خص الله بها هذه الأمة دون سائر الملل وأما مع الإرسال والأعضال فيوجد في كثير من اليهود ولكن لا يقربون من موسى عليه السلام قربنا من محمد صلّى الله عليه وسلّم بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصرا وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق فقط أما النقل بالطريق

---

(١) ابن شاهين عمر توفي سنة ٣٨٥ هـ. [٩٩٥ م.].

(٢) عبد الهادي الشافعي توفي سنة ١٣٠٥ هـ.

(٣) ابن حزم علي بن أحمد توفي سنة ٤٥٦ هـ. [١٠٦٤ م.]

المشتملة على كذاب أو مجهول العين فكثير في نقل اليهود والنصارى وأما أقوال الصحابة والتابعين فلا يمكن اليهود أن يبلغوا إلى صاحب نبي أصلا ولا تابع له ولا يمكن النصارى أن يصلوا إلى أعلى من شمعون وبولص انتهى.

وقد تلاعبت بتلك الأديان أيدي الجهل والأهواء والأغراض بالزيادة والنقص في الأعصر السابقة و لم تزل تزداد من ذلك كل حين حتى وصلت إلى حالة عجيبة لا ترضى أهلها فضلا عمن سواهم فانشقوا طوائف كثيرة حتى أن القسم الأعظم منهم الآن تركوا ما اتفق عليه جمهور أسلافهم من أحكام أديانهم وخرجت منهم جماهير كثيرة من التدين بالكلية بسبب أن العلوم العقلية كثرت فيهم فصار العقلاء منهم كلما دققوا في أديانهم وتأملوا في عقائدها ومعانيها وتوغلوا في معرفة أصولها وفروعها، ومفرقها ومجموعها، ينقص اعتقادهم بصحتها شيئا فشيئا إلى أن انمحى من قلوبهم أثر الديانة جملة واحدة و لم يبق فيها ذرة من الاعتقاد، وصارت كلها مملوءة بالاعتراض والانتقاد، وألفوا في تزييفها الكتب الكثيرة حتى صارت علامة العاقل عندهم أن لا يكون من أهل الدين وهم لا يعدون رؤساء دينهم في زمرة العقلاء والعلماء وإنما خصصوهم لإقامة المراسم الدينية على اصطلاحاتهم لتجتمع بواسطتهم العامة على الدين لئلا ينحل أمر الديانات بالكلية، وهو لا يوافق المصلحة العمومية، وقد اطلع بعض عقلائهم على بعض محاسن الديانة الإسلامية فاتبعها وصار يدعو الناس إليها في بلادهم فأتبعه كثير منهم لما استناروا بأنوارها، وعلموا بعض أسرارها، وقد أقر كثير من فضلائهم بكمال فضلها وترجيحها على سائر الأديان وقال بعضهم في كتبه بعد أن زيف جميع الديانات ورجحها لو كنت متدينا بدين من الأديان لما اخترت إلا دين الإسلام ولا يخفى أنه لا يلزم من معرفة الحق أتباعه فقد نرى كثيرين يكابرون برفض الحق ويتمسكون بالباطل عنادا والله يفعل في خلقه ما يشاء ويحكم ما يريد قال تعالى (**إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** * القصص: ٥٦) وقال عز وجل (**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ**

يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ *... وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * هود: ١١٩)

(ومن دلائل نبوته وصحة دينه عليه الصلاة والسلام)

أن صلحاء أمته صلّى الله عليه وسلّم المواظبين على الطاعات المجتنبين للمعاصي يظهر على وجوههم من البهجة والنور والأنس ما يشاهده كل أحد ويقر به الكافر فضلا عن المؤمن ولا نرى ذلك في أحد من الناس غير صلحاء المسلمين بخلاف الفساق المنهمكين في المعاصي فقد تظهر على وجوهم كآبة وظلمة تزول بالتوبة النصوح وأشد منهم في ذلك أهل البدع الزاعمون أنهم من أهل الإسلام وقد خرجوا منه ببدعهم أو أخلوا بكثير من شروطه وأشد منهم في ذلك كما هو ظاهر من قضوا حياتهم في الكفر بجميع أنواعه فإنه يظهر عليهم ولاسيما في آخر أعمارهم من الظلام والقتام ما لا يخفى على من في قلبه ذرة من نور الإيمان وبالجملة فإن الدلائل على وحدة الله تعالى لا تحصى ولا تحصر ولا تعد ولا تحد.

وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد

وكذلك الدلائل على صحة رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وصحة دينه دين الإسلام، أشهر من أن تشهر وأكثر من أن تحصر كما قلت في قصيدتي التي وازنت بها بانت سعاد:[١]

لم يجحد الله لم يجحد نبوته * الأعم عن طريق الرشد ضِلّيلُ

فكل ذرات كل الخلق شاهدة * أن لا إله سوى الرحمن مقبول

وإن أحمد خير الرسل رحمته * للعالمين ففيها الكل مشمول

ولذلك لم يزل هذا الدين المبين منذ بعثة سيد المرسلين صلّى الله عليه وسلّم إلى الآن في انتشار وازدياد في سائر البلاد حتى إنا نرى الناس في كل زمان ومكان

([١]) صاحب قصيدة البردة (بانت سعاد) كعب بن زهير الصحابي توفي سنة ١٠ هـ.

من سائر الملل والنحل العرب والعجم يهتدون بأنواره ويدخلون فيه أفواجا أفواجا من تلقاء أنفسهم بلا رغبة ولا رهبة بخلاف سواه من الأديان فإنها فضلا عن كونها لا يدخل فيها إلا الشاذ النادر من الجهلة الطغام مع كثرة النفقات وأنواع الترغيبات والترهيبات نرى أهلها يخرجون منها أفواجا أفواجا بعضهم إلى هذا الدين المبين وبعضهم إلى مذهب الدهرية حيث لا اعتقاد ولا دين لما يشاهدونه في أديانهم من المناقضات التي يأباها كل ذي عقل سليم ومن يتمسك بدينه منهم ظاهرا فإنما هو للعصبية الجنسية التي ينشأ عليها صغيرا فالحمد لله الذي جعلنا من أهل دينه دين الإسلام وأمة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام.

الباب الثاني فيما وقع بعد وفاته

من قضاء حاجات المستغيثين به صلّى الله عليه وسلّم يقظة ومناما

اختصرت في هذا الباب مع زيادات كثيرة كتاب **مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام** تأليف الإمام العلامة شيخ الإسلام شمس الدين محمد بن موسى بن النعمان المزالي الفاسي رحمه الله وهو من أكابر العلماء المحدثين أخذ عن سلطان العلماء العز بن عبد السلام وإمام المحدثين في عصره الحافظ المنذري وغيرهما من الأئمة وكتابه هذا من أنفس الكتب المؤلفة في الاستغاثة بسيد المرسلين صلّى الله عليه وسلّم نقل عنه مرارا القسطلاني في كتابه **المواهب اللدنية** وقد وقع لي منه نسختان صحيحتان إحداهما كتبت في عصر المؤلف يوم الخميس الخامس والعشرين من رمضان المبارك سنة سبع وسبعين وستمائة ووفاته سنة ٦٨٣ ولم أترك منه شيئا سوى فوائد خارجة عن موضوع الكتاب ومتى نقلت شيئا في هذا الباب عن غيره أعزوه إلى محله وما كان غير معزو فهو منه وليعلم أنه رحمه الله سمع الكثير من هذه الأخبار عمن وقعت لهم بلا واسطة وروى قسما منها بوسائط قليلة وألحقت به ما لم يكن فيه من كتاب في هذا الشأن تأليف الشيخ العلامة نور الدين علي الحلبي صاحب السيرة وهذا الباب يشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول فيمن استغاث به
صلّى الله عليه وسلّم للمغفرة ونحوها

ذكر الحافظ أبو سعد السمعاني عن علي رضي الله عنه قال قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم وحثا من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله ما وعينا عنك وكان فيما أنزل عليك (**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** * النساء: ٦٤) وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر أنه قد غفر لك.

وعن محمد بن حرب الباهلي قال دخلت المدينة فانتهيت إلى قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم فإذا أعرابي يوضع على بعيره فأناخه وعقله ثم دخل إلى القبر فسلم سلاما حسنا ودعا دعاء جميلا ثم قال بأبي وأمي يا رسول الله إن الله خصك بوحيه وأنزل عليك كتابا وجمع لك فيه علم الأولين والآخرين وقال في كتابه وقوله الحق (**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا**) وقد أتيتك مقرا بالذنوب مستشفعا بك إلى ربك وهو ما وعد ثم التفت إلى القبر فقال:

يا خير من دفنت في الأرض أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والأكم

أنت النبي الذي ترجى شفاته * عند الصراط إذا ما زلت القدم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

وركب راحلته فما أشك إن شاء الله إلا أنه راح بالمغفرة ولم يسمع بأبلغ من هذا قط. وروى محمد بن عبد الله العتبى هذا الخبر وزاد في آخره قال فغلبتني عيناي فرأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في النوم فقال لي يا عتبي الحق الحق الأعرابي وبشره أن الله قد غفر له. وقال الحافظ أبو محمد عبد العظيم[١] ابن عبد القوي المنذري

---

(١) الحافظ عبد العظيم المنذري القيرواني الشافعي توفي سنة ٦٥٦ هـ.

بلغني أن الفقيه أبا علي الحسين بن عبد الله بن رواحة بن إبراهيم بن عبد الله بن رواحة الحموي كتب قصيدة يمدح بها النبي صلّى الله عليه وسلّم ويطلب أن تكون جائزته الشهادة في سبيل الله فقتل شهيدا قال الحافظ القاسم بن عساكر قتل شهيدا بمرج عكا في يوم الأربعاء في شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة.

وذكر بعض شيوخ القيروان الثقات أن رجلا عزم على الحج من بلده فقال له بعض أصحابه لي إليك حاجة وأحب منك أن تعتني لي بقضائها فقال له وما ذاك قال أحب أن توصل هذه الرقعة إلى قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم وتقرئه سلامي وتدفنها عند رأسه فذلك من أكبر حوائجي عندك ولا تفتحنها ولا تنظر ما فيها قال الرجل ففعلت فلما وصلت إلى قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم سلمت عليه وسألته في حوائج تخصني ثم فعلت ما سألني صاحب الرقعة فلما رجعت من الحج ووصلت إلى البلد تلقاني صاحب الرقعة إلى ظاهر البلد وأقسم أن لا أنزل إلا عنده ففعلت فأضافني وأحسن ضيافتي ووجه إلى أهلي كذلك ثم قال لي جزاك الله خيرا لقد بلغت الرسالة. فعجبت من قوله ذلك وعلمه بتبليغ الرسالة من قبل أن يسألني وكان عند سفري عهدت عنده ولدا صغيرا فقلت من أين علمت إني فعلت ما ذكرت قال اسمع قصتي وذلك أنه كان لي أخ توفي وترك ولدا صغيرا فربيته وأحسنت تربيته ثم أنه مات وهو صبي فلما كان ذات ليلة رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت والحشر قد وقع والناس قد اشتد بهم العطش من شدة الجهد فبينا أنا كذلك وإذا بابن أخي وبيده ماء فسألته أن يسقيني فقال أبي أحق به منك فعظم ذلك عليّ وانتبهت وأنا فزع لهول ما رأيت ومحزون مما رأيت من ابن أخي فما صدقت بالصباح فلما أصبحت تصدقت بجملة دنانير وسألت الله تعالى أن يرزقني ولدا ذكرا فرزقت ذلك الطفل الذي تركته عندي بعد مدة فلما بلغ إلى هذا السن واتفق سفرك كتبت في الرقعة التي أصحبتكها اسأل النبي صلّى الله عليه وسلّم أن يسأل الله تعال أن يقبله مني رجاء أن أجده يوم الفزع الأكبر فلما كان يوم كذا وكذا حم فلما كان الليل

مات فعلمت أن الحاجة قد انقضت والرسالة قد وصلت وكان اليوم الذي حم فيه الصبي وتوفي عشية اليوم الذي كنت فيه عند قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم.

الفصل الثاني في ذكر استغاثة الأسرى به ونحوهم ممن انقطع في البراري والبحار أو وقع في غير ذلك من الشدائد والأسقام وما أشبه ذلك من خوارق عاداته بعد وفاته صلّى الله عليه وسلّم.

قال الإمام القسطلاني المتوفى سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة في كتاب المواهب اللدنية في الفصل الثاني من المقصد العاشر ما نصه: وأما التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد موته في البرزخ فهو أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصا وفي كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام للشيخ أبي عبد الله بن النعمان طرف من ذلك ولقد كان حصل لي داء أعيا دواؤه الأطباء وأقمت به سنين فاستغثت به صلّى الله عليه وسلّم ليلة الثامن والعشرين من جمادي الأولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بمكة زادها الله شرفا ومنّ عليّ بالعود إليها في عافية بلا محنة فبينا أنا نائم إذ جاء رجل معه قرطاس مكتوب فيه هذا دواء داء أحمد ابن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف ثم استيقظت فلم أجد بي والله شيئا مما كنت أجده وحصل الشفاء ببركة النبي صلّى الله عليه وسلّم ووقع لي أيضا في سنة خمس وثمانين وثمانمائة في طريق مكة بعد رجوعي من الزيارة الشريفة لقصد مصر إذ صرعت خادمتنا غزال الحبشية واستمر بها أياما فاستشفعت به صلّى الله عليه وسلّم في ذلك فأتاني آت في منامي ومعه الجني الصارع لها فقال لقد أرسله لك النبي صلّى الله عليه وسلّم فعاتبته وحلفته أن لا يعود إليها ثم استيقظت وليس بها قُلْبة كأنما نُشطت من عقال ولا زالت في عافية من ذلك حتى فارقتها بمكة سنة أربع وتسعين وثمانمائة والحمد لله رب العالمين انتهت عبارة المواهب.

وقال أبومحمد عبد الله بن محمد الأزدي الكحال الأندلسي وكان رجلا صالحا كان بالأندلس رجل قد أُسر له ولد فخرج من بلده قاصدا إلى رسول الله صلّى الله

عليه وسلّم في أمر ولده فلقيه بعض معارفه فقال إلى أين عزمت فقال له إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أتشفع به فإن ولدي أسرته الروم وقرر عليه ثلاثمائة دينار ولا قدرة لي عليها فقال له إن التشفع بالنبي صلّى الله عليه وسلّم في كل مكان نافع فلم يفعل إلا الوصول إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فلما جاء المدينة تقدم إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم وأخبره بحاجته وتوسل به فرأى النبي صلّى الله عليه وسلّم في المنام وهو يقول ارجع إلى بلدك فعاد إلى بلده فوجد ولده قد خلصه الله تعالى فسأله عن حاله فقال إن في الليلة الفلانية خلصني الله تعالى وجماعة كثيرة من الأسارى وإذا تلك الليلة هي ليلة وصول والده إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

وحكى ابن سمحون الناسخ أنه أسرته الروم فبقي عندهم زمانا ففكر في نفسه وقال ليس لي مال ولا أهل يفكوني من هذا الأسر فما لي إلا أن أكتب ورقة أذكر فيها قصتي وأسيرها إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال فكتبت ورقة بقصة حالي وسيرتها مع بعض التجار المسلمين الذين كانوا في البلد الذي كنت فيه مأسورا وقلت له إذا وصلت إلى قبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فعلق هذه الورقة عند قبره صلّى الله عليه وسلّم ففعل الرجل ذلك فلما كان بعد عود الناس من الحج قدم بعض التجار إلى البلد التي أنا بها وطلبني من الملك فبينا أنا ذات يوم إذ جاءني رسول الملك واستدعى بي وأخذني ومضى بي إليه فلما دخلت عليه وجدت عنده رجلا أظنه من العجم فقال له الملك: هو هذا قال ما أدري فسألني عن اسمي فأخبرته به فقال اكتب خطك حتى أنظر إليه فكتبت فلما رأى خطي قال هو هذا واشتراني وأخذني وأخرجني من بلاد الكفر فسألته ما السبب الموجب لما فعلته معي قال إني حججت هذه الحجة وجئت إلى المدينة لزيارة قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم فلما زرته صلّى الله عليه وسلّم جلست عند قبره وقلت في نفسي وددت أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان حيا وأنه أمرني بحاجة أقضيها له فبينا أنا كذلك مفكر إذ نظرت إلى ورقة معلقة يلعب بها الهواء فقلت في نفسي قدر اني رأيته وأمرني صلّى الله

عليه وسلّم بهذه الورقة فأخذتها وقرأتها ووجدت فيها اسمك وأنت تستغيث برسول الله صلّى الله عليه وسلّم في خلاصك من الأسر فقصدت البلد هذه التي ذكرت أنك فيها فدخلتها وطلبتك من ملكها فلما حضرت وسألتك تحققت إنك كاتب هذه الورقة واشتريتك وفعلت هذا الأمر لأجل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

وقال إبراهيم بن مرزوق البيَّاني[١] أسر رجل من جزيرة شُقر وسقف بالحديد وشد على صدره العصى فكان يستغيث ويقول يا رسول الله، فقال له كبير العدو قل له ينقذك، قال فلما كان الليل هزه شخص وقال له، أذّن فقال له ما ترى ما أنا فيه فأذَّن حتى بلغ إلى قوله أشهد أن محمدا رسول الله فزال ما كان على صدره من الحديد والعصى وظهر بين يديه بستان فمشى فيه فانفتح له موضع فدخل منه إلى جزيرة شقر واشتهر أمره ببلده.

وقال علي بن عبدون السبتي أسرنا العدو فأخذت وكتفت وأوثقت فخطر على قلبي هذان البيتان وتلفظت بالبيت الأول منهما:

أوقفني حبك فيمن يزيد * في شكلة الذل ونعت العبيد

قد حضر البائع والمشتري * عبدك موقوف فماذا تريد

وذكرت حبيبِي صلّى الله عليه وسلّم فقلت اللّهمّ بفضله عندك فرج عني فسرحت ليلة ثانية ببركة النبي صلّى الله عليه وسلّم. وقال القدوة أبو الحسن علي بن أبي القاسم عرف بابن قفل رضي الله عنه جاء إليّ أبوالبركات عبدالرحمن بن معد بن البوري ونحن في أسر العدو بثغر دمياط حرمها الله فقال لي رأيت البارحة النبي صلّى الله عليه وسلّم في المنام فقلت له ما ترى ما نحن فيه يا رسول الله فقال لي عليكم بابن قفل يعني نفسه، قال ابن قفل فكنت اجتهد أن أدعو فلا أقدر على الدعاء، ولا أستطيع فلما كان قريب الفتح كنت أستيقظ فأجد يدي ممدودتين للدعاء فكنت أدعو عند ذلك فلما كان أول خميس من شهر رجب سنة ثمان عشرة وستمائة أمرت صغارا

---

(١) إبراهيم بن مرزوق المصري توفي سن ١٢٩٨ هـ.

كانوا معنا أن يصوموا ذلك اليوم فلما كان وقت الإفطار وصلينا المغرب وبعدها الرغائب على العادة أخذت في الدعاء وبكى الصغار وتلك الليلة انكسر العدو الملعون برأس الجزيرة فأصبح السلطان عليهم يوم الجمعة وتسلم المسلمون الثغر يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر رجب المذكور. ولما نزل الافرنسيس خذله الله دمياط وأخذها بلغ خبرها إلى مدينة النبي صلّى الله عليه وسلّم في ثامن عشر يوم من أخذها فضج أهلها بالبكاء والعويل والاستغاثة بالنبي صلّى الله عليه وسلّم. قال بعض الصالحين كنت يوم ورد الخبر المدينة بها فجاء أحد السادات من المغاربة المجاورين إلى قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم باكيا وهو يقول يا رسول الله أخذ العدو دمياط وبقي أياما لا يأكل فيها طعاما ورأى جماعة النبي صلّى الله عليه وسلّم في النوم فشكوا إليه أمر العدو فبشرهم بهلاكه كما فعل في الدفعة الأولى فلله الحمد في الآخرة والأولى.

وقال الأستاذ أبو العباس أحمد بن محمد الجرخي رأيت رجلا كان من الديوية يعرف بالفارس سيمون الهيجاوي جاء إلى السلطان الملك الكامل لما كان العدو على ثغر دمياط وأسلم على يديه وذكر أنه حصل بينه وبين الديوية كلام فخرج عنهم، قال فركبت بغلة أو بغلا وأخذت حصاني على يدي فتبعوني فخفت منهم وانفلت مني الحصان فقلت يا محمد بن عبد الله إن رجع حصاني إليّ آمنت بك فطرد الحصان حولي شوطا أو اثنين فأمسكته وجئت إلى السلطان وأسلم وجاهد وتوفي على الإسلام ببركة النبي صلّى الله عليه وسلّم وذكر اسمه عليه الصلاة والسلام.

وقال أحد الصالحين وكان مأسورا ببلاد الكفار خذلهم الله وصل إلى البلد الذي كنت فيه مركب لملك البلد أو لأخيه فجمعوا جميع الأسرى وجماعة منهم عددهم ثلاثة آلاف رجل فلم يقدروا على جره من البحر لعظمه فجاء أحدهم إلى الملك وقال له هذا المركب لا يخرجه إلا المسلمون بشرط أن لا يمنعوا أن يتكلموا بما يريدون قال فجمعونا وقالوا لنا قولوا ما تريدون وكنا أربعمائة وخمسين رجلا فقلنا بأجمعنا يا رسول الله وجبذنا المركب جبذة واحدة فلم يتوقف إلى أن أخرجناه إلى

البر ببركة استغاثتنا بالنبي صلّى الله عليه وسلّم.

وقال أبو القاسم بن تمام مضينا إلى قصر الطوبي في عشرة أنفس إلى أبي يونس فقلنا له اكتب لنا كتابا إلى أم الأمير فإن زيادة الله الأمير أخذ مائتي رجل من أهل العلم والقرآن فأرسلهم إلى العسكر رماة فقال لنا أبو يونس ما نعرف الأمير ولا أمه إنما نعرف الله عز وجل ورسوله صلّى الله عليه وسلّم الليلة نسأل الله عز وجل فيهم ويطلقون إن شاء الله وكانت ليلة جمعة فلما كان في الليل قام أبو يونس فقال يا أحمد، يا محمد، يا أبا القاسم، يا خاتم النبيين، يا سيد المرسلين، يا من جعله الله رحمة للعالمين قوم من أمتك أتوني يسألوني في قوم صالحين أن يطلقوا وقد سألتك فاسأل الله فيهم فلما صلى حزبه ورقد مر به النبي صلّى الله عليه وسلّم في المنام فقال له يا أبا يونس قد سألت الله فيهم وغدا يطلقون إن شاء الله قال ابن تمام فلما أصبحنا قلنا له يا سيدنا ما كان من الحاجة فقال قد سألت النبي صلّى الله عليه وسلّم فيهم فقال لي غدا يطلقون إن شاء الله فلما كان يوم الجمعة دخلوا على زيادة الله بن الأغلب صاحب الجيش فسلموا عليه فرد عليهم السلام ورحَّب بهم وقال لهم يا أهل العلم والقرآن لعنة الله على ابن الصائغ الذي وجهكم إليّ وقد تركتكم كرامة لله عز وجل ولرسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

وقال ابن محمد بن المنكدر[١] أن رجلا من أهل اليمن أودع أباه ثمانين دينارا وخرج الرجل يريد الجهاد وقال له إن احتجت إليها فأنفقها إلى أن آتي إن شاء الله، قال وخرج الرجل وأصاب أهل المدينة سنة وجهد، قال فأخرجها أبي فقسمها قال فلم يلبث الرجل أن قدم فطلب ماله فقال له أبي عد إليَّ غدا قال وبات في المسجد متلوذا بقبر النبي صلّى الله عليه وسلّم مرة وبمنبره مرة حتى كاد يصبح فإذا شخص في السواد يقول له دونكها يا محمد، قال فمديده فإذا صرة فيها ثمانون دينارا قال وغدا عليه الرجل فدفعها إليه.

---

(١) محمد بن المنكدر الصوفي توفي سنة ١٣٠ هـ. في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

وقال أبو القاسم عبيد الله بن منصور المقري كان أبي يقترض مني طول الأسبوع فتحصل عليه المائة والأكثر فأطالبه فيحلف بالله أنه يوم السبت يقضيني ففعل ذلك دفعات فسألته من أين لك فبكى وقال يا بني أجمع ختماتي وأختمها ليلة الجمعة واجعل ثوابها لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأقول يا رسول الله ديني فيجيئني من حيث لا أحتسب ما اقضي به ديني.

وقال يوسف بن علي المجاور بحرم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ركبني دين فقصدت الخروج من المدينة ثم جئت إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فاستغثت به في وفاء ديني فرأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم في النوم فأشار عليَّ بالجلوس وقيض الله إليَّ من قضى عني ديني.

وقالت أم فاطمة الإسكندرانية أنها لما وصلت مدينة النبي صلّى الله عليه وسلّم ورم قدمها وصارت مقعدة لا تقدر على المشي فكانت تطوف حول روضة النبي صلّى الله عليه وسلّم وتقول يا حبيبِي، يا رسول الله إن الناس قد رحلوا وبقيت لا أستطيع الانصراف فأما أن انجبر على أهلي أو ألحق بك. فلم تزل تكرر هذا فبينا هي في الروضة على هذه الحال وإذا ثلاثة شباب من العرب وهم يقولون من يروم يسير إلى مكة قالت فبادرت إليهم فقلت أنا فقال أحدهم قومي فقلت لا أستطيع فقال لي فمدي قدمك فمددته فرأوا حاله فقالوا نعم هي وأخذوني أركبوني شقدفا وحملوني إلى مكة فسئل أحدهم فقال رأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم وقد قال لي اخرج بهذه المرأة القاعدة لما أصاب قدمها وأحملها إلى مكة فقد أطالت الاستجارة بي قالت فوصلت إلى مكة على أحسن حالة وقد برئ قدمي و لم أجد تعبا إلى أن وصلت إلى الإسكندرية. وقال عبد الرحمن الجزولي كنت في كل سنة تمرض عيني فلما كنت في مدينة الرسول مرضت عيني فجئت إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم وقلت يا رسول الله أنا في حمايتك فإن عيني مريضة فعوفيت فلم أشتك عيني إلى الآن ببركة النبي صلّى الله عليه وسلّم.

وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الرندي كنت بمدينة النبي صلّى الله عليه وسلّم فلما عزمت على الخروج ومعي بعض الفقراء جئت إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم وقلت يا رسول الله احتاج عشرين درهما فلقيني شخص فدفع لي عشرين درهما. وقال أبو موسى عيسى بن سلامة ابن سليم رحمه الله كان أبو مروان عبد الملك بن حزب الله المؤذن عند الخليل عليه السلام أقام بالمدينة ثلاث عشرة سنة فلحق بالمدينة أزمة شديدة، قال فاستخرت الله تعالى في أمري فرأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم في المنام فشكوت إليه الحاجة فقال ارحل إلى الشام فقلت له يا رسول الله كيف بالصبر عنك فقال لي ارحل إلى الشام فقلت له كذلك، فقال لي ارحل إلى الشام إلى قبر أبي إبراهيم خليل الرحمن قال فرحلت فكان في ذلك الخير.

وقال أبو موسى بلغني أن شيخنا أبا الغيث ربيعا المارديني يقرأ القرآن في المصحف من غير تعلم سبق منه للكتابة وكنت أنكر ذلك فلما دخلت عليه بمكة وجدته وهو يقرأ القرآن في المصحف قراءة مجودة فسألته عن سبب ذلك قال كنت في مدينة النبي صلّى الله عليه وسلّم أبيت في المسجد وأخلو به صلّى الله عليه وسلّم فتشفعت إلى الله سبحانه وتعالى بالنبي صلّى الله عليه وسلّم أن يسهل عليَّ القرآن بالمصحف قال وجلست فأخذتني سنة فرأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم وهو يقول قد أجاب الله دعاءك فافتح واقرأ القرآن قال فلما أصبح الصباح فتحت المصحف وشرعت في القراءة فكنت أقرأ في المصحف فربما تتصحف عليَّ الآية فأنام فأرى من يقول لي الآية التي تصحفت عليك كذا وكذا.

وحلف بعض المتصدرين في القرآت بالجامع العتيق بمصر بالطلاق الثلاث أن لا يجيز أحدا يقرأ عليه مستحقا للإجازة إلا بعشرة دنانير فاتفق أن قرأ عليه رجل فقير فلما كمل سأله الإجازة فأخبره بيمينه فتألم خاطره فاجتمع بأصحابه فجمعوا له خمسة دنانير فأتى بها إليه فلم يأخذها فخرج من عنده فرأى المحمل يدار به فقال والله لا أنفقت هذا إلا في الحج فاشترى ما يحتاجه وسار حتى وصل إلى مكة فلما قضى

أربه منها رحل عنها إلى المدينة فلما وصل إلى قبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال السلام عليك يا رسول الله ثم قرأ عشرا جمع الأئمة السبعة وقال هذه قراءتي على فلان عن فلان عنك عن جبريل عليكما السلام عن الله تعالى وقد سألت شيخي الإجازة فأبى وقد استغثت بك يا رسول الله في تحصيلها ثم نام فرأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال له سلّم على شيخك وقل له الرسول يقول لك أجزني بلا شيء، فإن لم يصدقك فقل له بإمارة زُمَرا زُمرا فلما وصل الفقير إلى مصر اجتمع بشيخه وبلغه الرسالة عريَّة عن الأمارة فلم يصدقه فقال بامارة زمرا زمرا فصاح الشيخ وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال أصحابه يا سيدنا ما الخبر فقال كنت كثيرا ما أتلو القرآن فمررت يوما على قوله عز وجل (**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ** * البقرة: ٧٨) فحلفت أن لا اقرأ إلا متدبرا فهما فأقمت لا أتجاوز من القرآن إلا يسيرا مدة طويلة حتى نسيته فكفرت عن يميني وشرعت في حفظه فحفظته فبينا أنا أتلو ذات يوم إذ مررت على وله عز وجل (**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ** * فاطر: ٣٢) الآية فقلت ليت شعري من أي الأقسام أنا ثم قلت لست من الثاني ولا الثالث بيقين فتعين أن أكون من القسم الأول فنمت تلك الليلة حزينا فرأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال لي بشر قرّاء القرآن أنهم يدخلون الجنة زمرا زمرا ثم أقبل على الفقير وقبّل وجهه وقال أشهدكم عليّ إني قد أجزته ليقرأ ويُقرئ من شاء أنَّى شاء وذلك كله ببركة الاستغاثة برسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وأخبر الشيخ أبو إبراهيم ودّار وكراماته مستفيضة بالمغرب أنه حج مع رفقة فلما وصلوا إلى مكة وقضوا حجهم وزاروا سافر أصحابه وتركوه لقلة ما بيده فأتى إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم واستغاث به وقال يا رسول الله أما ترى أصحابي سافروا وتركوني، قال فرأى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال له اذهب إلى مكة فإذا أتيت إلى زمزم تجد عليها رجلا يسقي الناس فقل له إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول لك احملني

إلى أهلي قال فجئت إلى مكة فأتيت زمزم فلما رآني قال لي قبل أن أسأله ترفق عليّ حتى يفرغ الناس فلما فرغ ودخل الليل قال ودع البيت وأخرج بنا إلى أعلى مكة ففعلت وخرجت معه أتتبع اثره فلما كان عند الصباح إذ أنا بواد فيه أشجار ومياه فقلت ما أشبه هذا بوادي شفشاوة فلما اتضح تحققت فإذا هو وادي شفشاوة فجئت إلى أهلي وأخبرتهم الخبر فعجبوا من ذلك وعجب الناس فسألوني عن الرفقة فأخبرتهم أنهم تركوني عند النبي صلّى الله عليه وسلّم فمنهم المصدق ومنهم المكذب فبعد عدة أشهر وصل رفقائي فأخبروهم الخبر.

وقال أبو القاسم ثابت بن أحمد البغدادي أنه رأى رجلا بمدينة النبي صلّى الله عليه وسلّم أذّن الصبح عند قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال فيه الصلاة خير من النوم فجاءه خادم من خدم المسجد لطمه حين سمع ذلك فبكى الرجل وقال يا رسول الله أفي حضرتك يفعل بي هذا الفعل ففلح الخادم في الحال وحمل إلى داره فمكث ثلاثة أيام ومات.

ويحكى عن امرأة هاشمية وكانت مجاورة بمدينة النبي صلّى الله عليه وسلّم وكان بعض الخدم يؤذيها قالت فاستغثت بالنبي صلّى الله عليه وسلّم فسمعت قائلا من الحجرة يقول أما لك فيّ أسوة اصبري كما صبرت أو نحو هذا قالت فزال عني ما كنت فيه ومات الخدام الثلاثة الذين كانوا يؤذونني وتوفيت المرأة بالمدينة. وقال الشيخ أبو القاسم بن يوسف الإسكندراني كنت بمدينة النبي صلّى الله عليه وسلّم فرأيت رجلا عند قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم وهو يستغيث بالنبي صلّى الله عليه وسلّم ويقول يا رسول الله تحسبت بك ردَّ عليّ ولدي فسألته عن ذلك فقال طلعت من جدة وهو عديلي في الشقدف فنزل يقضي حاجته فلم أره ثم رأيته بعد ذلك بسنين بمصر فسألته عن ولده، فقال جمعه الله عليّ وكان ولدي عند بني شعبة يرعى لهم الإبل فرأت امرأة شريفة النبي صلّى الله عليه وسلّم وهو يقول لها تأخذي الرجل المصري من عند بني شعبة وترسليه إلى أهله وذلك ببركة استغاثته وتحسبه بالنبي صلّى

الله عليه وسلّم. وكان أبو عبد الله محمد بن أبي الأمان يقول لما نزل أبو عزيز قتادة المدينة ورام أخذها دخل من باب البلاط إلى باب الحديد وتملك بعض المدينة فجاء بعض الخدم واسمه بُشرى فأخذ صبيان الكتاب ودخل بهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجعل العمامة في أعناقهم فجعلوا يقولون استجرنا بك يا رسول الله ثم أن رجلين شريفا ومولى ردا العسكر إلى أن خرج من المدينة.

وقال أبو العباس أحمد بن محمد اللواتي كانت عندنا بمدينة فاس امرأة فكانت إذا أصابها أمر أو رأت شيئا يفزعها جعلت يديها على وجهها وسدت عينيها وقالت محمد، فلما توفيت، قال لي قريب لها رأيتها في النوم، فقلت يا عمة رأيت الملكين الفتانين فقالت نعم، جاءني فعند ما رأيتهما جعلت يدي على وجهي وقلت محمد، فلما نزعت يدي عن وجهي لم أرهما.

وقال الشريف أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى بن ماجد الحسيني كنت بين مدينة النبي صلّى الله عليه وسلّم والشام فضل لنا جمل وكان بلغني عن الشيخ أحمد الرفاعي أنه قال من كانت له حاجة فليستقبل عبادان نحو قبري ويمشي سبع خطوات ويستغيث بي فإن حاجته تقضى. فلما استقبلت عبادان وقصدت الاستغاثة هتف بي هاتف أما تستحي من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تستغيث بغيره ثم تحولت نحو المدينة فقلت يا سيدي، يا رسول الله، أنا مستغيث بك، فما استكملت ذلك إلا والجمال يقول لي هذا الجمل قد وجدناه.

وقال أبو الحجاج يوسف بن عليّ خرجت من مكة متوجها إلى المدينة على طريق المشاة فتهت عن الطريق فاستغثت بالنبي صلّى الله عليه وسلّم فإذا بامرأتي جائية من نحو المدينة وهي تشير إليَّ أن أمشي على اثرها فلم أزل أمشي على اثرها إلى أن وصلت المدينة. وقال رأيت بعض الفقراء جاء إلى الزيارة فتاة في الطريق فاستغاث بالنبي صلّى الله عليه وسلّم فظهرت له قبة العباس وبينه وبين المدينة المنورة يومان أو نحوهما.

وقال أبو عبد الله سالم عرف بخواجه رأيت في المنام كأني في بحر النيل وأنا بجزيرة فإذا بتمساح أراد أن يقفز عليَّ فخفت منه فإذا بشخص وقع لي أنه النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال لي إذا كنت في شدة فقل أنا مستجير بك يا رسول الله. فأراد بعض الإخوان السفر لزيارة النبي صلّى الله عليه وسلّم وكان ضريرا فحكيت له الرؤيا وقلت له إذا كنت في شدة فقل أنا مستجير بك يا رسول الله. فسافر في تلك الأيام فجاء إلى رابغ وكان الماء به قليلا وكان له خادم فراح في طلب الماء قال لي فبقيت القربة في يدي وأنا في شدة من طلب الماء فتذكرت ما قلت لي وقلت أنا مستجير بك يا رسول الله. فبينا أنا كذلك إذ سمعت صوت رجل وهو يقول لي زم قربتك وسمعت خرير الماء في القربة إلى أن امتلأت ولا أعلم من أين أتى الرجل.

وقال الشيخ الصالح أبوالحسن علي بن يوسف البقوي نمت ليلة فرأيت في منامي أسدا عظيما فاستقبلني من بين يدي وهمَّ أن يفترسني فقلت محمد، مستغيثا بالنبي صلّى الله عليه وسلّم فراح عني ثم جاء إليّ من عن يميني وهمّ بي أيضا فقلت محمد، فراح عني ثم جاءني من عن شمالي وهمّ بي أيضا فقلت محمد، فراح عني ثم جاءني من خلفي وهمَّ أن يفترسني فقلت محمد، فجاء شخص فحال بيني وبينه فلم أره وانتبهت.

وقال أبو محمد عبد الواحد بن علي الصنهاجي أقمت مريضا ستة أشهر أو نحوها بالشام فلما رأيت الركب قد توجه وقع عزمي على السفر وكانوا نادوا في الركب أن احملوا الماء ثلاثة أيام فلما كان الليل قرأت سورة طه وقلت أنا في ضيافتك يا رسول الله، ودعوت الله أن يريني النبي صلّى الله عليه وسلّم في منامي حتى أستشيره في أمري فنمت فرأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم فسلمت عليه فأخذني وضمني إلى صدره وقال لي أبشر بحاجتك ولا تخف. فمن بركة النبي صلّى الله عليه وسلّم أصبحنا على الماء حتى عمَّ الركب ووجدت في نفسي قوة وكان يعرض عليّ الركوب فأمتنع وأسبقُ الركب وذلك كله ببركته صلّى الله عليه وسلّم.

وقال أبو عبد الله محمد بن سالم السجلماسي لما قصدت زيارة النبي صلّى الله عليه وسلّم ورحت على طريق المشاة فكان إذا لحقني ضعف قلت أنا في ضيافتك يا رسول الله، فيزول عني ما أجده من الضعف.

وقال أحمد بن محمد السلاوي لما ودعت النبي صلّى الله عليه وسلّم قلت يا حبيبِي يا محمد يا سيد الكونين أنا أدخل الصحراء فإذا أخذتني شدة أدعو الله وأتوسل بك، وجئت إلى أبي بكر وعمر وقلت لهما كذلك قال فبقيت في البرية سبعة أيام ووقعت في جب وفيه ماء فبقيت فيه من أول النهار إلى بعد العصر ولم يبق إلا الموت فتفكرت ما كنت قلت عند النبي صلّى الله عليه وسلّم وقلت يا حبيبِي، يا محمد الذي كنت قلت لك وقلت كذلك لأبي بكر وعمر فكأن من حولني وطلعت من الجب ببركة النبي صلّى الله عليه وسلّم. وقال أبو العباس المريى رحمه الله ركبت في البحر فهاج علينا وأشرفنا على الغرق فسمعت قائلا يقول يا أعداء يا أولاد الأعداء ما جاء بكم إلى ههنا فمدّدت يدي وقلت اللّهمّ بحرمة نبيك المصطفى عندك إلا ما أنقذتني وسلمتني. قال فلم استتم الدعاء إلا وقد شاهدت الملائكة حفت بالمركب وبشرتني بالسلامة فقلت لأصحابي مبشرا لهم في غداة غد تدخلون إلى المرسي سالمين إن شاء الله.

وقال صالح بن شوشا البلنسي كنا بالمركب فاتبعنا مسطح للعدو وأشرف علينا وأراد أن ينطح المركب فقلت يا محمد نحن في ضيافتك اليوم. فسمعنا هدة في المسطح فإذا صاري المسطح قد انكسر وسقط قلاعه وشغلوا بأنفسهم فدخلنا تونس سالمين ببركة النبي صلّى الله عليه وسلّم.

وقال علي بن مصطفى العسقلاني أبو الحسن ركبنا في إباحة بحر عيذاب نطلب جدة فهاج علينا البحر ورمينا ما معنا في البحر وأشرفنا على التلف فجعلنا نستغيث بالنبي صلّى الله عليه وسلّم ونحن نقول يا محمداه يا محمداه وكان معنا رجل مغربي صالح فقال ارفقوا يا حجاج أنتم سالمون الساعة رأيت النبي صلّى الله عليه

وسلّم في المنام فقلت يا رسول الله أمتك أمتك يستغيثون بك. قال فالتفت إلى أبي بكر وقال يا أبا بكر أنجده، قال فإن عيني تريني أبا بكر وقد خاض البحر وأدخل يده في مقدم الجلبة و لم يزل يجذبها حتى دخل بها البر فبسكم تستغيثون فأنتم سالمون فسلمنا فبعد هذا لم نر إلا خيرا ودخلنا البر سالمين. وقال أبوعبد الله محمد بن علي الخزرجي كنت بجرجر فدخلت البحر فلطمتني موجة فأشرفت على الغرق فقلت يا رسول الله، مستغيثا بالنبي صلّى الله عليه وسلّم فألقى الله إليّ عودا فأمسكت به وطلعت ونجاني الله باستغاثتي بالنبي صلّى الله عليه وسلّم.

وقال الفقيه الإمام القاسم ابن الفقيه الإمام الشهيد عبد الرحمن بن القاسم الجزولي لما توجهنا إلى مكة شرّفها الله تعالى سنة خمس وأربعين وستمائة من القصير قصدنا قطع الإباحة من جزيرة تسمى سرناقة فتوجهنا قاصدين الإباحة إلى بعد العصر فقوي علينا البحر واشتد الريح وغربت الشمس و لم نقدر على دخول البر ولا علمنا أين نتوجه فحط قلع السفينة وسلمنا الأمور لله فلما كان ثلث الليل زاد الأمر وتفتحت الجلبة فاستغثنا بالرسول صلّى الله عليه وسلّم فما كان إلاّ دون ساعة وشخص من المركب يسمى الحاج مخلوف له ثلاث حجات قد استيقظ من النوم وهو مسرور وقال لنا أبشروا فإني رأيت الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقول أبشروا بالسلامة وتدخلون مكة يوم الإثنين سالمين فسلمنا في تلك السفرة ومن تلك الليلة ما رأينا شدة ببركة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ودخلنا مكة يوم الإثنين.

وقال صفي الدين أبو عبد الله حسين ابن أبي منصور كنت بالشام بحمص فقصدت التوجه إلى ديار مصر وكانت الطريق مخيفة بالفرنج والعرب والغاجرية وانقطعت بسبب ذلك فأخذتني سنة وأنا جالس فرأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم فقلت له يا رسول الله أنا في حسبك، فقال لي ما تخشى شيئا، فأعدت القول عليه ثانيا فقال ما تخشى شيئا، فقلت ثالثا أنا كثير الأعداء، فقال لي ما تخشى شيئا، فاستيقظت وتوجهت من حمص إلى أن وصلت إلى مصر و لم أر إلا خيرا في نفسي

وأصحابي مع وجود الأخذ والقتل ورائي وأمامي ويمنة ويسرة والحمد لله.

وقال محمد بن المبارك الحربي كان علي أبوالبكير ضرير البصر فرأى النبي صلّى الله عليه وسلّم في المنام فأمرَّ يده على عينه فأصبح وهو يبصر.

وقال أبو القاسم بن يوسف الإسكندري كان لنا صاحب فعمي فاجتمع أهل الطب عليه فلم يجدوا له دواء قال فرأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم في النوم وتحسبت به فقال لي تبصر، فاستيقظت ثم أقمت خمسة عشر يوما فرأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم مرة ثانية فقلت وعدك يا رسول الله فقال اكتحل بدم القنفذ ومرارة الثعلب فاستيقظت وأصبحت وأخذت قنفذا فذبحته وأخذت من دمه وأخذت مرارة الثعلب واكتحلت به فرأيت النور للوقت ورأيت عينه صحيحة كأنه لم يكن به ضرر قط. وقال تقي الدين أبو محمد عبد السلام بن سلطان القليبِي معنى لا لفظا كان أخي إبراهيم به خنازير في حلقه قد آلمته فرأى النبي صلّى الله عليه وسلّم في المنام فقال له يا رسول الله أما ترى ما حل بي فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد أجيب سؤالك قد أجيب سؤالك قد أجيب سؤالك، فشفى منها ببركة النبي صلّى الله عليه وسلّم. وقال ابن البوني كان بوالدي ضيق نفس منعه من الترول وكان الناس يقرؤون عليه وكنت أنا مريضا في أسفل البيت فرأيت في النوم كأن النبي صلّى الله عليه وسلّم قد جاء إليَّ فقدمت له الوسادة فجلس عليها فقلت يا رسول الله أبي شيخ كبير وبه ضيق نفس منعه من الترول إليّ وامتنعت من الطلوع إليه فطلع من عندي إليه فلما كان صلاة الصبح سمعته يقول آه آه وهو نازل في الدرج حتى دخل عليّ فقال يا بني جاءني النبي صلّى الله عليه وسلّم الليلة فقلت له من عندي طلع إليك فظهرنا جميعا.

وقال الشيخ الصالح أبو محمد عبد الرحمن الميداني كنت ليلة من الليالي على شاطئ بحر الإسكندرية بمترلي بالجزيرة فأُلهمت أن أدعو للملك الصالح وكان محبوسا في ذلك الوقت بالكرك فجئت إلى قبة الشيخ المغاور فصليت ركيعات وتشفعت إلى

الله بالنبي صلّى الله عليه وسلّم في الملك الصالح ثم نمت فرأيت العساكر قد اجتمعت حلقة وبينهم شخص إذا أراد أن يخرج منعوه فبينا أنا كذلك إذ رأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم قد أقبل وعليه حلة خضراء وعمودان من نور قد طلعا إلى السماء فجاء إليهم فافترقوا قال فانتبهت فلم يكن إلا ايام قلائل فبلغنا خروج الملك الصالح من السجن ومجيؤه إلى مصر.

وقال الشيخ أبومدين دخلت الحمام مرة فرأيت شيئا يشبه الطفل فطليت لحيتي بشيء منه فترلت فلم يبق منها شعرة فقلت اللّهمّ إني أسألك بجاه نبيك صلّى الله عليه وسلّم إلا رددهَا فنبتت تلك الليلة فأصبحت وقد رجعت كما كانت أو أحسن ببركته صلّى الله عليه وسلّم.

وذكر الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الواعظ قال كان حماد خرجت في يده عيون فانتفخت يده وأجمع الأطباء على قطعها قال فبت تلك الليلة على السطح وقلت يا صاحب هذا الملك الذي لا ينبغي لغيره هب لي شيئا بلا شيء فنمت فرأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم فقلت يا رسول الله انظر إلى يدي فقال مدها، فمددهَا فأمرّ يده عليها فأعادها وقال قم، فقمت وقد عافى الله يدي ببركة النبي صلّى الله عليه وسلّم.

وقال السيد الشريف قاسم بن زيد بن جعفر الحسيني رضي الله عنه انكسرت يدي اليسرى وانخلعت يدي اليمنى فبقيت يداي معلقتين في عنقي شهرا كاملا في زمن البرد وكنت لا أستطيع النوم فنمت ليلة فرأيت ثلاثة رجال فسألت أحدهم فقال أنا أبو بكر وهذا عمر وهذا النبي صلّى الله عليه وسلّم فلما رأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم هرعت إليه ولحقني بكاء شديد فقلت يا رسول الله ما ترى حالي فأخذ بيدي المكسورة وأمرّ يده عليها وقال لي كل الزيت وادهن بالزيت فقلت يا رسول الله ما ترى ما أنا فيه فرفع يده إلى السماء وقال توسل بي وبآل بيتي فلما أصبحت نظرت إلى يديَّ وكان عليهما الجبار فقلعته عنهما فوجدهما في عافية ببركة

النبي صلّى الله عليه وسلّم وأدهنت بالزيت امتثالا لأمر النبي صلّى الله عليه وسلّم.

وكان ببغداد جارية علوية أقامت زمنة نحو خمس عشرة سنة فباتت ليلة فأصبحت وقد برئت وقامت وقعدت فسئلت عن ذلك فقالت إني ضجرت بنفسي ضجرا شديدا فدعوت الله بالفرج مما أنا فيه أو الموت وبكيت بكاء كثيرا فرأيت في المنام رجلا دخل عليّ فأرعدت منه وقلت يا هذا كيف تستحل أن تراني فقال أنا أبوك فظننته أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقلت يا أمير المؤمنين ما ترى ما أنا فيه فقال أنا أبوك محمد رسول الله فبكيت وقلت يا رسول الله ادع الله عز وجل لي بالعافية فحرك شفته ثم قال هاتي يدك فأعطيته فجذبها وأجلسني ثم قال قومي على اسم الله تعالى، قلت كيف أقوم قال هاتي يديك فأخذهما وجذبني بهما فقمت فعل ذلك ثلاث مرات وقال قومي قد وهب الله لك العافية فاحمديه واتقيه وتركني ومضى فانتبهت وأنا في عافية واشتهرت قضيتها ببغداد.

وقال أبو محمد عبد الحق الأشبيلي نزلت برجل رجل من أهل غرناطة علة عجز عنها الأطباء وآيسوه من برئها فكتب عنه الوزير الأديب أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال كتابا إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم يسأله فيه الشفاء لدائه والبرء مما نزل به وضمن الكتاب شعرا وهو:

كتاب وقيذ في زمانته مشفى * بقبر رسول الله أحمد يستشفى

له قدم قد قيد الدهر خطوها * فلم يستطع إلاّ الإشارة بالكف

ولما رأى الزوار يبتدرونه * وقد عاقه عن قصده عائق الضعف

بكى أسفا واستودع الركب إذ غدا * تحية صدق تفعم الركب بالعرف

فيا خاتم الرسل الشفيع لربه * دعاء مهيض خاشع القلب والطرف

دعاك لضر أعجز الناس كشفه * ليصدر داعيه بما شاء من كشف

لرجل رمى فيها الزمان فقصرت * خطاها عن الصف المقدم في الزحف

وإني لأرجو أن تعود سوية * بقدرة من يحيي العظام ومن يشفي

فأنت الذي نرجوه حيا وميتا * لصرف خطوب لا تزيغ إلى صرف

عليك سلام الله عدة خلقه * وما تقتضيه من مزيد ومن ضعف

قال فما هو إلا أن وصل الركب إلى قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم وقرئ الشعر هناك برأ الرجل فلما قدم الذي استودعه إياه وجده كأنه لم يصبه ضر قط.

وقال كثير بن محمد بن كثير بن رفاعة جاء رجل إلى عبد الملك بن سعيد بن خيار بن أبجر فجس بطنه فقال بك داء لا يبرأ قال ما هو قال الدبيلة فتحول الرجل فقال الله الله الله ربي لا أشرك به شيئا، اللّهمّ إني أتوجه إليك بنبيك محمد صلّى الله عليه وسلّم نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك وربي أن يرحمني مما بي رحمة يغنيني بها عن رحمة من سواه ثلاث مرات ثم عاد إلى ابن أبجر فجس بطنه فقال قد برأت ما بك علة.

وقال أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي[١] في كتابه الإشارات في معرفة الزيارات تونة بلدة في جزيرة بها مشهد النبي صلّى الله عليه وسلّم ومشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال وسألت أهل هذه الجزيرة عن المشاهد هل عمرت على اسم النبي صلّى الله عليه وسلّم وعلى اسم علي رضي الله عنه فقالوا لها حكاية ثم استدعوا بشيخ حسن الوجه فقالوا هذا ابتلى بالجذام ورماه الناس في ناحية الجزيرة خوفا من مرضه فلما كان في بعض الليالي صرخ صراخا عظيما فأتاه الناس وهو قائم ليس به ألم فسئل عن حاله فقال رأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم في هذا الموضع فقال اعملوا هنا مسجدا فقلت يا رسول الله أنا مبتلى وما يصدقوني فالتفت إلى شخص إلى جانبه وقال يا علي خذ بيده فمد يده إليّ فقمت كما ترى قال ابن النعمان رأيت المسجد وسمعت شيخنا يعني الحافظ الدمياطي وجماعة من شيوخ ثغر دمياط يذكرون هذه القصة ويصححونها وهي مشهورة عندهم والمسجد المذكور عرف بمسجد النبي صلّى الله عليه وسلّم.

---

(١) علي ابن أبي بكر الهروي توفي سنة ٦١١ هـ.

وقال الشيخ أبو إسحاق ظهرت بي لمعة برص في كتفي فرأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المنام فقلت يا رسول الله ألا ترى ما حل بي فمسح يده على كتفي فانتبهت وقد ذهب البرص عني.

وقال الشيخ عبد الله محمد بن محمود التجيبِي كانت الحمى تعتادني فلما كان يوم النوبة أخذتني فأخذت كتاب الشفا في شرف المصطفى وجعلته على صدري وعلى كتفي وقلت تحسبت بك يا رسول الله، قال فزال وجعها في الحين بعد ما كنت مستلقيا. وقال أحد الصالحين أهلّ علينا شهر رمضان فأخذتني الحمى فخفت من الفطر فيه فاستغثت بالنبي صلّى الله عليه وسلّم وشكوت إليه الحمى فأقلعها الله عني وصمت شهر رمضان ببركة النبي صلّى الله عليه وسلّم.

وقال أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك القرطبي أصاب والدي محمد ابن عبد الملك في بيت المقدس مرض دام به ثلاثة أشهر ملازما للفراش لا يستطيع نهوضا بوجه ويئس منه وضاقت به الحال إلى أن لم يبق له فلس فرأى النبي صلّى الله عليه وسلّم في المنام فشكا إليه حاله فقال له النبي صلّى الله عليه وسلّم، قل اللّهمّ إني أسألك العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة فقالها في النوم فانتبه معافى معافاة كاملة كأن لم يصبه مرض ودخل أصحابه يعودونه على عادتهم فوجدوه في عافية فسألوه فأخبرهم واتفق عبور السلطان الملك الأشرف لزيارة المسجد الأقصى فرأى الناس داخلين وخارجين إلى منزل والدي فسأل ما هؤلاء فأخبر أن فلانا مريضا وأن هؤلاء عواده فدخل إليه للعيادة فوجده صحيحا فتعجب من أمره فأخبره القصة وخرج من عنده وسير من المال ما وجدنا به سعة في أحوالنا مدة طويلة.

واتفق لفارس الحذاء أحد شيوخ الصوفية بشيراز قال فارس ولد لي مولود في ليلة ممطرة شديدة البرد و لم يكن عندي شيء لأحطب ولا دهن سراج ولا مأكول فاشتغل سري بذلك جدا فنعست فرأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في النوم فسلّم عليّ وقال لي ما لك قلت يا رسول الله من حالي كيت وكيت فقال إذا

أصبحت فاذهب إلى فلان المجوسي وسمى رجلا عرفته وقل له قال لك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ادفع لي عشرين درهما، قال فانتبهت وقلت هذا أمر غريب والشيطان لا يتمثل برسول الله صلّى الله عليه وسلّم فعدت إلى النوم فعاودني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقال لي لا تتهاون واذهب إليه فلما أصبحت مشيت إليه فإذا الرجل قائم على باب داره وفي طرف كمه شيء ثم قال لي يا شيخ وما عرفني فاستحييت أن أقول وقلت يستحمقني الرجل فتأملني ثم قال لي يا شيخ لك حاجة قلت نعم، قال لك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ادفع لي عشرين درهما ففتح طرف كمه وقال هذا لك عشرون درهما فأخذتها وقلت أيها الرجل أما أنا فقد علمت ثم جئت فمن أين علمت أنت ذلك وكيف عرفتني فقال رأيت البارحة رجلا من صفته كيت وكيت وقال لي إذا جاءك بالغداة رجل من حالته وصفته فأعطه عشرين درهما، فعرفتك بالعلامة فقلت ذاك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال فوقف متأملا ثم قال احملني إلى مترلك فحملته فأسلم وجاءت أخته وابنه وزوجته فأسلم من بيته أربعة وحسن إسلامهم.

ورأى رجل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المنام فشكا إليه حاله فقال له اذهب إلى عيسى بن موسى وقل له ليدفع إليك ما تصلح به أمرك، فقال يا رسول الله بأي علامة قال قل له رأيتني على البطحاء وكنت على نشر من الأرض فترلت وجئتني فقلت ارجع إلى مكانك فجاء إليه وعرفه فقال صدقت فدفع إليه أربعمائة دينار ليقضي بها دينه وأربعمائة أخرى وقال اجعل هذا رأس مالك فإذا فنى فارجع إليّ. وقال أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث أضاق أبي مرة إلى أن بقينا بلا شيء وقرب العيد ونحن في ضائقة فأتت علينا ليلة العيد وما لنا شيء نلبسه وبتنا بأسوأ ليلة فلما مضت ساعتان من الليل إذا الباب يطرق والضوضاء والضجيج على الباب ففتحنا الباب وإذا الشموع والرجال على الباب فاستأذنوا على أبي فأذن لهم فدخل ابن أبي عمصير على أبي فقال رأيت هذه الساعة

النبي صلّى الله عليه وسلّم في النوم فقال لي إنّ أبا الحسن التميمي وأولاده على صورة من الفقر فاحمل إليه في هذه الليلة ما يكسو أولاده وينفقه في هذا العيد وقد أخذت هذه الثياب وأخذت الخياطين معي فأخرجنا أبي يقطع ثيابا لكل أهل الدار وقعد الخياطون يخيطون فقال لهم أبي ابتدؤا بثياب الأطفال لتكون في غد عليهم فإن الكبار يحتملون وجلس ابن أبي عمصير والجماعة عند أبي إلى حين صلاة الفجر ثم انصرف.

(خبر العلوي المظلوم)

بينا كان المهدي في بعض الليالي نائما إذ انتبه فزعا واستحضر صاحب شرطته وأمره أن ينطلق إلى المطبق ويطلق العلوي الحسيني وأمره أن يخيره بين الإقامة عنده مكرما أو الرواح إلى أهله بما يطيب قلبه فلما جاء إلى المطبق أخرج إليه الفتى العلوي كالشن البالي فخيره فاختار الخروج إلى أهله وسلم له ما أمر له به فلما جاء ليركب قال له بالذي فرج عنك هل تعلم ما دعا أمير المؤمنين إلى إطلاقك قال إي والله كنت الليلة نائما فرأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المنام وقال لي أي بني ظلموك قلت نعم يا رسول الله، قال قم فصل ركعتين وقل بعدهما، يا سابق الفوت ويا سامع الصوت ويا كاسي العظام بعد الموت صل على محمد وعلى آل محمد واجعل لي من أمري فرجا ومخرجا إنك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر وأنت علام الغيوب يا أرحمن الراحمين. قال فوالله لقد جعلت أكررها حتى دعوتني قال فلما عدت إلى المهدي وحدثته الحديث قال صدق والله إني كنت نائما فرأيت في منامي زنجيا بعمود حديد قائما على رأسي يقول لي أطلق فلانا العلوي الحسيني وإلا قتلتك فانتبهت وما جسرت والله على العود إلى النوم حتى جئتني بإطلاقه.

(خبر منصور الجمال)

بينما كان المعتمد على الله ليلة نائما إذ انتبه فزعا وقال احضروا لي من الحبس رجلا يعرف بمنصور الجمال فأُحضر فقال له مذ كم أنت محبوس قال منذ ثلاث سنين، قال فاصدقني عن خبرك قال أنا رجل من أهل الموصل كان لي جمل أعمل

عليه وأعود بكرائه على عائلتي فضاق الكسب عليّ بالموصل فقلت أخرج أتسبب فخرجت من الموصل فإذا جماعة من الجند قد ظفروا بقوم يقطعون الطريق فأخذوهم وكتب صاحب البريد البريد بعددهم وكانوا عشرة فأعطاهم واحد منهم مالا على أن يطلقوه فأطلقوه وأخذوني مكانه وأخذوا جملي فسألتهم بالله عزّ وجلّ فأبوا وحبسوني معهم فمات بعضهم وأطلق بعضهم وبقيت وحدي، فقال المعتمد احضروا لي خمسمائة دينار فدفعها إليّ وأعطاني ثلاثين دينارا في كل شهر وقال اجعلوا أمر جمالنا إليه ثم أقبل علينا فقال رأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم في النوم الساعة وقال يا أحمد وجه الساعة فأخرج منصورا الجمال فإنه مظلوم وأحسن إليه.

(خبر أبي حسان الزيادي)

أودع أبا حسان الزيادي رجل من أهل خراسان بدرة فيها عشرة آلاف درهم وكان عزم على الحج فورد عليه خبر بموت والده فانفسخ عزمه من الحج فجاء إلى أبي حسان يطلب منه البدرة التي أودعه بالأمس وكان على أبي حسان ديون كثيرة فقضى بها ديونه وتصرف فيها فبقي متحيرا فوجه إليه المأمون فقال له اشرح لي قصتك فشرح له قصته فبكى بكاء شديدا وقال ويحك ما تركني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الليلة أنام بسببك أتاني في أول الليل فقال أغث أبا حسان الزيادي فانتبهت ولم أعرفك فاعتمدت السؤال عنك وأثبت اسمك ونسبك ونمت فأتاني فقال كمقالته الأولى فانتبهت مترعجا ثم نمت فأتاني فقال ويلك أغث أبا حسان فما تجاسرت على النوم وأنا ساهر منذ ذلك الوقت وقد بثثت الناس في طلبك فأعطاني عشرة آلاف درهم وقال أعط هذه للخراساني ثم أعطاني عشرة آلاف أخرى فقال اتسع بهذه وأصلح أمرك وعمر دارك ثم أعطاني ثلاثين ألف درهم وقال جهز بناتك وزوّجهن فإذا كان في يوم الموكب فعد إليّ لاقلدك عملا جليلا وأحسن إليك فرجعت إلى داري فإذا الخراساني فأدخلته البيت وأخرجت بدرة وقلت خذها فقال ليس هذه بدرتي فأخبرته الخبر فبكى وقال لو صدقتني في أول

الأمر ما طالبتك ووالله لا أدخل في مالي ما ليس منه أنت في حل منه وبكرت يوم الموكب إلى دار المأمون فاستدناني ثم أخرج عهدا من تحت مصلاه وقال هذا عهدك على قضاء المدينة الشرقية من الجانب الغربي من مدينة السلام وقد أجريت عليك كذا وكذا في كل شهر فاتق الله تدم لك عناية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

(خبر الشريف ابن طباطبا مع ولي عهد العزيز بمصر)

ذكر أن العزيز بالله أمر ولي عهده أن يستخرج بقية أمواله من عماله بمصر فوجد على الشريف ابن طباطبا ثلاثة آلاف دينار فانفذ إليه وأمر باعتقاله بمسجد مهرة ووكل به فبات تلك الليلة فرأى النبي صلّى الله عليه وسلّم في منامه فقال له وكل عليك ولي عهد العزيز فقال نعم يا رسول الله فقال له فأين أنت عن الخمس التي لا تحجب عن الله يفرج عنك بها قال فقلت يا رسول الله وما هي قال قوله تعالى (**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**) إلى قوله (**الْمُهْتَدُونَ** * البقرة: ١٥٥) وقوله تعالى (**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ**) إلى قوله (**عَظِيمُ** * آل عمران: ١٧٣) وقوله (**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ**) إلى قوله (**لِلْعَابِدِينَ** * الأنبياء:٨٣ - ٨٤) وقوله (**وَذَا النُّونِ**) إلى قوله (**نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ** * الأنبياء: ٨٧- ٨٨) وقوله (**فَسَتَذْكُرُونَ**) إلى قوله (**سُوءُ الْعَذَابِ** * غافر: ٤٥) (الآية الأولى والثانية في البقرة والثالثة في النساء والرابعة في الأنبياء والخامسة في سورة المؤمن).

قال فانتبهت وقد حفظت ذلك فلما أصبحت وفتح عليّ الباب دخل عليّ قوم لا أعرفهم فأخذوني ومضوا بي إلى ولي عهد العزيز بالله فقال لي شكوتني إلى جدك فقلت لا والله ما شكوتك فقال بلى قد قال لي ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثم استدعى جرائد البواقي وضرب على اسمي وغلق عني وأمر لي ألف دينار أخرى من ماله معونة لي على حالي وأطلق سبيلي فعرفت بركة الخمس الآيات.

(خبر العطار مع الوزير علي بن عيسى)

كان ببغداد رجل عطار من أهل الكرخ قد اشتهر بالأمانة والستر فارتكبه دين ولزم بيته وأقبل على الدعاء والصلاة فلما كان ليلة الجمعة صلى على عادته

ودعا ونام قال فرأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في منامي وهو يقول اقصد عليّ بن عيسى فقد أمرته أن يدفع لك أربعمائة دينار فخذها واصلح بها أحوالك وكان عليَّ ستمائة دينار فجئت إلى الوزير فمنعت عن الدخول عليه فخرج الشافعي صاحبه وكان يعرفني فأخبرته الخبر، فقال الوزير في طلبك من السحر إلى الآن وقد سألني عنك وأنسيتك فكن بمكانك ورجع فما كان بأسرع من أن دعاني فدخلت إلى أبي الحسن علي بن عيسى فقال ما اسمك فقلت فلان العطار قال من أهل الكرخ قلت نعم، قال يا هذا أحسن الله جزاءك في قصدك إياي فوالله ما نمت منذ البارحة فإن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جاءني البارحة في منامي وقال أعط فلان بن فلان العطار أربعمائة دينار يصلح بها شأنه، قلت إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أتاني البارحة في منامي وقال لي كيت وكيت فبكى علي بن عيسى وقال أرجو أن تكون هذه عناية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثم قال هاتوا ألف دينار فجاؤا بها عينا فقال خذ أربعمائة دينا امتثالا لأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وستمائة دينار هبة مني إليك فقلت أيها الوزير ما أحب أن أزداد على عطاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شيئا فإني أرجو البركة فيه لا فيما عداه فبكى علي بن عيسى وقال هذا اليقين خذ ما بدا لك قال فأخذت الأربعمائة دينار فقضيت منها بعض ديني وفتحت دكاني بما بقي فما حال عليّ الحول إلا ومعي ألف دينار فقضيت بقية ديني وما زال مالي يزيد وحالي تصلح وذلك بعناية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

(خبر طاهر بن يحيى العلوي مع الخراساني)

كان بعض الخرسانيين يحج في كل سنة فإذا دخل المدينة أعطى الطاهر بن يحيى شيئا فاعترضه رجل من أهل المدينة وقال تضيع مالك فإن هذا يصرفه فيما يكره الله فلم يدفع له الخراساني في تلك السنة شيئا، فلما جاء في العام الثاني ودخل المدينة دفع ما دفع و لم يدفع لطاهر شيئا و لم يره، قال الخراساني فتجهزت للحج في العام الثالث فرأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم في المنام وهو يقول ويحك قبلت في طاهر

ابن يحيى قول أعاديه وقطعت عنه ما كنت تبره به لا تفعل واقصده بما فاته ولا تقطعه عنه ما استطعت. قال فانتبهت فزعا نويت ذلك وأخذت صرة فيها ستمائة دينار فلما دخلت المدينة بدأت بدار طاهر بن يحيى ودخلت عليه ومجلسه حافل فلما رآني قال يا فلان لو لم يبعثك إلينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما كنت جئت وقبلت فيّ قول عدو الله وقطعت عادتك حتى لامك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في منامك وأمرك أن تعطيني ستمائة دينار ومد يده إليَّ فداخلني من الدهش ما ذهلت معه وقلت هكذا كانت القصة فما علمك بذلك قال إن معي خبرك في السنة الأولى فلما قطعت ذلك أثر في حالي فلما كان العام الثاني وبلغني دخولك وخروجك وضاق بي الأمر رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في منامي وهو يقول لي لا تغتم فلقد رأيت فلانا الخراساني وعاتبته فيك وأمرته أن يحمل إليك ما فاتك ولا يقطع عنك ما استطاع فحمدت الله وشكرته فلما رأيتك علمت أن المنام جاء بك قال الخراساني فأخرجت الصرة ودفعتها له وقبّلت يده وعينيه وسألته أن يجعلني في حل من قبولي قول ذلك العدو فيه.

(الفصل الثالث) في ذكر من استغاث بالنبي صلّى الله عليه وسلّم للجوع والعطش

قال الشريف أبومحمد عبد السلام بن عبد الرحمن الحسني القابسي أقمت بمدينة النبي صلّى الله عليه وسلّم ثلاثة أيام لم استطعم فيها فأتيت عند منبره فركعت ركعتين ثم قلت يا جدي جعت وأتمنى عليك ثردتك ثم غلبتني عيني فنمت فبينا أنا نائم وإذا برجل يوقظني فانتبهت فرأيت معه قدحا من خشب وفيه ثريد وسمن ولحم وافاوي فقال لي كل فقلت له من أين هذا فقال إن صغاري لهم ثلاثة أيام يتمنون هذا الطعام فلما كان اليوم فتح لي بشيء عملته به ثم نمت فرأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المنام وهو يقول إن أحد إخوانك تمنى عليَّ هذا الطعام فأطعمه منه. وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي الأماني كنت بمدينة النبي صلّى الله عليه

وسلّم خلف محراب فاطمة وكان الشريف مكثر القاسمي نائما خلف المحراب المذكور فانتبه فجاء إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فسلم عليه وعاد إلينا متبسما فقال له شمس الدين صواب خادم الضريح النبوي فيم تبسمت فقال كانت بي فاقة فخرجت من بيتي فأتيت بيت فاطمة رضي الله عنها فاستغثت بالنبي صلّى الله عليه وسلّم وقلت إني جائع فنمت فرأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم وقد أعطاني قدح لبن فشربت حتى رويت وهذا هو فبصق اللبن من فيه في كفه وشاهدناه من فيه.

وقال الشيخ الصالح عبد القادر التنيسي كنت أمشي على قاعدة الفقر فدخلت إلى مدينة النبي صلّى الله عليه وسلّم وسلمت عليه صلّى الله عليه وسلّم وشكوت له ضرري من الجوع واشتهيت عليه الطعام من البُرِّ واللحم والتمر وقدمت بعد الزيارة للروضة فصليت فيها ونمت فيها فإذا بشخص يوقظني من النوم فانتبهت ومضيت معه وكان شابا جميلا خلقا وخُلقا فقدم إليَّ جفنة ثريد وعليها شاة وأطباقا من أنواع التمر الصيحاني وغيره وخبزا كثيرا من جملته خبزا قراص سويق النبق فأكلت وملأ لي جرابي لحما وخبزا وتمرا وقال كنت نائما بعد صلاة الضحى فرأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم في المنام وأمرني أن أفعل لك هذا ودلني عليك وعرفني مكانك بالروضة وقال لي عنك أنك اشتهيت هذا وأردته.

وقال أحد الصالحين كنت بمدينة النبي صلّى الله عليه وسلّم ولم يكن لي شيء فضعفت فأتيت إلى الحجرة وقلت يا سيد الأولين والآخرين أنا رجل من أهل مصر لي خمسة أشهر في جوارك وقد ضعفت فقلت أسأل الله وأسألك يا رسول الله أن يسخر لي من يشبعني أو يخرجني ثم دعوت عند الحجرة بدعوات وجلست عند المنبر فإذا برجل قد دخل إلى الحجرة فوقف يتكلم بكلام ويقول يا جداه يا جداه ثم جاء إليَّ وقبض على يدي وقال لي قم فقمت صحبته فخرج بي من باب جبريل وغدا إلى البقيع وخرج منه فإذا بخيمة مضروبة وجارية وعبد فقال لهما قوما اصنعا لضيفكما عيشة فقام العبد وجمع الحطب وأوقد النار وقامت الجارية وطحنت وصنعت ملة

وشاغلني بالحديث حتى أتت الجارية بالملة فقسمها بنصفين وأتت الجارية بعكة فيها سمن فصب على الملة وأتت بتمر صيحاني فصنعها جيدا وقال لي كل، فأكلت شيئا قليلا فصدرت، فقال لي كل، فأكلت ثم قال لي كل، فقلت يا سيدي لي أشهر لم آكل فيها حنطة ولا أزيد شيئا فأخذ النصف الثاني وضم ما فضل مني من الملة وأتى بمزود وصاعين من تمر فوضعه في المزود وقال لي ما اسمك فقلت فلان نسي الراوي اسم الرجل وقال لي بالله عليك لا تعد تشكو إلى جدي فإنه يعز عليه ذلك ومن الساعة متى ما جعت يأتيك رزقك حتى يسبب الله لك من يخرجك وقال للغلام خذه وأوصله إلى حجرة جدي فغدوت مع الغلام إلى البقيع فقلت له ارجع قد وصلت فقال لي يا سيدي والله الأحد ما أقدر أفارقك حتى أوصلك إلى الحجرة لئلا يعلم النبي صلّى الله عليه وسلّم سيدي بذلك فأوصلني إلى الحجرة وودعني ورجع فمكثت آكل من الذي أعطاني أربعة أيام ثم جعت بعد ذلك فإذا بالغلام قد أتاني بطعام ثم لم أزل كذلك كلما جعت أتاني بطعام حتى سبب الله لي جماعة خرجت معهم إلى ينبع وذلك ببركة سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم.

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد كنت بمدينة النبي صلّى الله عليه وسلّم ومعي ثلاثة من الفقراء فأصابتنا فاقة فجئت إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقلت يا رسول الله ليس لنا شيء ويكفينا ثلاثة أمداد من أي شيء كان فتلقاني رجل فدفع لي ثلاثة أمداد من التمر الطيب.

قال الإمام أبو بكر بن المقري كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ في حرم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكنا على حالة وأثر فينا الجوع وواصلنا ذلك اليوم فلما كان وقت العشاء حضرت قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم فقلت يا رسول الله الجوع الجوع وانصرفت، فقال لي أبوالقاسم اجلس فإما أن يكون الرزق أو الموت قال أبوبكر فنمت أنا وأبو الشيخ والطبراني جالس ينظر في شيء فحضر بالباب علوي فدق ففتحنا له فإذا معه غلامان مع كل واحد منهما زنبيل فيه شيء كثير فجلسنا

وأكلنا وظننا أن الباقي يأخذه الغلام فولى وترك عندنا الباقي فلما فرغنا من الطعام قال العلوي يا قوم أشكوتم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فإني رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المنام فأمرني أن أحمل بشيء إليكم.

وقال ابن الجلاء دخلت مدينة النبي صلّى الله عليه وسلّم وبي فاقة فتقدمت إلى القبر وقلت ضيفك فغفوت فرأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم فأعطاني رغيفا فأكلت نصفه وانتبهت وبيدي النصف الآخر.

وقال أبو الخير الأقطع دخلت مدينة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأنا بفاقة فأقمت خمسة أيام ما ذقت ذواقا فتقدمت إلى القبر وسلمت على النبي صلّى الله عليه وسلّم وعلى أبي بكر وعمر وقلت أنا ضيفك يا رسول الله وتنحيت ونمت خلف المنبر فرأيت في المنام النبي صلّى الله عليه وسلّم وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله وعلي بن أبي طالب بين يديه فحركني علي وقال قم، قد جاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال فقمت إليه وقبلت بين عينيه فدفع صلّى الله عليه وسلّم إليَّ رغيفا فأكلت نصفه وانتبهت فإذا في يدي نصف رغيف.

وقال ابن أبي زرعة الصوفي وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد سافرت مع أبي ومع أبي عبد الله بن خفيف إلى مكة فأصابتنا فاقة شديدة فدخلنا مدينة الرسول صلّى الله عليه وسلّم وبتنا طاوين وكنت دون البالغ فكنت أجيء إلى أبي غير دفعة وأقول أنا جائع فأتى بي إلى الحظيرة وقال يا رسول الله أنا ضيفك الليلة وجلس على المراقبة فلما كان بعد ساعة رفع رأسه وكان يبكي ساعة ويضحك ساعة فسئل عنه فقال رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فوضع في يدي دراهم وفتح يده فإذا فيها كذا دراهم وبارك الله فيها إلى أن رجعنا إلى شيراز فكنا نتفق منها.

وقال أحمد بن محمد الصوفي هت في البادية ثلاثة أشهر فانسلخ جلدي فدخلت المدينة وجئت إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فسلمت عليه وعلى صاحبيه ثم نمت فرأيته صلّى الله عليه وسلّم في النوم فقال لي يا أحمد جئت قلت نعم وأنا جائع

وأنا في ضيافتك فقال افتح كفيك ففتحهما فملأهما دراهم فانتبهت وهي ملأى وقمت واشتريت لي خبز حُواري وفالوذجا وأكلت وقمت للوقت ودخلت البادية.

وقال أحد الصالحين وكان بمدينة النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه أصابه الجوع فأتى قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال يا رسول الله إني جائع إني جائع وجلس بالقرب من حجرة النبي صلّى الله عليه وسلّم فأتاه رجل من الأشراف فقال له قم فقال إلى أين فقال تأكل عندي شيئا فمضى معه إلى بيته فقدمت إليه جفنة فيها ثريد وعليه لحم ودهن وقال له كل فأكل حتى شبع وأراد الانصراف فقال له كل وازدد فأكل فلما أراد الانصراف قال له يا أخي الواحد منكم يأتي من البلاد البعيدة ويقطع المفاوز والقفار ويترك الأهل والأوطان ويشق البحار ويأتي إلى زيارة هذا النبي العظيم صلّى الله عليه وسلّم وتكون همته أن يطلب منه كسرة خبز يا أخي لو طلبت الجنة أو المغفرة أو الرضا أو مهما طلبت لنلته ببركة هذا النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم.

وقال أبو العباس أحمد بن نفيس المقري الضرير التونسي رأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم في المنام بمصر بعد رجوعي من الحجاز وتوجهي إلى المغرب فقال أوحشتنا يا أبا العباس وذلك إني كنت أكثر من قراءة القرآن عند ضريحه بالمدينة قال الباجي فقلت له كم قرأت من ختمة عند قبره يا أستاذ فقال لي ألف ختمة. وقال جعت بالمدينة ثلاثة أيام فجئت إلى القبر فقلت يا رسول الله جعت ثم نمت ضعيفا فركضتني جارية برجلها فقمت إليها فقالت أعزم فقمت معها إلى دارها فقدمت إليَّ خبز بر وتمرا وسمنا وقالت كل يا أبا العباس فقد أمرني بهذا جدي صلّى الله عليه وسلّم ومتى جعت فأت إلينا.

وقال عبد العظيم بن علي الدكالي كنا جماعة فقراء عشرة من دكالة بمدينة الرسول صلّى الله عليه وسلّم فلما ودعنا النبي صلّى الله عليه وسلّم قلنا يا رسول الله ما لنا ما نتزوده فنحن في ضيافتك إلى ضيافة أبينا إبراهيم الخليل عليه السلام فلما بلغنا إلى وادي القرى فإذا فقير من بعض أصحابنا وجد ثلاثة دنانير مصرية فانتفعنا

بذلك إلى أن وصلنا إلى الخليل عليه السلام ببركة النبي صلّى الله عليه وسلّم.

وقال أبوعمران موسى بن محمد البنْزرتي كنت بمدينة النبي صلّى الله عليه وسلّم فلحقتني ضائقة فجئت إلى القبر وقلت يا حبيبِي يا رسول الله أنا في ضيافة الله وضيافتك فأغفيت وأنا منتظر صلاة العصر فإذا بالحجرة قد انفرجت وثلاثة نفر قد خرجوا من الحجرة فقمت أسلم على النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال لي الذي كان بجنبي اجلس فإن النبي صلّى الله عليه وسلّم يسلم على الحجاج ويفرق الزاد على المنقطعين فقلت أنا منهم فجاء النبي صلّى الله عليه وسلّم إليَّ وسلم على الحجاج ومددت يدي إليه وقبلت يده فأعطاني في يدي شبه خبيصة فجعلتها في فمي فانتبهت وأنا أحرك فمي من طعمها فخرجت فقيض الله لي من ركبني في محارة وسخر لي وليا من أوليائه يخدمني إلى أن وصلنا إلى مكة ببركة النبي صلّى الله عليه وسلّم.

وقال ياسين بن أبي محمد كنا بوادي القرى جائين من عند النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال لي فقير أدركني الجوع فقلت كما خرجنا من عند النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال الفقير يا رسول الله نحن جياع ونحن في ضيافتك فالتقينا مَلَّة أكلنا فيها ثلاثة أيام وهي من طحين العلامة الطيبة.

(الاستغاثة به صلّى الله عليه وسلّم للسقيا)

قال السمهودي[١] في خلاصة الوفا روى البيهقي وابن أبي شيبة[٢] بسند صحيح عن مالك الدار وكان خازن عمر رضي الله عنه قال أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المنام فقال ائت عمر فأقرئه السلام وأخبره أنهم مسقون وقل له عليك الكيس فأتى الرجل عمر رضي الله عنه فأخبره فبكى عمر ثم قال يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه انتهى.

---

(١) علي بن عبد الله المصري توفي سنة ٩١١ هـ. [١٥٠٦ م.] في المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

(٢) ابن أبي شيبة عبد الله بن محمد توفي سنة ٢٣٥ هـ. [٨٥٠ م.]

وعن أبي الجوزاء التابعي قال قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى عائشة فقالت انظروا قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم.

وقال الفقيه المقري أبوالعباس أحمد بن علي بن الرفعة لما كان سنة ثلاث وخمسين وستمائة توقفت زيادة النيل بمصر في شهر مسري عن عادته فضج الناس بسبب ذلك مع ما هم فيه من غلاء السعر فبت ليلة الجمعة الرابع والعشرين من جمادي الآخرة الموافق ليلة الثالث من مسري مهموما فصليت ركعتين وقرأت في الأولى بفاتحة الكتاب وقوله تعالى (**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ** * فصلت: ٥٣) إلى آخر السورة وفي الثانية بالفاتحة وقوله تعالى (**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ**) إلى آخر السورة واستغثت بالنبي صلّى الله عليه وسلّم ونمت فرأيت هاتفا هتف بي وهو يقول إنه سمع استغاثتك وإنه يفرج عن العالم بعد ثلاثة أيام في نيل مصر فبعد ثلاثة أيام زاد النيل في ذلك اليوم خمسة عشر أصبعا ثم استمرت الزيادة ببركة النبي صلّى الله عليه وسلّم.

وثبت في الصحيح أن عمر رضي الله عنه كان يستسقي بالعباس لكونه عم النبي صلّى الله عليه وسلّم فيسقى. وفي رواية الزبير ابن بكار أن العباس رضي الله عنه قال في دعائه وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك صلّى الله عليه وسلّم فاسقنا الغيث فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض.

وقال الشيخ العارف عتيق كنا في ركب الحج فأدرك الناس عطش شديد وقل ملؤهم فلجأ جماعة من أهل الركب إلى الشيخ أبي النجا سالم بن علي فاعتزل عنهم ودعا الله عز وجل وتشفع إليه بالنبي صلّى الله عليه وسلّم فأرسل الله عليهم المطر حتى عم الركب بأجمعهم.

وقال الشيخ أبو عبد الله المهتدي على ما في مصباح الظلام حججت إلى بيت الله فوافيت بالحرم رجلا ذكر لي إنه لا يشرب الماء فسألته عن ذلك فقال أنا أخبرك

سبب ذلك أنا رجل من أهل الحلة من الطائفة المتشيعة نمت ليلة فرأيت كأن القيامة قد قامت والناس في كرب وشدة وعطش فأصابني عطش عظيم فأتيت حوض النبي صلّى الله عليه وسلّم فوجدت عليه أبا بكر وعمر وعثمان وعليا رضي الله عنهم وهم يسقون الناس قال فأتيت عليا رضي الله عنه لإدلالي عليه ومحبتي له وتقديمي إياه ليسقيني فأعرض بوجهه عني فأتيت أبا بكر رضي الله عنه فأعرض بوجهه عني فأتيت عمر رضي الله عنه فأعرض بوجهه عني فأتيت عثمان رضي الله عنه فأعرض عني والنبي صلّى الله عليه وسلّم واقف في المحشر يذود الناس فأتيته فقلت يا رسول الله أصابني عطش عظيم فأتيت عليا ليسقيني فأعرض عني فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كيف يسقيك وأنت تبغض أصحابي فقلت يا رسول الله ما لي من توبة قال لي نعم، أسلم وتب وأسقيك شربة لا تظمأ بعدها أبدا فأسلمت وتبت على يد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فناولني كأسا فشربتها فاستيقظت فلم أجد عطشا وبقيت على ذلك إن شئت أشرب وإن شئت لا أشرب فمضيت إلى أهلي إلى الحلة وتبرأت منهم إلاّ من أجاب ورجع عن ذلك.

وقد ألف في هذا الشأن العلامة الشيخ علي الحلبي[١] الشافعي رحمه الله تعالى كتابا سماه بغية الأحلام بأخبار من فرّج كربه برؤيا المصطفى في المنام. وها أنا أنقل عنه ما لم يذكره صاحب مصباح الظلام فأقول قال رحمه الله تعالى ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال خرجت من بغداد قاصدا مصر لمواجهة أخي بها وصحبتني زوجة له وبنت صغيرة وكنا في قافلة كبيرة فلما كنا في بعض الأماكن ونحن مقبلون على دمشق خرج قطاع الطريق علينا فأخذوا جميع ما بأيدي الناس وكنا على ماء من بعض المياه فقلت للناس الموت لابد منه ولأن نسير في طلب الخلاص خير لنا من البقاء هنا لعل الله يرحمنا ويخلصنا فسرنا يومين وليلتين وأنا أحمل الصبية التي هي بنت أخي لعجز أمها عن حملها من غير أكل ولا شرب ومات منا خلق كثير فلما كان في

(١) علي الحلبي توفي سنة ١٠٤٤ هـ.

اليوم الثالث وقفنا على حلة أعراب فجئت إلى امرأة منهم وأمسكت بذيلها وقلت لها أنا في جوارك وأخذت في قراءة القرآن فرق لي صاحب البيت وصرت أحادثه وأتلطف به إلى أن قال لي ما تشاء قلت تركبني أنا وهذه المرأة والصبية وتسير معي إلى دمشق وأعطيك ما يكون فيه مكافأة لإحسانك ففعل وكساني وكسا المرأة والصبية وحملنا إلى دمشق وحمل معنا من الماء والزاد كفايتنا فلما كان في بعض أيام شارفنا دمشق فإذا أهلها قد خرجوا يستقبلون الناس وكل من له صديق أو معرفة يسأل عنه لما بلغهم ما حصل في القافلة فما شعرت إلا بإنسان يسأل عني فقلت له ها أنا ذاك فأخذ بخطام راحلتي حتى أدخلنا دارا حسناء تدل على نعمة كبيرة و لم أشك أنه صديق إلى أخي وأقمنا عنده يومين ثلاثة في نعمة لا أسأله عن شيء ولا يسألني عن شيء فلما كان في اليوم الثالث سألني عن الأعرابي فأخبرته خبره فقال خذ ما تريد من الدنانير فقلت كذا وكذا من الدنانير فأعطانيها فدفعتها للأعرابي وزودني الرجل زادا كثيرا ثم قال ماذا تريد من الجمال وكم يكفيك من النفقة وأين تريد من البلاد قال فلما قال لي أين تريد من البلاد ارتعدت وقلت لو كان هذا من أصدقاء أخي الذين كاتبهم بتفقدي لكان قد علم مقصدي فقلت له كم كاتبك أخي أن تعطيني قال ومن أخوك قلت أبو يعقوب بن الأزرق الأنباري كاتب المقر بمصر فقال والله ما سمعت باسم هذا الرجل قط ولا أعرفه فورد علي أمر عظيم فقلت يا هذا إني ظننتك صديقا له وإن ما عملته معي من الجميل لسببه فانبسطت إليك بالطلب فما السبب فيما عاملتني به قال أمر هو أكد من أمر أخيك يجب معه أن يكون انبساطك أتم فقلت ما هو قال لما جاء خبر القافلة التي كنت بها ما بقي بدمشق أحد إلا وردت عليه مصيبة عظيمة إما بذهاب مال أو بغم على صديق أو قريب إلا أنا فإنه لم يكن لي بها لا صديق ولا مال ثم تهيأ الناس للخروج إلى تلقي المنقطع منهم وإصلاح أحوالهم و لم أعزم أنا فلما كان في الليل رأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم وكأنه يقول أدرك أبا محمد بن الأزرق الأنباري فأَعنه وأصلح شأنه بما

يبلغه مقصده. فلما خرجت مع الناس أسأل عنك كان ما رأيت مني إلى الآن فأنظر ما تريد قال أبو محمد فبكيت بكاء شديدا لم أقدر معه على خطابه مدة ثم نظرت ما يبلغني مصر فطلبته منه وأخذته وأصلحت أمري وسألت الرجل عما يعرف به فذكر بأنه يعرف بابن الصابوني ثم بلغت مصر واجتمعت بأخي وأخبرته الخبر فتعجب وبكى بكاء شديدا ثم صار يكاتب ابن الصابوني ثم أن أخي ورد إلى دمشق فوجد حال الرجل قد اختلف بمحن لحقته فوهب له ضيعة كانت له بدمشق وكان متحصلها له وقع كبير مكافأة له على ما فعل معي.

ومن ذلك أن الأمير طغرل بك[١] وهو أول ملوك السلجوقية لما عزم على المسير إلى الموصل كان معه جيش كبير فصار الجيش ينتهبون القرى فحصل لأهل القرى شدة عظيمة فرأى النبي صلّى الله عليه وسلّم في المنام فسلم عليه فأعرض عنه وقال حكمك الله في البلاد ثم لا ترفق بخلقه ولا تخاف من جلال الله عز وجل فاستيقظ مذعورا وأمر وزيره أن ينادي في الجيش بالعدل وأن لا يظلم أحد أحدا.

ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال اجتاز بعض كبار الأمراء مع رفيق له من خواصه بدكان فرأى فيها بنتا صغيرة فتنه جمالها فقال لرفيقه أعرف هذا الدكان فعرفها ثم لما انتهى إلى منزله قصّ على الرفيق أمره وقال له لابد من التزوج بهذه البنت فذهب الرفيق واستدعى البقال وقال له إن الأمير يطلبك في خير لك، فقال السمع والطاعة فطلع الرفيق وأخذه معه فلما دخل على الأمير أعلمه بمجيء البقال فأدخله إلى محل خلوة وقال للرفيق قل له ما هذه البنت التي كانت في دكانك منك قال بنتي، قال ألها أم قال لا، قال مولانا الأمير يريد أن يتزوجها، فقال من أين لها هذه السعادة فقال أرسل أحضرها فأحضرها فأدخلها عند حريمه واستدعى القاضي والشهود وتزوجها من أبيها ثم قال له الأمير بشرط أنك لا تسكن بهذه البلدة وتأخذ ألف دينار وتذهب بها إلى أية بلدة شئت من بلادي ولا تعلم أحداً بهذه الأمور وأوصي

---

(١) أمير طغرل بك أول ملوك السلجوقية ومؤسس دولتها توفي سنة ٤٥٥ هـ.

عليك فاختار بلدا من البلدان فكتب له أمرا لمتوليها بمراعاته والقيام بمصالحه ومن فوره أخذ ما في دكانه وذهب إلى تلك البلد ولم يعلم بذلك أحد فتلقاه متوليها وأنزله أحسن المنازل ووكل به من يخدمه ويقضي مصالحه ثم إن الأمير استدعى قهرمانته التي تصلح شأن جواريه وقال لها أصلحي من شأن هذه البنت فقالت له والله يا سيدي هذه البنت فتنة ثم أدخلتها الحمام وأصلحت من شأنها وألبستها لباس نساء الأمراء فصارت لا يقدر أحد على النظر إليها ثم أدخلتها على الأمير فكاد عقله يطير من رؤيتها فأخذت بمجامع عقله حتى ترك الجلوس للمظالم إلى أن كلمه ذلك الرفيق في ذلك ثم إن الأمير افتتن بحبها وصار يتقرب إليها في كل يوم بكل ما يحبه ويعجبه من ذخائر الأمراء ثم أنه تذكر في يوم أن عنده تاجا وبدلة كان والده أهداهما لأمه فاستدعى القيّمة على الملبوس وأمرها بإخراج ذلك الصندوق الذي فيه ذلك التاج وتلك البدلة فأخرجت الصندوق وأخرجت منه ذلك التاج وتلك البدلة ودفعتهما إليه فدفعهما إلى البنت وأمرها بلبسهما وصار لا يقدر أحد على مواجهتها والنظر إلى وجهها ثم أنها في بعض الأيام جلست إلى جانب شباك يطلّ على الشارع المسلوك وإذا بسائل يقول من يتغالى في محبة النبي صلّى الله عليه وسلّم يتغالى النبي صلّى الله عليه وسلّم في شفاعته له فقالت لا أعزّ عندي من هذا التاج والله لأدفعنَّه إليه وإذا سئلت عنه أورّى في الجواب فاستوقفت السائل وذهبت فنَزعت ذلك التاج من على رأسها ودفعته لذلك السائل ثم أن الأمير مكث أياما لا يراها تلبس التاج الذي يحصل له غاية المسرة برؤيتها فيه فقال لها في بعض الأيام لِمَ لا تلبسين التاج فسكتت ثم ردّ عليها مرة أخرى فتوانت ثم قال لها مرة ثالثة وأكد عليها في ذلك فتوانت فقال لها أخبريني بالقصد فأخبرته بخبره فضربها على وجهها ونزع ما كان عليها من الثياب وأمر أن تلبس ثوبا من خام وطرحة من قطن وانتضى لها سكينا وقطع بها يدها ودفعها لها وطلقها وأمر بإخراجها فأخرجت وجيء بها إلى حانوت أبيها فدخلت إلى وكالة تجاه دكان أبيها وكان بواب تلك الوكالة رجلا شيخا كبيرا

فقالت يا عمّ فلان أين ذهب أبي فقال لها وأين كنت فقالت له كلاما ملفقا قال أبوك من يوم كذا ما رأيناه ولا نعرف أين ذهب ثم قال لها يا فلانة إني رجل كبير مسنّ وعاجز وأريدك أن تسكني في هذا الحاصل عندي ويكون نظرك على المحل فقالت سمعا وطاعة ثم قالت له قصدي أن تأتيني بشيء من الزيت الحارّ وحطب ونار فأتى إليها بذلك فغلت الزيت الحار وأثبتت يدها فيه ولم يشعر الشيخ البواب بذلك ثم أنها مكثت أياما عند ذلك الشيخ فجاءت قافلة من بلاد حلب وفيها رجل تاجر فدخل إلى تلك الوكالة ونزل بها ثم إنه في بعض الأيام لحظ تلك البنت فكاد عقله يطير استدعى ذلك الشيخ البواب وقال له ما هذه منك فقال هذه بنتي فقال أريد أن أتزوجها ولها ما شاءت من الأموال فقال أستأذنها فأذنت له على شرط أن لا يدخل بها إلا في بلده فذكر ذلك له فوافق على ذلك وكتب كتابه عليها وصار يرسل لها التحف وأنزلها بمحل عظيم وأخذ لها جواري وخدما وصارت في نعمة عظيمة ثم إنه لما أراد السفر هيأَ لها محفّة وحملها فيها وحولها الخدم وأخذوا في السير فلما وصلوا إلى الشام قالت كم بقي بيننا وبين بلد سيدي فقال لها كذا وكذا من الأيام فأخذت في البكاء والتضرع وقالت إلهي بحرمة من تغاليت في محبته إلا ما سترتني فإني مقطوعة اليد وهو لا يعلم وكيف أدخل إلى أهله وأنا كذا ثم غلب عليها النوم فرأت المصطفى صلّى الله عليه وسلّم فقال لها يا فلانة أين يدكِ قالت يا رسول الله هذه هي فأخذها صلّى الله عليه وسلّم ووضعها مكانها ووضع ريقه الشريف حولها فالتصقت وصار محل ريقه الشريف يضيء كالنور الساطع فانتبهت فوجدت يدها في محلها فزغرت من شدة المسرة فأرسل التاجر يسألها عن ذلك فلم تجبه بالخبر فسكت إلى أن دخل مترله وخرج نساؤه وأهل بيته يتلقون تلك الصبية ففتنتهم بحسنها وجمالها ثم دخل بها ومضى على ذلك أيام ثم إن التاجر جلس معها في بعض الأيام بجانب شباك يطلّ على الشارع المسلوك وإذا بسائل يقول من يتغالى في محبة النبي صلّى الله عليه وسلّم يتغالى النبي صلّى الله عليه وسلّم في شفاعته له فقالت يا سيدي بالله عليك إن

كنت تحبني تنظر أعز الأشياء عندك من المعادن وأنفسها تدفعه لهذا السائل واستوقفت السائل فقال لها التاجر هذا يرضي بالقدر اليسير فقالت أنا لا أرضى بذلك فقال لها والله لا أعطي ذلك إلا أن أخبرتيني عن حقيقة حالك من البكاء والعويل ثم الفرح والضحك ورفع الصوت بالزغاريت فأخذت تقص عليه القصة والسائل يسمع فقال لها التاجر والله إني أنا كنت ذلك السائل فقال السائل من أسفل وأنا والله ذلك الأمير فترل التاجر وأطلعه وسأله عن الحال فقال لما قطعت يد هذه الصبية أخذني من الأسف والقلق ما كادت نفسي تفارقني بسببه ثم إن بعض أعدائي أخرجني من إمارتي فخرجت هاربا خوفا من القتل و لم أصحب معي شيئا فصرت إلى هذه الحالة فقال له التاجر والله يا سيدي إني لم آخذ من التاج إلا فصا واحداً فباعه وعمر له بشيء من ثمنه تكية بحسب طلبه ووقف عليها أوقافا وأقام بها وصارت الصبية ترسل إليه في كل قليل بأنواع الإحسان ولطائف الامتنان.

ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال مكثت ثلاث سنوات أدعو الله أن ييسر لي الحج فرأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم وهو يأمرني بالحج في تلك السنة فذكرت له أنه ليس معي ما أحج به ثم رأيته مرة ثانية كذلك ثم مرة ثالثة كذلك فقال لي في المرة الثالثة انظر موضع كذا وكذا من دارك فاحفر فيه تجد درعا لجدك وأبيك قال فصليت الغداة ثم احتفرت ذلك الموضع فإذا درع كأنما رفعت عنها الأيدي فأخرجتها وبعتها بأربعمائة درهم فاشتريت ناقة وخرجت إلى الحج ثم بعد أن أتممت الأعمال رأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم وهو يقول لي قبل الله سعيك ائت عمر بن عبد العزيز وقل له إن لك عندنا ثلاثة أسماء عمر وأمير المؤمنين وأبو اليتامى فانتبهت وجئت أصحابي وقلت لهم امضوا على بركة الله تعالى فإني أريد أن أذهب إلى الشام وذهبت مع رفقة يريدون الشام فانتبهت إلى دمشق وأتيت عمر بن عبد العزيز واستأذنت عليه فأذن لي في الدخول فدخلت عليه وقصصت عليه القصة فدخل وأخرج لي صرة فيها أربعون دينارا وقال لي لم يبق من عطائي غير ما ترى وأنا

أسألك فيه فقلت لا والله لا آخذ على رسالة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شيئا ثم ودعته وانصرفت فاعتنقني ومشى معي إلى الباب ودمعت عيناه.

ومن ذلك ما حدث به الواقدي[١] قال حصلت لي إضافة شديدة جدّا وأقبل عليّ شهر رمضان ولا نفقة لي فكتبت إلى علويّ كان صديقا لي استقرض منه ألف درهم فأرسل دريهمات في كيس فما أمسيت من يومي هذا حتى أتتني رقعة من بعض أصدقائي يستقرض مني ألف درهم فبعثت إليه بالكيس فلما أصبحت من اليوم الثاني أتاني الصديق الذي أقرضته والعلوي الذي أقرضني وأخرجا إليّ الكيس وقال لي العلوي: اعلم أنه قد أظلنا هذا الشهر المبارك وما عندي للنفقة غير هذه الدريهمات التي في هذا الكيس فلما وردت عليّ رقعتك بعثت بها إليك وآثرتك على نفسي وكتبت إلى هذا الفتى استقرض منه ألف درهم فبعث إليّ بهذا الكيس فتعجبت من ذلك فقصصت عليه القصة فاتفقنا على أن نقسمها أثلاثا لكل واحد منا الثلث إلى أن ييسر الله تعالى قال الواقدي فاقتسمناها فأنفقت ما خصني ولم يبق منه إلا القليل وأنا مفكر فرأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم يبشرني بالفرج فأنا وقت السحر إذا أنا برسول يحيى بن خالد[٢] البرمكي يطلبني فجئته فقال يا واقدي رأيتك البارحة في منامي على حالة استدللت بها على أنك في غم فأخبرني بحالك فأخبرته بالقصة فقال لست أدري أيكم أكرم وأمر لي بثلاثين ألف درهم ولهما بعشرين ألف درهم وولاني القضاء قال الشيخ علي الحلبي قلت وهذه الحكاية أوردها في مرآة الزمان على غير هذا الوجه. ومن ذلك ما حدث به إبراهيم بن مهران قال كان بالكوفة بجوارنا رجل قاض يكنى أبا جعفر وكان حسن المعاملة وكان إذا أتاه إنسان من العلوية يطلب ما عنده لا يمنعه فإن كان معه ثمنه أخذه وإلا قال لغلمانه أكتب ما أخذه على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فعاش كذلك زمانا ثم افتقر وجلس في

---

(١) المؤرخ المشهور محمد بن عمر الواقدي توفي سنة ٢٠٧ هـ. في بغداد.

(٢) يحيى بن خالد وزير هارون الرشيد توفي سنة ١٨٧ هـ.

بيته وكان ينظر في دفتره فإن وجد فيه حيا بعث من يطالبه وإن وجد ميتا ضرب على اسمه فبينما هو ذات يوم جالس على باب داره ينظر في ذلك الدفتر إذ مر به رجل فقال كالمستهزئ ما فعل غريمك الكبير يعني عليا رضي الله عنه فاغتم الرجل لذلك ودخل مترله فلما كان الليل رأى النبي صلّى الله عليه وسلّم والحسن والحسين يمشيان بين يديه فقال لهما رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما فعل أبوكما فأجابه علي رضي الله عنه من ورائه فقال ها أنا يا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال ما لك لا تدفع إلى هذا الرجل حقه فقال له قد جئته به قال فأعطه، قال فناولني كيسا من صوف وقال هذا حقك فقال لي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خذه ولا تمنع من جاءك من ولده يطلب ما عندك فامض فلا فقر عليك بعد اليوم فانتبهت والكيس في يدي فناديت زوجتي وقلت لها أنائم أنا أم يقظان قالت بل يقظان فانشرحت وناولتها الكيس وقصصت عليها القصة ونظرت في الدفتر فإذا ليس فيه شيء لا قليل ولا كثير.

ومن ذلك ما حدث به إبراهيم بن إسحاق بن مصعب وكان على شرطة بغداد أنه رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في منامه وهو يقول أطلق القاتل فانتبه مرعوبا وسأل أصحابه فقالوا عندنا رجل اتهم بقتل فأحضره وقال أصدقني الحديث فقال أخبرك نحن جماعة نجتمع على المحرمات كل ليلة وكانت عجوز تختلف إلينا وتأتينا بالنساء فدخلت علينا بامرأة فلما رأت المرأة ما نحن عليه صاحت صيحة عظيمة وأغمي عليها فأدخلتها بيتا من الدار فلما أفاقت سألتها عن حالها فقالت يا فتيان الله الله فيّ فإن هذه العجوز غرتني وأخبرتني أن عندها خفّا ليس في الدنيا مثله وأنها لا تخرج به من مترلها فتشوقت إلى رؤيته ثقة بقولها لأنظره فهجمت بي عليكم وأنا شريفة وجدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأمي فاطمة بنته فاحفظوهما فيّ قال فخرجت إلى أصحابي وعرفتهم حالها وقلت لا تتعرضوا لها وكأني أغريتهم بها فقاموا إليها وقالوا لي لما قضيت حاجتك منها تريد أن تصرفنا عنها فقمت دونها

وقلت والله لا يصل إليها أحد منكم وأنا حيّ فتفاقم الأمر بيننا إلى أن نالتني جراحة فعمدت إلى أشدهم حرصا على ذلك فقتلته ثم حاميت عنها إلى أن أخرجتها من الدار وسمع الجيران الضجة فاجتمعوا ودخلوا الدار ورأوا السكين في يدي والرجل مقتول فجاؤا بي إليكم فقال له إسحاق قد وهبتك لله ولرسوله ولحفظ المرأة وتاب الرجل وحسنت توبته. ومن ذلك ما حكى عن علي بن عيسى الوزير قال كنت أحسن إلى العلوية فادفع لكل واحد منهم عند استقبال شهر رمضان ما يكفيه سنته طعاما وكسوة وكان من جملتهم شيخ من أولاد موسى بن جعفر بن محمد الباقر كنت أجري عليه في كل سنة خمسة آلاف درهم فرأيته يوما سكران قد تقيأ وتلطخ بالطين فقلت في نفسي أعطي مثل هذا الفاسق في كل سنة خمسة آلاف درهم ينفقها في معصية الله وعزمت أن لا أعطيه شيئا فلما دخل شهر رمضان جاءني ذلك الشيخ وسلم عليّ فقلت له لا كذلك ولا كرامة ادفع إليك ما تنفقه في معصية الله أنا رأيتك وأنت سكران انصرف ولا تعد إِليَّ بعد اليوم قال فلما نمت تلك الليلة رأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم في المنام وقد اجتمع إليه الناس فتقدمت إليه فأعرض عني فشق ذلك عليّ وساءني فقلت يا رسول الله هذا مع كثرة إحساني إلى أولادك وكثرة صلاتي عليك فقال لِمَ رددت ولدي فلانا عن بابك وقطعت جائزته فقلت لأني رأيته سكرانا فأحببت أن لا أعينه على معصية الله تعالى فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كنت تعطيه ذلك لأجله أو لأجلي انتهى ما نقلته من كتاب بغية الأحلام للعلامة الشيخ عليّ الحلبي صاحب السيرة رحمه الله تعالى.

(**تتمة**): قد اتفق أئمة العلماء العارفين الهادين المهديين جيلا بعد جيل من عهده صلّى الله عليه وسلّم إلى الآن على جواز التوسل به عليه الصلاة والسلام إلى الله تعالى لقضاء الحاجات في حياته صلّى الله عليه وسلّم وبعد الممات وقد صار من المجربات أن من استغاث به صلّى الله عليه وسلّم إلى الله تعالى بإخلاص وصدق التجاء تقضي حاجته مهما كانت ولم يحصل التخلف لأحد إلا من ضعف اليقين

وحصول التردد وعدم صدق الالتجاء وأدلة ذلك وشواهده كثيرة جدا مفصلة في هذا الكتاب وغيره وحاصل ذلك كما قال السيد السمهودي في خلاصة الوفا أن التوسل والتشفع به صلّى الله عليه وسلّم وبجاهه وبركته من سنن المرسلين وسير السلف الصالحين.

وصحح الحاكم[١] حديث لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد صلّى الله عليه وسلّم لما غفرت لي فقال يا آدم كيف عرفت محمدا و لم أخلقه قال يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعرفت إنك لم تضف إلى اسمك إلا أحبّ الخلق إليك فقال الله (**صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليَّ وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك**).

وللنسائي والترمذي وقال حسن صحيح عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضرير البصر أتى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال ادع الله لي أن يعافيني قال (**إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك**) قال فادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء (**اللّهمّ إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى اللّهمّ شفعه فيَّ**) وصححه البيهقي وزاد فقام وقد أبصر. وله وللطبراني عن عثمان بن حنيف أيضا أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة فكان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته فشكا ذلك لابن حنيف فقال له ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ركعتين ثم قل (**اللّهمّ إني سألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي لتقضى حاجتي**) وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان فجاءه البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان فأجلسه معه على الطنفسة فقال ما حاجتك فذكر حاجته وقضاها له ثم قال ما ذكرت حاجتك حتى الساعة وما

---

(١) الحاكم النيشابوري محمد بن عبد الله توفي سنة ٤٠٥ هـ. في نيشابور.

كانت لك من حاجة فاذكرها ثم خرج من عنده فلقي ابن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي حتى كلمته فيّ فقال ابن حنيف والله ما كلمته ولكني شهدت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال له النبي صلّى الله عليه وسلّم أو تصبر فقال يا رسول الله إنه ليس لي قائد وقد شق عليّ فقال له النبي صلّى الله عليه وسلّم (**ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذا الدعاء**) قال ابن حنيف فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط. وقال صلّى الله عليه وسلّم في دعائه لفاطمة بنت أسد (**بحق نبيك والأنبياء الذين من قبله**) الحديث وسنده جيد.

وذكر المحبوب أو المعظم قد يكون سببا في الإجابة وفي العادة أن من توسل بمن له قدر عند شخص أجاب إكراما له وقد يتوجه بمن له جاه إلى من هو أعلى منه وإذا جاز التوسل بالأعمال كما صح في حديث الغار وهي مخلوقة فالتوسل به صلّى الله عليه وسلّم أولى ولا فرق في ذلك بين التعبير بالتوسل أو الاستعانة أو التشفع أو التوجه به صلّى الله عليه وسلّم في الحاجة وقد يكون ذلك بمعنى طلب أن يدعو كما في حال الحياة إذ هو غير ممتنع مع علمه بسؤال من يسأله ثم قال بل يجوز كما قال السبكي:[١] التوسل بسائر الصالحين كما استسقى عمر بالعباس رضي الله عنهما.

وفي الشفاء بسند جيد عن ابن حميد قال ناظر أبوجعفر[٢] أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله تعالى أدب قوما فقال (**لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**) الآية ومدح قوما فقال (**إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ**) الآية وذم قوما فقال (**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ** * الحجرات: ٢-٤) الآية وإن من حرمته صلّى الله عليه وسلّم ميتا كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا

(١) الإمام السبكي علي بن عبد الكافي توفي سنة ٧٥٦ هـ. في القاهرة.

(٢) أبوجعفر المنصور ثاني خلفاء العباسية توفي سنة ١٥٨ هـ.

عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله تعالى قال الله تعالى (**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** * النساء: ٦٤) انتهى باختصار.

وذكر الإمام ابن حجر المكي[١] في حاشيته على مناسك الإمام النووي[٢] بعد نقله بعض عبارة السمهودي[٣] السابقة في جواز التوسل به صلّى الله عليه وسلّم مع جواز التوسل بغيره من الأنبياء والأولياء أن بعض العلماء استحسن أن يضم للسلام الذي ذكره المصنف قراءة آية (**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** * الأحزاب: ٥٦) ثم صلى الله عليك يا محمد سبعين مرة لقول بعض القدماء بلغنا أنه يناديه ملك صلى الله عليك يا فلان لم تسقط لك اليوم حاجة قال والصواب أن يقول يا رسول الله لحرمة ندائه صلّى الله عليه وسلّم بإسمه وقول بعضهم محل الحرمة في نداء لم يقترن به صلاة وسلام مردود نقلا وبحثا ولا يرد ما مر في الحديث أي حديث الضرير الذي تشفع به صلّى الله عليه وسلّم فأبصر لأن ذلك مستثنى لتصريحه صلّى الله عليه وسلّم بالإذن فيه انتهى.

ورأيت في فتاوى الشهاب الرملي أن محل حرمة ندائه صلّى الله عليه وسلّم باسمه الشريف إذا لم يقترن بقرينة تدل على تعظيمه وتوقيره صلّى الله عليه وسلّم. والسلام الذي ذكره النووي في المناسك هو أن يقول زائر النبي صلّى الله عليه وسلّم السلام عليك يا رسول الله. السلام عليك يا نبي الله. السلام عليك يا خيرة الله. السلام عليك يا خير خلق الله. السلام عليك يا حبيب الله. السلام عليك يا نذير.

---

(١) أحمد بن حجر المكي الشافعي توفي سنة ٩٧٤ هـ. [١٥٦٦.] في مكة المكرمة زدها الله شرفا وكرما.

(٢) يحيى بن شرف النووي الشافعي توفي سنة ٦٧٦ هـ. [١٢٧٧ م).

(٣) نور الدين علي السمهودي الشافعي توفي سنة ٩١١ هـ. [١٥٠٥ م.] في المدينة المنورة على ساكنها السلام.

السلام عليك يا بشير. السلام عليك يا طهر. السلام عليك يا طاهر، السلام عليك يا نبي الرحمة. السلام عليك يا نبي الأمة. السلام عليك يا أبا القاسم. السلام عليك يا رسول رب العالمين. السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين. السلام عليك يا خير الخلائق أجمعين. السلام عليك يا قائد الغر المحجلين. السلام عليك وعلى آلك وأهل بيتك وأزواجك وذريتك وأصحابك أجمعين. السلام عليك وعلى سائر الأنبياء وجميع عباد الله الصالحين. جزاك الله يا رسول الله عنا أفضل ما جزى نبيا ورسولا عن أمته وصلى الله عليك كلما ذكرك ذاكر وغفل عن ذكرك غافل، أفضل وأكمل وأطيب ما صلي على أحد من الخلق أجمعين. أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك عبده ورسوله وخيرته من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده اللّهمّ وآته الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته وآته نهاية ما ينبغي أن يسأله السائلون، اللّهمّ صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد انتهى.

(ومن دلائل نبوته صلّى الله عليه وسلّم)

حصول الفوائد الجليلة الدنيوية والأخروية لمن يكثر الصلاة عليه صلّى الله عليه وسلّم بأي صيغة كانت من صيغ الصلوات وبكيفيات مخصوصة ذكرت كثيرا منها في كتابي سعادة الدارين وأفضل الصلوات كما يحصل ذلك بالاستغاثة به لله تعالى بإخلاص النية وصدق الالتجاء صلّى الله عليه وسلّم. قال العارف بالله سيدي عبد الوهاب الشعراني سمعت سيدي عليا الخواص رضي الله تعالى عنه يقول من كان له حاجة فليصلّ على النبي صلّى الله عليه وسلّم ألف مرة بتوجه تام ثم يسأل الله تعالى في قضاء حاجته فإنها تقضى إن شاء الله تعالى انتهى. وقال رضي الله عنه في العهود الكبرى أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن لا نسأل الله

تعالى شيئا إلاّ بعد أن نحمد الله تعالى ونصلي علي النبي صلّى الله عليه وسلّم وذلك كالهدية بين يدي الحاجة وقد قالت عائشة رضي الله عنها مفتاح قضاء الحاجة الهدية بين يديها فإذا حمدنا الله تعالى رضي عنا وإذا صلينا على النبي صلّى الله عليه وسلّم شفع لنا عند الله في قضاء تلك الحاجة قال تعالى (**وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** * المائدة: ٣٥) وتأمل بيوت الحكام تجدها لابد لك فيها من واسطة من له قرب عند الحاكم وإدلال عليه ليمشي لك في قضاء حاجتك ولو أنك طلبت الوصول إليه بلا واسطة لم تصل إلى ذلك وإيضاح ذلك أن من كان قريبا من الملك فهو أعرف بالألفاظ التي يخاطب بها الملك وأعرف بوقت قضاء الحوائج ففي سؤالنا للوسائط سلوك للأدب معهم وسرعة لقضاء حوائجنا ومن أين لأمثالنا أن يعرف أدب خطاب الله عز وجل.

وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول إذا سألتم الله حاجة فاسألوه بمحمد صلّى الله عليه وسلّم وقولوا اللّهمّ إنا نسألك بحق محمد أن تفعل لنا كذا وكذا فإن لله ملكا يبلغ ذلك لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ويقول له إن فلانا سأل الله تعالى بحقك في حاجة كذا وكذا فيسأل النبي صلّى الله عليه وسلّم ربه في قضاء تلك الحاجة فيجاب لأن دعاءه صلّى الله عليه وسلّم لا يرد انتهى.

ونقل الشهاب أحمد المقرّي في نفح الطيب عن أديب الأندلس أبي بحر صفوان ابن إدريس أنه رحل إلى مراكش في جهاز بنت له بلغت التزويج وقصد دار الخلافة مادحا فما تيسر له شيء من أمله ففكر في خيبة قصده وقال لو كنت أملت الله سبحانه وتعالى ومدحت نبيه صلّى الله عليه وسلّم وآل بيته الطاهرين لبلغت أملي بمحمود عملي ثم استغفر الله تعالى من اعتماده في توجهه الأولى وعلم أن ليس على غير الثاني معول فلم يكن إلا أن صوّب نحو هذا المقصد سهما وامضي فيه عزما وإذا به قد وجه إليه فأدخل على الخليفة فسأله عن مقصده فأخبره مفصحا به فأنقذه وزاده عليه وأخبره أن ذلك لرؤياه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في النوم يأمره بقضاء حاجته فانفصل موفّ الأغراض واستمر في مدح أهل البيت حتى اشتهر بذلك انتهى.

وقد ذكرت في الكتابين المذكورين صيغا كثيرة لتفريج الكروب وقضاء الحاجات ومن جملتها هذه الصيغة المختصرة (**اللّهمّ صل وسلم على سيدنا محمد قد ضاقت حيلتي أدركني يا رسول الله**) وهي الثامنة والخمسون من أفضل الصلوات ونص عبارته نقل ابن عابدين في ثبته عن شيخه السيد محمد شاكر العقاد عن العبد الصالح الشيخ أحمد الحلبي القاطن في دمشق وكان رجلا عليه سيما الصلاح عن مفتي دمشق العلامة حامد أفندي العمادي[١] أنه مرة أراد بعض وزراء دمشق أن يبطش به فبات تلك الليلة مكروبا أشد الكرب فرأى سيدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في منامه فآمنه وعلمه صيغة صلاة وأنه إذا قرأها يفرج الله تعالى كربه فاستيقظ وقرأها ففرج الله تعالى كربه ببركته صلّى الله عليه وسلّم وهذه هي اللّهمّ صل وسلم على سيدنا محمد إلى آخر الصلاة السابقة. قال وأخبرني سيدي يعني شيخه المذكور أنه حصل له كرب فكررها وهو يمشي فما مشى نحوا من مائة خطوة إلا فرج عنه وكذلك قرأها مرة ثانية في حادثة فما استمر قليلا إلا فرج عنه قال ابن عابدين قلت وقد قرأتها أنا أيضا في فتنة عظيمة وقعت في دمشق فما كررتها نحوا من مائتي مرة إلا وجاءني رجل وأخبرني أن الفتنة انقضت والله على ما أقول شهيد.

قال ووجدت هذه الصلاة في ثبت الشيخ عبد الكريم ابن الشيخ أحمد الشراباتي الحلبي لكنها مقيدة بعدد مخصوص وفيها نوع تغيير قال في ثبته عند ذكر شيخه العارف الشيخ عبد القادر البغدادي الصديقي ومن جملة ما شرفني به الإجازة في صلوات شريفة يصلى بها على النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم في اليوم والليلة ثلاثمائة مرة وفي وقت الشدائد ألف مرة فإنها الترياق المجرب وهي (**الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله قلت حيلتي أدركني**) انتهى.

قال جامعه الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه وأنا قد جربت الصيغة الأولى وهي (**اللّهمّ صل وسلم على سيدنا محمد قد ضاقت حيلتي أدركني يا رسول الله**)

---

(١) حامد بن علي العمادي الحنفي توفي سنة ١١٧١ هـ. في الشام.

فجاءت مثل فلق الصبح وذلك إني قبل نحو ستة أشهر من هذا العام السابع عشر من القرن الرابع عشر حصل لي كرب شديد لأمر عظيم ورد عليّ خبره يوم خميس وأنا في بيروت ففي تلك الليلة ليلة الجمعة بعد مضي ثلث الليل الأول استقبلت القبلة واستغفرت الله ألف مرة بلفظ أستغفر الله العظيم وصليت على النبي صلّى الله عليه وسلّم بالصيغة المذكورة ثلاثمائة وخمسين مرة وجاءني النوم فنمت ثم انتبهت في آخر الليل فتوضأت وصليت على النبي صلّى الله عليه وسلّم ألف مرة بالصيغة المذكورة فجاء الخبر الصحيح مساء الجمعة ذلك اليوم بدفع ذلك الكرب العظيم. والحمد لله رب العالمين وقد تحققت أنا ومن يعرفني من الناس عموما أن هذا الفرج القريب إنما هو بفضل الله تعالى وبركة خدمتي إلى الحبيب الشفيع والتجائي إلى جنابه الرفيع. وحمايتي بحماه المنيع صلّى الله عليه وسلّم.

الباب الثالث في أشراط الساعة

أي علاماتها الصغرى والكبرى التي أخبر بها صلّى الله عليه وسلّم

اعلم إني اختصرت في هذا الباب مع زيادات عزوتها لأصحابها كتاب الإشاعة لأشراط الساعة تأليف العلامة السيد محمد بن عبد الرسول الحسيني البرزنجي المدني المتوفى فيها سنة ١١٠٣ وهو من أنفس الكتب التي ألفت في ذلك وأتبعته بما نقلته من كتاب **اليواقيت والجواهر** للإمام الشعراني رضي الله عنهما.

قال البرزنجي رحمه الله أشراط الساعة أي أماراتها تنقسم ثلاثة أقسام قسم ظهر وانقضى وهي الأمارات البعيدة وقسم ظهر ولم ينقض بل لا يزال يتزايد ويتكامل حتى إذا بلغ الغاية ظهر القسم الثالث وهي الأمارات القريبة الكبيرة التي تعقبها الساعة وأنها تتابع كنظام خرز انقطع سلكها.

(أما أمارات القسم الأول من أشراط الساعة وهي التي ظهرت وانقضت)

(**فمنها**) موت النبي صلّى الله عليه وسلّم وقد ورد أن ذلك من أمارات الساعة في حديث رواه جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن عمر أخرجه عنه الطبراني.

(**ومنها**) فقد الصحابة رضوان الله عليهم عن علي رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم (**لا تقوم الساعة حتى يلتمس الرجل من أصحابي كما تلتمس الضالة فلا يوجد**) رواه أحمد.

(**ومنها**) قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه فعن حذيفة رضي الله عنه قال (**أول الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال**).

(**ومنها**) قتال التتار وفتنتهم، فقد روى الستة إلا النسائي (**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة**)

وفي رواية للبخاري (**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين كأن وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر**). وفي لفظ له (**عراض الوجوه ذلف الأنوف**). معناه فطس الأنوف أي قصارها مع انبطاح وقيل غلاظ أرنبة الأنف قاله النووي. والمجان جمع مجن وهو الترس والمطرقة بمعنى أن وجوههم عريضة. وخوز جيل معروف من بلاد الأهواز من عراق العجم. وكرمان صقع معروف بالعجم. قال النووي هذه الأحاديث كلها معجزة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقد عرف حال هؤلاء بجميع صفاتهم التي ذكرها النبي صلّى الله عليه وسلّم وقاتلهم المسلمون مرات. وقال التاج السبكي[١] في طبقاته لم يكن منذ خلق الله الدنيا فتنة أكبر من فتنة التتار[٢].

وقال السخاوي ثم لم يزل بقاياهم يخرجون إلى أن كان آخرهم تيمور الأعرج وظهر بجميع ذلك مصداق قوله صلّى الله عليه وسلّم (**إن أوّل من يسلب أمتي ملكها بنو قنطوراء**) وقنطوراء كانت جارية لإبراهيم الخليل من أولادها التتار وقد كان خراب بغداد وقتل الخليفة المعتصم آخر خلفاء العباسية ببغداد على أيديهم سنة ست

---

(١) عبد الوهاب تاج الدين ابن أبي الحسن السبكي توفي سنة ٧٧١ هـ.

(٢) الأمير تميور گرگان خان توفي سنة ٨٠٧ هـ.

وخمسين وستمائة.

وقد روى الخطيب عن علي رضي الله عنه (**تكون مدينة بين الفرات ودجلة يكون فيها ملك بني العباس وهي الزوراء تكون فيها حرب مفظعة تسبى فيها النساء وتذبح فيها الرجال كما تذبح الغنم**). قال الحافظ السيوطي وقعت هذه الحرب بعد موت الخطيب بأكثر من مائتي سنة وذلك مما يقوي الحديث.

(**ومنها**) نار الحجاز التي أضاءت أعناق الإبل ببصرى كما أخبر به صلّى الله عليه وسلّم روى البخاري والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة (**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى**).

وروى ابن أبي شيبة وأحمد والحاكم وصححه عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**ليت شعري متى تخرج نار من جبل ورّاق تضيء لها أعناق البخت ببصرى كضوء النهار**).

وروى الطبراني بسنده عن عاصم بن عدي الأنصاري قال سألنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حِدْثانَ ما قدم أي أول ما قدم المدينة قال أين حبْسُ سَيَلَ قلنا لا ندري فمر بي رجل من بني سليم فقلت من أين جئت قال من حِبْسِ سَيَلَ فدعوت بنعلي فانحدرت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقلت يا رسول الله سألتنا عن حبس سيل فقلنا لا علم لنا به وأنه مر بي هذا الرجل فسألته فزعم أنه من أهله فسأله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال أين أهلك فقال بحبْسِ سيل فقال (**أخرج أهلك فإنه يوشك أن تخرج منها نار تضيء أعناق الإبل ببصرى**).

وروى هو وأبو يعلى والإمام أحمد من رواية رافع بن بُسر السلمي عن أبيه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**يوشك نار تخرج من حبس سيل تسير سير بطيئة الإبل تسير النهار وتقيم الليل**) الحديث. وفي مسند الفردوس عن عمر رضي الله عنه (**لا تقوم الساعة حتى يسيل واد من أودية الحجاز بالنار تضيء أعناق الإبل ببصرى**). قال السيد علي نور الدين السمهودي في تاريخ المدينة بعد ذكره

الأحاديث السابقة وغيرها مما هو في معناها من الإنذار بخروج هذه النار وقد ظهرت هذه النار وأقبلت من قبلة المدينة مما يلي المشرق في جهة طريق السوارقية كما سيأتي وهي جهة بلاد بني سليم. قال البدر بن فرحون سألت هذه النار في وادي أحيلين. وقال القطب القسطلاني ظهرت في جهة المشرق على مرحلة متوسطة من المدينة في موضع يقال له قاع الهيلي قرب مساكن قريظة بينها وبين أحيلين ثم امتدت آخذة في المشرق إلى قريب من أحيلين وتقدمها زلازل مهولة أياما وقد قال تعالى (**وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا** * الإسراء: ٥٩) والتجأ أهل المدينة في أمرها إلى نبيهم المبعوث بالرحمة فصرفت عنهم ذات الشمال وقابلتها الرحمة فكانت بردا وسلاما وظهرت بركة تربته صلّى الله عليه وسلّم في أمته.

وقال النووي تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام. قال السمهودي وكانت في زمنه وكان ابتداء الزلزلة بالمدينة مستهل جمادي الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة لكنها كانت خفيفة فلم يدركها بعضهم مع تكررها واشتدت في يوم الثلاثاء وظهرت ظهورا عظيما ثم في ليلة الأربعاء ثالث الشهر في الثلث الأخير من الليل حدثت زلزلة عظيمة جدا أشفق الناس منها واستمرت تزلزل بقية الليل ثم إلى يوم الجمعة ولها دوي أعظم من الرعد فتموج الأرض وتتحرك الجدران حتى وقع في يوم واحد دون ليلته ثماني عشرة حركة على ما حكاه القطب القسطلاني في كتاب أفرده لهذه النار وكانت في زمنه وهو بمكة. ونقل أبو شامة عن مشاهدة كتاب سنان قاضي المدينة والقاشاني وغيرهما عجائب من ذلك قال القاشاني تزلزلت الأرض يوم الجمعة زلزلة عظيمة إلى أن اضطربت منائر المسجد وسمع لسقفه خرير عظيم.

قال القسطلاني فلما كان يوم الجمعة نصف النهار ظهرت تلك النار فثار من محل ظهورها في الجو دخان متراكم غشي الأفق سواده فلما تراكمت الظلمات وأقبل الليل سطع شعاع النار فظهرت مثل المدينة العظيمة في جهة المشرق.

وقال القرطبي[١] وقد خرجت نار بالحجاز بالمدينة الشريفة وكان بدؤها زلزلة عظيمة ليلة الأربعاء ثالث جمادي الآخرة واستمرت إلى ضحى يوم الجمعة فسكنت وظهرت أي النار. قال وكانت ترى بصفة البلد العظيمة عليها سور محيط عليه شراريف وأبراج ومآذن ويرى رجال يقودونها لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته ويخرج من مجموع ذلك مثل النار أحمر وأزرق له دوي كدوي الرعد يأخذ الصخور بين يديه واجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم فانتهت النار إلى قرب المدينة ومع ذلك فكان يأتي المدينة نسيم بارد وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر وقال لي بعض أصحابنا رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خمسة أيام وسمعت أنها رؤيت من مكة ومن جبال بُصرى انتهى.

وقال القطب القسطلاني أن ضوءها استولى على ما بطن وظهر حتى كأن الحرم والمدينة قد أشرقت بهما الشمس وتأثر من لهيبها النيران وصار نور الشمس على الأرض يعتريه صفرة ولونها هي يعتريه حمرة والقمر كأنه قد كسف. ونقل أبوشامة عن مشاهدة كتاب الشريف سنان أنها رؤيت من مكة ومن الفلاة جميعها ومن ينبع. قال وأخبرني من أثق به ممن شاهدها بالمدينة أنه بلغه أنه كتب بتيماء على ضوئها الكتب والشمس والقمر في مدتها ما يطلعان إلا كاسفين وظهر عندنا بدمشق أثر ذلك الكسوف من ضعف النور على الحيطان وكنا حيارى من ذلك إلى أن بلغنا خبرها. وقال القطب القسطلاني قد أخبرني جماعة أنهم شاهدوها من جبال ساية وجاء من أخبر أنه أبصرها بتيماء وبصرى منهما مثل ما هي من المدينة في البعد.

وقال العماد بن[٢] كثير أخبرني قاضي القضاة صدر الدين الحنفي قال أخبرني والدي الشيخ صفي الدين مدرس مدرسة بصرى أنه أخبره غير واحد من الأعراب صبيحة الليلة التي ظهرت فيها هذه النار أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم في ضوء

---

(١) محمد بن أحمد القرطبي المالكي توفي سنة ٦٧١ هـ.

(٢) أبو الفداء عماد بن كثير إسماعيل بن عمر توفي سنة ٧٧٤ هـ.

تلك النار فظهر أنها الموعود بها وتمت بذلك المعجزة لحصول ما أخبر به صلّى الله عليه وسلّم وإنارتها بهذه الأماكن البعيدة ليتم الإنذار واختصاص ظهورها بيوم الجمعة لا يخفى وكانت نعمة في صورة نقمة فوجلت القلوب منها وأشفقت واعتق أمير المدينة عز الدين منيف بن شيحة جميع مماليكه ورد على الناس مظالمهم وأبطل المكس وهبط للنبي صلّى الله عليه وسلّم وبات في المسجد ليلة الجمعة والسبت ومعه جميع أهل المدينة حتى النساء والصغار وأهل النخل يتضرعون ويبكون كاشفين رؤوسهم مقرين بذنوبهم مستجيرين بنبيهم صلّى الله عليه وسلّم فصرف الله تعالى عنهم تلك النار العظيمة ذات الشمال فمالت من وادي أحيلين إلى جهة الشمال واستمرت مدة ثلاثة أشهر على ما ذكره المؤرخون فطالت مدتها ليشتهر أمرها وينْزجر عامة الخلق بها وعظم أمرها ليشاهد منها عنوان نار الآخرة وذكر القطب القسطلاني عمن يثق به أن أمير المدينة أرسل عدة من الفرسان إليها فلم تجسر الخيل على القرب منها فترجل أصحابها وقربوا منها فذكروا أنها ترمي بشرر كالقصر و لم يظفروا بجلية أمرها فجرد عزمه لذلك فوصل منها إلى قدر غلوتين بالحجر و لم يستطع أن يجاوز موقفه من حرارة الأرض وأحجار كالمسامير تحتها نار سارية ومقابله ما يتصاعد من اللهيب فعاين نارا كالجبال الراسيات والتلال المجتمعة السائرات تقذف بزبد الأحجار كالبحار المتلاطمة الأمواج وعقد لهيبها في الأفق قتاما حتى ظن الظان أن الشمس والقمر كسفا إذ سلبا بهجة الإشراق في الافاق انتهى.

وفيه مخالفة لما نقله المصري عن علم الدين سنجر عتيق عز الدين منيف أمير المدينة من أن سيده أرسله إليها مع شخص من العرب قال وقال لنا ونحن فارسان أقربا منها وأنظرا هل يقدر أحد على القرب منها فإن الناس يهابونها فقربنا منها فلم نجد لها حرا فترلت عن فرسي وسرت إلى أن وصلت إليها وهي تأكل الصخر والحجر فأخذت سهما من كنانتي ومددت به يدي إلى أن وصل النصل إليها فلم أجد لذلك ألما ولا حرا فعرق النصل و لم يحترق العود. وذكر المطري قبل ذلك أنها

كانت تأكل كل ما مرت عليه من جبل وحجر ولا تأكل الشجر. قال وظهر لي أنه لتحريم النبي صلّى الله عليه وسلّم شجر المدينة فمنعت من أكل شجرها لوجوب طاعته صلّى الله عليه وسلّم على كل مخلوق.

وذكر القسطلاني ما يرده حيث قال إنها لم تزل مارة على سبيلها وهي تسحق ما والاها وتذيب ما لاقاها من الشجر الأخضر والحصى وأن طرفها الشرقي آخذ بين الجبال فحالت دونها ثم وقفت وأن طرفها الشامي وهي الذي يلي الحرم اتصل بجبل يقابله يقال له وعيرة على قرب من شرقي جبل أحد ومضت في الشظاة التي في طرفها وادي حمزة رضي الله عنه حتى استقرت تجاه حرم النبي صلّى الله عليه وسلّم فطفئت. قال وأخبرني شخص اعتمد عليه أنه عاين حجرا ضخما من حجارة الحرة كان بعضه خارجا عن حد الحرم فعلقت بما خرج منه فلما وصلت إلى ما دخل منه في الحرم طفئت وخمدت. وقال في موضع آخر إنها لما استقبلت الشام سالت إلى أن وصلت إلى موضع يقال له قرين الأرنب بقرب أحد توقفت وانطفأت. قال السمهودي وهذا أولى بالاعتماد وأبلغ في الإعجاز.

ونقل أبو شامة[١] عن مشاهدة كتاب القاضي سنان ما يؤيده فإنه قال فيه إن سيل هذه النار انحدر من وادي الشظاة حتى حاذى جبل أحد وكادت النار تقارب حرة العريض ثم سكن قتيرها الذي يلي المدينة وطفئت مما يلي العريض ورجعت تسير في المشرق. وكذا قول المؤرخين إنها سالت سيلا ذرتعا في وادي يكون طوله مقدار أربعة فراسخ وعرضه أربعة أميال وعمقه قامة ونصف وهي تجري على وجه الأرض والصخر يذوب كالآنك أي الرصاص ولم يزل يجتمع منه في آخر الوادي عند منتهى الحرة أي في المشرق حتى قطعت في وسط وادي شظاة إلى جهة جبل وعيرة فسدت الوادي المذكور بسد عظيم من الحجر المسبوك بالنار. قال السمهودي وآثار السد موجودة اليوم هناك ويسمى الحبس. وقال القطب القسطلاني أخبرني جمع أركن

---

(١) أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي الدمشقي توفي سنة ٦٦٥ هـ.

إلى قولهم أنها تركت على الأرض من الحجر ارتفاع رمح طويل على الأرض الأصلية انتهى وانقطع وادي الشظاة بسبب ذلك وصار السيل ينحبس خلف السد المذكور حتى يصير بحرا مد البصر عرضا وطولا انتهى.

(**ومنها**) خروج دجالين كذا بين كلهم يدعي أنه رسول الله كما أخبر صلّى الله عليه وسلّم فقد روى البخاري (**لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله**).

وفي حديث ابن الزبير (**بين يدي الساعة ثلاثون كذابا**) ضم الباء لكذا منهم الأسود العنسي صاحب صنعاء وصاحب اليمامة يعني مسيلمة وفي حديث عبد الله ابن عمر (**ثلاثون كذابا أو أكثر**) قلت ما آيتهم قال (**يأتونكم بسنة لم تكونوا عليها يغيرون سنتكم فإذا رأيتموهم فاجتنبوهم**).

وأخرج أحمد عن حذيفة بسند جيد (**سيكون في أمتي كذابون دجالون سبعة وعشرون منهم أربعة نسوة وإني خاتم النبيين لا نبي بعدي**) قال الحافظ ابن حجر[١] وهذا يدل على أنه رواية (**الثلاثين**) بالجزم على طريق جبر الكسر ويؤيده حديث البخاري المار (**قريب من ثلاثين**) وفي رواية عبد الله بن عمر عند الطبراني (**لا تقوم الساعة حتى يخرج سبعون كذابا**) ونحوه عند أبي يعلى من حديث أنس.

قال الحافظ ابن حجر يحتمل أن يكون ما ذكر من (**الثلاثين**) أو نحوها يدعون النبوة ومن زاد عليهم كما في رواية (**أو أكثر**) ورواية (**سبعون يدعون إلى الضلالة**) كغلاة الرافضة والباطنية والحلولية وسائر الفرق الدعاة إلى ما يعلم بالضرورة أنه خلاف ما جاء به رسول الله النبي صلّى الله عليه وسلّم. وقد خرج في زمن أبي بكر رضي الله عنه طليحة بن خويلد الأسدي وادعى النبوة ثم تاب ورجع إلى الإسلام وكان ابتداء دعواه في زمن النبي صلّى الله عليه وسلّم وتنبأت سجاح.

---

(١) أحمد بن علي الحافظ ابن حجر العسقلاني توفي سنة ٨٥٢ هـ. في مصر

وخرج مختار[1] في زمن ابن الزبير وعبد الملك فإنه كان يدعي أنه يوحى إليه ويكتب في مكاتيبه من مختار رسول الله وقد ورد تحذير النبي صلّى الله عليه وسلّم أمته من مختار المذكور على التعيين بذكر أوصافه في حديث رواه ابن خزيمة والحاكم والطبراني عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما عن النبي صلّى الله عليه وسلّم (**يخرج من ثقيف كذاب ومبير**). قالوا الكذاب هو مختار بن عبيد والمبير هو الحجاج بن يوسف الثقفيان وخرج المتنبي الشاعر المشهور ثم تاب. وخرج جماعة في زمن بني العباس منهم في أيام المعتمد قائد فتنة الزنج بهبود لعنه الله الذي أفسد في العراق وأهان آل الرسول كان يدعي أنه أرسل إلى الخلق فرد الرسالة وأنه مطلع على المغيبات. وفي خلافة المكتفي خرج يحيى بن ذكرويه القرمطي ثم بعده أخوه الحسين وأظهر شامة في وجهه وزعم أنها آيته وجاء ابن عمه عيسى بن مهرويه وزعم أن لقبه المدثر وأنه المعنى في السورة ولقب غلاما له المطوق بالنور وظهر على الشام وعاث وأفسد ودعي له على المنابر ثم قتل إلى لعنة الله.

وخرج في خلافة المقتدر أبو طاهر القرمطي. وفي خلافة الراضي ظهر محمد ابن علي المعروف بابن أبي العراق وقد شاع عنه أنه يدعي الألوهية وأنه يحيي الموتى فقتل وصلب وقتل معه جماعة من أصحابه.

وظهر في خلافة المطيع قوم من التناسخية فيهم شاب يزعم أنّ روح عليّ انتقلت إليه وامرأته تزعم أن روح فاطمة انتقلت إليها وآخر يدعي أنه جبريل فضربوا فتعززوا بالانتماء إلى أهل البيت فأمر معز الدولة بإطلاقهم.

وفي خلافة المستظهر في سنة تسع وتسعين وأربعمائة ظهر رجل بنواحي نهاوند فادعى النبوة وتبعه خلق فأخذ وقتل.

وخرج جماعة المغرب من الرجال والنساء فمنهم رجل يسمى لا وحرف الحديث المشهور (**لا نبي بعدي**) وجعله إخبارا منه صلّى الله عليه وسلّم بأن لا أي

---

(1) مختار الثقفي الشيعي قتل سنة ٦٧ هـ.

صاحب هذا الاسم نبي بعدي ويقول إن لا في الحديث مبتدأ وخبرها نبي وامرأة ادعت النبوة فذكروا لها الحديث فقالت إنما قال (**لا نبي**) ولم يقل لا نبية. والحاصل أن عدد سبع وعشرين قد تم أو كاد أن يتم وأما مطلق الكذابين فلا حصر لهم ومن هذا القسم من يدعي أنه مهدي وهؤلاء كثيرون أيضا ومنهم من ادعى أنه صحابي رأى النبي صلّى الله عليه وسلّم كالمعمر المشهور والرتن الهندي ولا شك أن ما أخبر به الصادق لصادق وأن الدين لواقع.

(**ومنها**) فتح بيت المقدس كما ورد في الحديث عن عوف بن مالك رضي الله عنه وقد فتح مرتين مرة في زمن عمر رضي الله عنه ومرة فتح صلاح الدين الأيوبي[١] رحمه الله.

(**ومنها**) فتح المدائن عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**أنه لا تقوم الساعة حتى يفتح القصر الأبيض الذي في المدائن ولا تقوم الساعة حتى تسير الظعينة من الحجاز إلى العراق آمنة لا تخاف شيئا**) قال عدي فقد رأيتهما جميعا أي وكان وقوعها في زمن عمر رضي الله عنه.

(**ومنها**) هلاك العرب أعني زوال ملكهم عن طلحة بن مالك قال (**من اقتراب الساعة هلاك العرب**) رواه الترمذي وقد زال ملك العرب بزوال الملك عن بني العباس.

(**ومنها**) كثرة المال وفيضه روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه (**لا تقوم الساعة حتى يكثر المال فيكم فيفيض حتى يهم ربَّ المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي فيه**) وهذا قد وقع في زمن عثمان رضي الله عنه حين كثر الفتوح واقتسموا أموال الفرس والروم. ووقع في زمن عمر بن عبد العزيز[٢] أن الرجل يعرض ماله للصدقة فلا يجد من يقبل صدقته وسيقع في آخر الزمان في زمن عيسى عليه السلام.

---

(١) صلاح الدين يوسف بن أيوب توفي سنة ٥٨٩ هـ. [١١٩٣ م.] في الشام.

(٢) عمر بن عبد العزيز بن مروان توفي سنة ١٠١ هـ. [٧٢٠ م.].

(ومنها) أن تزول الجبال عن أماكنها روى الطبراني عن سمرة رضي الله عنه **(لا تقوم الساعة حتى تزول الجبال عن أماكنها)** ونقل السيوطي في تاريخ الخلفاء أنه في سنة اثنتين وأربعين بعد المائتين في خلافة المتوكل سار جبل باليمن عليه مزارع لأهله حتى أتى مزارع آخرين. وفي سنة ثلاثمائة في خلافة المقتدر ساخ جبل بالدينور في الأرض وخرج من تحته ماء كثير غرق القرى.

(ومنها) وقوع ثلاث خسوفات. عن أم سلمة رضي الله عنها **(سيكون بعدي خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب)** قيل تخسف الأرض وفيهم الصالحون قال **(نعم إذا أكثر أهلها الخبث)** رواه الطبراني وعن حذيفة بن أسيد قال اطلع علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ونحن نتذاكر الساعة فقال **(إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات)** فذكر منها **(ثلاثة خسوف خسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب)** رواه الستة إلاّ البخاري. وقد وقع الخسوفات الثلاثة فوقع في سنة ثمان ومائتين أنه خسف بثلاث عشرة قرية بالمغرب.

وفي خلافة المطيع في سنة ست وأربعين وثلاثمائة وقع بالري ونواحيها زلازل عظيمة وخسف ببلد طالقان و لم يفلت من أهلها إلا نحو ثلاثين نفسا وخسف بمائة وخمسين قرية من قرى الري واتصل الأمر إلى حلوان فخسف بأكثرها وقذفت الأرض عظام الموتى وتفجرت منها المياه وتقطع بالري جبل وعلقت قرية بين السماء والأرض بمن فيها نصف نهار ثم خسف بها وانخرقت الأرض خروقا عظيمة وخرج منها مياه منتنة ودخان عظيم كذا نقله السيوطي عن ابن الجوزي[١]. وفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة خسف بقرية من أعمال بصرى. وفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة خسف ببلد بحيرة وصار مكان البلد ماء أسود. قال البرزنجي وخسف في زماننا بست قرى من ناحية أزربيجان وغيرها من ديار العجم.

(ومنها) كثرة الزلازل وكثرة القتل والرجف عن أبي هريرة رضي الله عنه **(لا**

---

(١) ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي الحنبلي توفي سنة ٥٩٧ هـ. في بغداد.

تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج) وهو القتل رواه البخاري وابن ماجه. وعند ابن عساكر[١] عن عروة بن رويم الأنصاري عنه صلّى الله عليه وسلّم **(تكون في أمتي رجفة يهلك فيها عشرة آلاف عشرون ألفا، ثلاثون ألفا، يجعلها الله موعظة للمتقين ورحمة للمؤمنين وعذابا للكافرين)**.

وقد وقع في أول خلافة المتوكل سنة اثنتين وثلاثين ومائتين زلزلة مهولة بدمشق سقطت منها دور وهلك تحتها خلق وامتدت إلى أنطاكية فهدمتها وإلى الجزيرة فأحرقتها وإلى الموصل فيقال هلك من أهلها خمسون ألفا. وفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين زلزلت الأرض زلزلة عظيمة بتونس وأعمالها والري وخرسان ونيسابور وطبرستان وأصبهان وتقطعت جبال وتشققت الأرض بقدر ما يدخل الرجل في الشق وكان بين الزلزلتين عشر سنين. وفي سنة خمس وأربعين ومائتين عمت الزلازل الدنيا فأخربت المدن والقلاع والقناطر وسقط من أنطاكية جبل في البحر. وفي خلافة المعتضد سنة مائتين وثمانين وقعت في الدبيل زلزلة عظيمة هدمت عامة البلد فكان عدة من أخرج من تحت الردم مائة ألف وخمسين ألفا. وفي سنة أربعمائة وستين وقع بالرملة زلزلة هائلة خربتها حتى طلع الماء من رؤوس الآبار وهلك من أهلها خمسة وعشرون ألفا وأبعد البحر عن ساحله مسيرة يوم فنزل الناس إلى أرضه يلتقطون فرجع الماء عليهم فأهلكهم. وفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة وقعت زلزلة عظيمة وماجت بغداد نحو عشر مرات وتقطع منها جبل بحلوان. وفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة جاءت زلزلة كبرى بمصر والشام والجزيرة فأخرجت أماكن كثيرة وقلاعا متعددة. وفي سنة اثنتين وستين وستمائة زلزلت مصر زلزلة عظيمة. ووقعت في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة زلزلة عظيمة في بخارى عشرة فراسخ في مثلها فأهلكت خلائق كثيرة. وفي سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وقع بأذربيجان زلزلة عظيمة وهلك بسببها عالم كثير. وفي سنة ألف وقعت ببلدة لار

---

(١) ابن عساكر علي بن حسن توفي سنة ٥٧١ هـ. [١١٧٦ م.] في الشام.

زلزلة عظيمة هدمت منها البيوت كلها واندكت بحيث لا يكادون يعرفون محل بيوتهم وكانت قبلها بأيام زلازل صغار في كل يوم فخرجوا منها فمن خرج نجا ومن لم يخرج هلك. قال البرزنجي[١] ووقعت بعد تأليف الكتاب يعني الإشاعة بنحو ستة أشهر زلزلة هائلة ما نجا منها إلا القليل. فهذه هي الزلازل لعظام التي اعتنوا بنقلها في كتب التواريخ وأما الزلازل الصغار فلا تكاد تنحصر والله يفعل ما يشاء.

(ومنها) المسخ والقذف عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال (**يكون في أمتي خسف ومسخ وقذف**) رواه أحمد ومسلم والحاكم. أما الخسف فقد مر وأما المسخ فقد وقع لأشخاص.

فقد صح الخبر عن غير واحد أنه في زمن فاطمية مصر كانوا يجتمعون بالمدينة يوم عاشوراء في قبة العباس ويسبون الشيخين والصحابة فجاء رجل فقال من يطعمني في محبة أبي بكر رضي الله عنه فخرج إليه شيخ وأشار إليه أن اتبعني فأخذه إلى بيته وقطع لسانه ووضعه في يده وقال هذه بمحبة أبي بكر فذهب الرجل إلى المسجد وسلم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والشيخين ورجع ولسانه في يده فقعد حزينا عند باب المسجد وغلبه النوم فرأى النبي صلّى الله عليه وسلّم في منامه ومعه أبو بكر فقال لأبي بكر إن هذا قطعوا لسانه في محبتك فرد عليه لسانه قال فأخرج اللسان من يده ووضعه في محله فانتبه فإذا لسانه كما كان قبل القطع وأحسن فلم يخبر أحد لو رجع إلى بلاده فلما كان العام القابل رجع إلى المدينة ودخل القبة يوم عاشوراء وطلب شيئا بمحبة أبي بكر فخرج إليه شاب وقال اتبعني فتبعه فأدخله الدار التي قطع فيها لسانه فأكرمه الشاب فقال الرجل إني تعجبت من هذا البيت لقيت فيه العام الماضي مصيبة ومهانة وهذه السنة لقيت ما أرى من الإكرام فقال الشاب كيف القصة فأخبره بالقصة فانكب على يديه ورجليه وقال ذلك أبي وقد مسخه الله قردا وكشف عن ستاره فأراه قردا مربوطا وأحسن إليه وتاب عن مذهبه

---

(١) محمد بن عبد الرسول البرزنجي منكر إمام الرباني مات غريقا سنة ١١٠٣ هـ.

وقال اكتم عليّ أمر والدي. ذكر هذه القصة السيد السمهودي وابن حجر في الزواجر والصواعق والقسطلاني وغيرهم. وذكر في الزواجر أنه كان بحلب رجل سباب للشيخين فلما مات اتفق شباب على أن ينبشوا قبره فلما نبشوه رأوه قد مسخ خنزيرا فأخرجوه ثم أحرقوه بالنار. وذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء أنه في سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة في خلافة المتوكل سادس الخلفاء العباسيين الذين كانوا بمصر ورد كتاب من حلب يتضمن أن إماما قام يصلي وأن شخصا عبث به في صلاته فلم يقطع الإمام الصلاة حتى فرغ وحين سلم انقلب وجه العابث وجه خنزير وهرب إلى غابة هناك وكتب بذلك محضر. وأما القذف فقد نقل السيوطي في تاريخ الخلفاء أنه في سنة خمس وثمانين ومائتين مطرت قرية بالبصرة حجارة سودا وبيضا ووقع بَرَد وزن البرَدة مائة وخمسون درهما. وفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين رجمت قرية السويدا بالحجارة ووزن حجر من الحجارة فكان عشرة أرطال. وفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة في خلافة المقتدي جاءت ريح سوداء ببغداد وأشتد الرعد والبرق وسقط رمل وتراب كالمطر. قال البرزنجي وأخبرني ثقة أنه في سنة نيف وستين بعد الألف أمطرت حجارة سود كثيرة عريضة قدر بيضة الدجاج وأكبر في الصيف والسماء مصحية ببلاد الأكراد بين هيزان وكفره وكانوا يسمعون لها حسا من مسافة يوم والله يفعل ما يشاء.

(**ومنها**) الريح الحمراء أي الشديد والأمور العظام. عن علي بن أبي طالب وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**إذا اتخذ الفيء دولا والأمانة مغنما والزكاة مغرما وتعلم لغير دين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات في المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور ولعن آخر هذه الأمة أولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا**). رواه الترمذي[١].

---

(١) الترمذي محمد بن عيسى توفي ٢٧٩ هـ. [٨٩٢ م.] في بخارى.

وعن عبد الله بن حوالة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم (**إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام والساعة يومئذ أقرب من يدي هذه إلى رأسك**) رواه أبو داود والحاكم.

فإن أريد بالخلافة النازلة إلى الأرض المقدسة ملك بني أمية فقد وقع من الأمور العظام والفتن الكثيرة ما لا يخفى وإن أريد خلافة المهدي فالمراد بالأمور العظام الآيات القريبة إلى الساعة كالدابة وطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك.

أما الريح ففي سنة اثنين وثلاثين ومائتين في أول خلافة المتوكل هبت بالعراق ريح شديدة السموم ولم يعهد مثلها أحرقت زرع الكوفة والبصرة وبغداد وقتلت المسافرين ودامت خمسين يوما واتصلت بهمذان فأحرقت الزرع والمواشي واتصلت بالموصل وسنجار ومنعت الناس من المعاش في الأسواق ومن المشي في الطرقات وأهلكت خلقا عظيما. وفي سنة ثمانين ومائتين في شوال في خلافة المعتضد أصبحت الدنيا مظلمة إلى العصر فهبت ريح سوداء فدامت إلى ثلث الليل وأعقبها زلزلة عظيمة أذهبت عامة بلد الدبيل. وفي سنة خمس وثمانين ومائتين في خلافته هبت ريح صفراء بالبصرة ثم صارت خضراء ثم صارت سوداء وامتدت في الأمصار.

وفي خلافة المتقدي جاءت ريح سوداء ببغداد واشتد الرعد والبرق حتى ظن أنها القيامة. وفي خلافة المستظهر هبت ريح سوداء مظلمة أخذت بالأنفاس حتى لا يبصر الرجل يده ونزل على الناس رمل وأيقنوا بالهلاك ثم انجلى قليلا وعاد إلى الصفرة. وفي سنة ست وتسعين وخمسمائة هبت ريح سوداء مظلمة بمكة عمت الدنيا ووقع على الناس رمل أحمر ووقع من الركن اليماني قطعة.

(**ومنها**) انقطاع طريق الحج ورفع الحجر الأسود من الكعبة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت**) رواه الحاكم وصححه. وعن ابن عمر رضي الله عنهما (**لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن**) رواه السَّجزيّ وهذان كلاهما قد وقع. أما انقطاع الحج ففي سنة

عشرين وثلاثمائة انقطع الحج من بغداد إلى سنة سبع وعشرين بسبب فتنة القرامطة. وفي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة رجع الحج العراقي من الطريق اعترضهم الأصيغر الأعرابي ومنعهم الجواز إلا بالباج فعادوا ولم يحجوا ولا حج أيضا أهل الشام ولا اليمن إنما حج أهل مصر فقط. وانقطع في زمن بين عثمان من طريق الشام سنين في زمان الشيخ علوان الحموي. وأما رفع الحجر ففي خلافة المتقدر وذلك أن المقتدر سير الحاج مع منصور الديلمي إلى مكة سالمين فوافاهم يوم التروية عدو الله أبو طاهر القرمطي[١] فقتل الحجيج في المسجد الحرام قتلا ذريعا وضرب الحجر الأسود بدبوس فكسره ثم اقتلعه ثم رحلوا وبقي الحجر الأسود عندهم أكثر من عشرين سنة وأعيد في خلافة المطيع وقيل إنهم لما أخذوه هلك تحته أربعون جملا من مكة إلى هجر فلما أعيد حمل على قعود هزيل فسمن. قال محمد بن الربيع ابن سليمان كنت بمكة سنة القرامطة فصعد رجل لقلع الميزاب وأنا أراه فعيل صبري وقلت ربي ما أحلمك فسقط الرجل على دماغه فمات، وصعد القرمطي المنبر وهو يقول أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا ولم يفلح أبو طاهر القرمطي بعد ذلك فقد تقطع جسده بالجدري. وقال محمد ابن نافع الخزاعي تأملت الحجر وهو مقلوع فإذا السواد في رأسه فقط وسائره أبيض وطوله قدر عظم الذراع.

(**ومنها**) رضخ رؤوس أقوام بكواكب من السماء عن ابن عباس رضي الله عنهما (**لا تقوم الساعة حتى ترضخ رؤوس أقوام بكواكب من السماء باستحلالهم عمل قوم لوط**) رواه الديلمي. وفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة في خلافة الراضي في ذي القعدة انقضت النجوم سائر الليل انقضاضا عظيما ما رؤي مثله وقد وقع بعد ذلك كثيرا أن النجوم والشهب انقضت وقتلت ناسا.

(**ومنها**) كثرة الموت كما ورد في الحديث الذي رواه البخاري عن عوف بن مالك أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**أعدد بين يدي الساعة ستا موتي ثم فتح بيت**

---

(١) أبو طاهر سليمان القرمطي الظالم مات سنة ٣٣٢ هـ. [٩٤٣ م.].

المقدس ثم موتان كقعاص الغنم) والموتان الموت الكثير. وقعاص الغنم داء يأخذها فلا تلبث أن تموت. وهذا وقع في زمان عمر في طاعون عمواس وبعد ذلك في طاعون الجارف وفي الطواعين والوباءات الواقعة في أقطار الأرض.

وروى الديلمي وابن عساكر عن علي كرم الله وجهه **(يأتي على الناس زمان يقتل فيه العلماء كما يقتل الكلاب فيا ليت العلماء في ذلك الزمان تحامقوا)**

وروى أبو نعيم[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه **(يأتي على العلماء زمان الموت أحب إلى أحدهم من الذهب الأحمر)** وقد وقع شيء من قتل العلماء والتضييق عليهم في زمن المأمون العباسي وأخيه المعتصم.

(وأما أمارات القسم الثاني من أشراط الساعة)

وهي التي ظهرت و لم تنقض بل تتزايد إلى أن تتكامل وتتصل بالقسم الثالث فيها أنا أسرد أحاديثها قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم **(لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع)** رواه الإمام أحمد وغيره عن علي كرم الله وجهه؛ **(يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر)** رواه الترمذي عن أنس؛ **(يكون في آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة)** رواه أبو نعيم والحاكم عن أنس؛ **(لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد)** رواه الإمام أحمد وغيره عن أنس؛ **(من اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة وأن يرى الهلال قبَلا)** أي ساعة ما يطلع فيقال لليلتين رواه الطبراني عن ابن مسعود وأنس؛ **(من اقتراب الساعة كثرة القطر وقلة النبات وكثرة القراء)** أي العباد **(وقلة الفقهاء وكثرة الأمراء وقلة الأمناء)** رواه الطبراني عن مرداس الأسلمي؛ **(لا تقوم الساعة حتى يكون الزهد رواية والورع تصنعا)** رواه أبو نعيم عن أبي هريرة؛ **(إن من أعلام الساعة وأشراطها أن يسود كل قبيلة منافقوها وكل سوق فجارها)** رواه الطبراني عن ابن مسعود؛ **(إن من أعلام الساعة أن يكون المؤمن في القبيلة أذل من النقد)** رواه الطبراني عن ابن مسعود والنقد

---

(١) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني الشافعي توفي سنة ٤٣٠ هـ.

صغار الغنم؛ (**إن بين يدي الساعة فشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة وقطع الأرحام وفشو القلم وظهور الشهادة بالزور وكتمان شهادة الحق**) رواه البخاري وغيره عن ابن مسعود؛ (**وفشو القلم**) كناية عن كثرة الكتبة (**وقلة العلماء**) يعني يكتفون بعلم الخط ليخالطوا الحكام؛ (**من أشراط الساعة أن تتخذ الأمانة مغنما والزكاة مغرما ويتعلم لغير دين**) رواه الترمذي عن أبي هريرة؛ (**من أشراط الساعة أن يتمثل الشيطان في صورة الرجل فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون فيقول الرجل منهم سمعت رجلا أعرف وجهه ولا أدري ما اسمه يحدث**) رواه مسلم[١] في مقدمة صحيحة عن ابن مسعود؛ (**إذا اقترب الزمان لأن يربي الرجل جروا خير له من أن يربي ولدا له ولا يوقر كبير ولا يرحم صغير ويكثر أولاد الزنى حتى أن الرجل ليغشي المرأة على قارعة الطريق يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب أمثلهم في ذلك الزمان المداهن**) رواه الحاكم وغيره عن أبي ذر ومعنى (**يلبسون جلود الضأن**) أنهم يلينون القول ويحسنون الفعل رياء؛ (**إذا رأيت الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان فانتظر الساعة**) رواه البخاري ومسلم عن عمر رضي الله عنه؛ (**إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**) رواه البخاري عن أبي هريرة؛ (**من أشراط الساعة أن يتدافع أهل المسجد يجدون إماما يصلي بهم**) رواه الإمام أحمد وأبو داود[٢] عن سلامة بنت الحران؛ (**إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر**) رواه الطبراني عن أبي أمية الجمحي؛ (**لا تقوم الساعة حتى يعمد الرجل إلى النبطية فيتزوجها على معيشة ويترك بنت عمه لا ينظر إليها**) رواه الطبراني عن أبي أمامة ومعناه أن يتزوج دنية الأصل لغناها ويترك بنت عمه الأصيلة لفقرها؛ (**إن من أمارات الساعة أن تقطع الأرحام ويؤخذ المال بغير حقه ويسفك الدماء ويشتكي ذو القرابة قرابته لا يعود عليه بشيء ويطوف السائل لا يوضع في يده شيء**) رواه ابن أبي

---

(١) مسلم القريشي الشافعي توفي سنة ٢٦١ هـ. في نيشابور.

(٢) أبو داود سليمان السجستاني توفي سنة ٢٧٥ هـ. في بصرة.

شيبة عن ابن مسعود؛ (**لا تقوم الساعة حتى يجعل كتاب الله عارا ويكون الإسلام غريبا وحتى تبدوا الشحناء بين الناس وحتى يقبض العلم ويهرم الزمان وينقص عمر البشر وينقص السنون والثمرات ويؤتمن التهماء ويتهم الأمناء ويصدق الكاذب ويكذب الصادق ويكثر الهرج وهو القتل وحتى تبنى الغرف أي القصور فتطاول وحتى تحزن ذوات الأولاد أي لعقوق أولادهن وتفرح العواقر ويظهر البغي والحسد والشح ويهلك الناس ويكثر الكذب ويقل الصدق وحتى تختلف الأمور بين الناس ويتبع الهوى ويقضى بالظن ويكثر المطر ويقل الثمر ويغيض العلم غيضا ويفيض الجهل فيضا ويكون الولد غيظا والشتاء قيظا ويقوم الخطباء بالكذب فيجعلون حقي لشرار أمتي فمن صدقهم بذلك ورضي به لم يرح رائحة الجنة**) رواه الطبراني عن أبي موسى وسنده جيد؛ (**لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقر بألسنتها**) رواه الإمام أحمد وغيره عن سعيد ابن أبي وقاص. ومعناه يمدحون الناس نفاقا ليتوصلوا إلى أخذ أموالهم؛ (**لا تقوم الساعة حتى يتسافد الناس تسافد البهائم في الطرق**) رواه الطبراني عن ابن عمر؛ (**لا تقوم الساعة حتى يعز الله فيه ثلاثا درهما من حلال وعلما مستفادا وأخا في الله عز وجل**) رواه الديلمي عن حذيفة. يعني تقل فيه هذه الثلاثة حتى لا تكاد توجد؛ (**إذا رأيت الصدقة كتمت وغلت واستؤجر على الغزو وأخرب العامر وعمر الخراب ورأيت الرجل يتمرس بأمانته**)؛ وفي رواية (**بدينه كما يتمرس البعير بالشجر فإنك والساعة كهاتين**) رواه عبد الرزاق والطبراني عن عبد الله ابن زينب الجندي (**ويتمرس**) أي يتلعب؛ (**إن من أشراط الساعة حيف الأئمة وتصديقا بالنجوم وتكذيبا بالقدر**) رواه البزار عن علي كرم الله وجهه مرفوعا؛ (**إذا اجتمع عشرون رجلا أو أكثر أو أقل فلم يكن فيهم من يهاب في الله فقد حضر الأمر**) رواه البيهقي وابن عساكر عن عبد الله بن بشر؛ (**من أشراط الساعة أن يمر الرجل بالمسجد فلا يركع ركعتين**) رواه أبو داود عن ابن مسعود؛ (**تكون في آخر الأمة عند اقتراب الساعة أشياء فمنها نكاح الرجل امرأته أو أمته في دبرها وذلك مما حرم الله**

ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله ومنها نكاح الرجل الرجل وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله ومنها نكاح المرأة المرأة وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله وليس لهؤلاء صلاة ما أقاموا على ذلك حتى يتوبوا إلى الله توبة نصوحا) رواه الدارقطني وغيره عن أبي قالٍ الصحابي؛ **(لا تقوم الساعة حتى يتحول شرار أهل الشام إلى العراق وخيار أهل العراق إلى الشام)** رواه ابن أبي شيبة عن أبي أمامة؛ **(يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فر من شاهق إلى شاهق أو من جحر إلى حجر كالثعلب يفر بأشباله وذلك في آخر الزمان إذا لم تنل المعيشة إلا بمعصية الله فإذا كان كذلك حلت العزبة يكون في ذلك الزمان هلاك الرجل على يدي أبويه إذا كان له أبوان وإلاّ فعلى يدي زوجته وولده وإلاّ فعلى يدي الأقارب والجيران يعيرونه بضيق المعيشة ويكلفونه ما لا يطيق حتى يورد نفسه الموارد التي يهلك فيها)** رواه أبو نعيم وغيره عن ابن مسعود؛ **(يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم في أمر دنياهم فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة)** رواه البيهقي عن الحسن؛ **(يأتي على الناس زمان يستخفى المؤمن فيهم كما يستخفى المنافق فيكم)** رواه ابن السني عن جابر؛ **(يأتي على الناس زمان لا يتبع فيه العليم ولا يستحيا فيه من الحليم ولا يوقر فيه الكبير ولا يرحم فيه الصغير يقتل بعضهم بعضا على الدنيا قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا يمسي الصالح فيهم مستخفيا أولئك شرار خلق الله لا ينظر الله إليهم يوم القيامة)** رواه الديلمي عن علي رضي الله عنه؛ **(من اقتراب الساعة أن يصلي خمسون نفسا لا تقبل لأحدهم صلاة)** رواه أبو الشيخ عن ابن مسعود ومعناه أنهم لا يأتون بشروطها وأركانها فلا تصح صلاتهم؛ **(إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة)** رواه مسلم عن ابن مسعود؛ **(من أشراط الساعة سوء الجوار وقطيعة الأرحام وأن يعطل السيف من الجهاد وأن تختل الدنيا بالدين)** رواه ابن مردويه عن أبي هريرة؛ **(من أشراط الساعة أن يظهر الفحش والتفحش وسوء الخلق وسوء الجوار)** رواه ابن

أبي شيبة عن ابن مسعود؛ (**يكون في آخر هذه الأمة رجال يركبون على المياثر حتى يأتوا أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف العنوهن فإنهن ملعونات لو كانت وراءكم أمة من الأمم لخدمهم كما خدمتكم نساء الأمم قبلكم**) رواه الإمام أحمد والحاكم عن ابن عمر والمياثر السروج العظام، وفي رواية مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه (**صنفان من أمتي من أهل النار لم أرهما بعد، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**). قال النووي في رياض الصالحين أي يكبرن رؤوسهن ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوها.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال حج النبي صلّى الله عليه وسلّم حجة الوداع ثم أخذ بحلقة باب الكعبة فقال (**يا أيها الناس ألا أخبركم بأشراط الساعة**) فقام إليه سلمان فقال أخبرنا فداك أبي وأمي يا رسول الله قال (**من أشراط الساعة إضاعة الصلاة والميل مع الهوى وتعظيم رب المال**) فقال سلمان ويكون هذا يا رسول الله قال (**نعم والذي نفس محمد بيده فعند ذلك يا سلمان تكون الزكاة مغرما والفيء مغنما ويصدق الكاذب ويكذب الصادق ويؤتمن الخائن ويخوّن الأمين ويتكلم الرويبضة**) قالوا وما الرويبضة قال (**يتكلم في الناس من لم يكن يتكلم وينكر الحق تسعة أعشارهم ويذهب الإسلام فلا يبقى إلا اسمه ويذهب القرآن فلا يبقى إلا رسمه ويحلى المصاحف بالذهب ويتسمن ذكور أمتي وتكون المشورة للإماء ويخطب على المنابر الصبيان وتكون المخاطبة للنساء فعند ذلك تزخرف المساجد كما تزخرف الكنائس والبيع وتطوّل المنابر وتكثر الصفوف مع قلوب متباغضة وألسن مختلفة وأهواء جمة**) قال سلمان ويكون ذلك يا رسول الله قال (**نعم، والذي نفس محمد بيده عند ذلك يا سلمان يكون المؤمن فيهم أذل من الأمة يذوب قلبه في جوفه كما يذوب الملح في الماء مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيره ويكتفي الرجال بالرجال والنساء**

بالنساء ويغار على الغلمان كما يغار على الجارية البكر فعند ذلك يا سلمان تكون أمراء فسقة ووزراء فجرة وأمناء خونة يضيعون الصلوات ويتبعون الشهوات فإن أدركتموهم فصلوا صلاتكم لوقتها عند ذلك يا سلمان يجيء سبي من المشرق وسبي من المغرب جثاؤهم أي أجسامهم جثاء الناس وقلوبهم قلوب الشياطين لا يرحمون صغيرا ولا يوقرون كبيرا عند ذلك يا سلمان يحج الناس إلى هذا البيت الحرام تحج ملوكهم لهوا وتنزها وأغنياؤهم للتجارة ومساكينهم للمسألة وقراؤهم رياء وسمعة) قال ويكون ذلك يا رسول الله قال (**نعم والذي نفسي بيده عند ذلك يا سلمان يفشو الكذب ويظهر الكوكب له الذنب وتشارك المرأة وزجها في التجارة ويتقارب الأسواق**) قال وما تقاربها قال (**كسادها وقلة أرباحها عند ذلك يا سلمان يبعث الله ريحا فيها حيات صفر فتلتقط رؤوس العلماء لما رأوا المنكر فلم يغيروه**) قال ويكون ذلك يا رسول الله قال (**نعم والذي بعث محمدا بالحق**) رواه ابن مردويه[١] قوله في الحديث (**ويكثر الصفوف**) الخ معناه أنهم لا يتمون الصفوف الأول فالأول بل يصطف كل ثلاثة في صف وأربعة في صف وهكذا فتكثر الصفوف ويؤيده قوله (**مع قلوب متباغضة**) لأن ذلك يورث تخالف القلوب وتباغضها كما أشار إليه حديث (**أقيموا صفوفكم**) أي أتموها ولا تختلفوا فيخالف الله بين قلوبكم (**من اقتراب الساعة إذا رأيتم الناس أضاعوا الصلاة وأضاعوا الأمانة واستحلوا الكبائر وأكلوا الربا وأكلوا الرشاء وشيدوا البناء واتبعوا الهوى وباعوا الدين بالدنيا واتخذوا القرآن مزامير واتخذوا جلود السباع صفافا والمساجد طرقا والحرير لباسا وأكثروا الجور وفشا الزنا وتهاونوا بالطلاق وائتمن الخائن وخون الأمين وصار المطر قيظا والولد غيظا وأمراء فجرة ووزراء كذبة وأمناء خونة وعرفاء ظلمة وقلت العلماء وكثر القراء وقلت الفقهاء وحليت المصاحف وزخرفت المساجد وطولت المنابر وفسدت القلوب واتخذوا القينات واستحلت المعازف وشربت الخمور وعطلت الحدود**

---

(١) ابن مردويه أحمد بن موسى الأصفهاني توفي سنة ٤١٠ هـ.

ونقصت الشهور ونقضت المواثيق وشاركت المرأة زوجها في التجارة وركب الناس البراذين وتشبهت النساء بالرجال والرجال بالنساء ويحلف بغير الله ويشهد الرجل من غير أن يستشهد وكانت الزكاة مغرما والأمانة مغنما وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وقرب صديقه وأقصى أباه وصارت الأمارات مواريث وسب آخر هذه الأمة أولها وأكرم الرجل اتقاء شره وكثرت الشرط وصعدت الجهال المنابر ولبس الرجال التيجان وضيقت الطرقات وشيد البناء واستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وكثرت خطباء منابركم وركن علماؤكم إلى ولاتكم فأحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال وافتوهم بما يشتهون وتعلم علماؤكم العلم ليجلبوا به دنانيركم ودراهمكم واتخذتم القرآن تجارة وضيعتم حق الله في أموالكم وصارت أموالكم عند شراركم وقطعتم أرحامكم وشربتم الخمور في ناديكم ولعبتم بالميسر وضربتم بالكير والمعزفة والمزامير ومنعتم محاويجكم زكاتكم ورأيتموها مغرما وقتل البريء ليغيظ العامة واختلفت أهواؤكم وصار العطاء في العبيد والسقاط وطفف المكاييل والموازين ووليتم أموركم سفهاءكم) رواه أبو الشيخ[١] والديلمي عن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه. قوله **(اتخذوا جلود السباع صفافا)** جمع صفة وهو شيء يفرش في السرج ويجلس عليه. ومنه الحديث نهى صلّى الله عليه وسلّم عن صفف النمور. **(والقينات)** جمع قينة وهي الأمة المغنية. **(والمعازف)** آلات اللهو. **(وتعطيل الحدود)** عبارة عن عدم رجم الزاني المحصن وجلد غير المحصن وقطع يد السارق وحد القاذف وشارب الخمر. وقوله **(سب آخر هذه الأمة أولها)** إشارة إلى ما وقع من الرفض وسب الروافض الصحابة رضي الله عنهم. وقوله **(كثرت الشرط)** هم أعوان الحكام جمع شرطي. وقوله **(ولبس الرجال التيجان)** أي رجعوا إلى عادة المجوس والفرس من لبس التاج وترك العمائم وقد قال صلّى الله عليه وسلّم **(العمائم تيجان العرب)** وتضييق الطرقات عبارة عن البناء فيها وجلوس الناس للحديث فيضيقون على المارين.

---

(١) أبو الشيخ محمد بن محمد الأصفهاني توفي سنة ٣٦٩ هـ.

(**والميسر**) القمار وكل شيء فيه قمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز قاله في النهاية. قال العلامة البرزنجي ومنه اللعب في الأعياد بالبيض ونحوه. (**والكير**) الطبل ذو الرأسين وقيل الطبل الذي له وجه واحد. والمعزفة والمعازف وهي آلات اللهو وسقاط الناس أراذلهم وأدانيهم.

قال رحمه الله تعالى فهذه جملة من الأشراط من القسم الثاني وهي كلها موجودة وهي في التزايد يوما فيوما وقد كادت أن يبلغ الغاية أو قد بلغت فنسأل الله أن يجنبنا الفتن ويعصمنا من المحن ويميتنا على السنن ويغفر لنا الذنوب التي جنيناها في السر والعلن إنه الجواد الكريم ذو المنن بجاه جد الحسين والحسن آمين يا رب العالمين، وقد عقد خاتمة بعد هذا القسم سرد فيها جملة أحاديث تناسب المقام منها ما رواه البخاري عن الزبير بن عدي قال شكونا إلى أنس من الحجاج فقال (**اصبروا إنه لا يأتي عليكم زمان إلاّ الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم**) سمعته من نبيكم صلّى الله عليه وسلّم.

وروى الطبراني عن عتبة بن غزوان عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**إن من ورائكم أيام الصبر المتمسك فيها يومئذ بمثل ما أنتم عليه له كأجر خمسين منكم**).

وروى أبوداود وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا وكانوا هكذا**) وشبك بين أصابعه قال فبم تأمرني قال (**ألزم بيتك وأملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة**). وروى أبونعيم وغيره عن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**سيصيب أمتي في آخر الزمان بلاء شديد لا ينجو منه إلا رجل عرف دين الله فجاهد عليه بلسانه وبقلبه فذلك الذي سبقت له السوابق ورجل عرف دين الله فصدق به**). وروى مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله هل بعد هذا الخير شر قال (**نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**) قلت صفهم

لنا، قال (**هم من جلدتنا يتكلمون بألسنتنا**) قلت فبم تأمرني إن أدركني ذلك قال (**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**) قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام، قال (**فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**).

وفي رواية عنه (**يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**) قال حذيفة كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك قال (**تسمع وتطيع الأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك**).

وروى الحاكم والبيهقي عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال له (**يا أبا ذر كيف أنت إذا كنت في حثالة**) وشبك بين أصابعه قال ما تأمرني يا رسول الله قال (**اصبر، اصبر، اصبر، خالقوا الناس بأخلاقهم وخالفوهم في أعمالهم**).

وروى الإمام أحمد وغيره عن خالد بن عرفطة رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال له (**يا خالد إنها ستكون بعدي أحداث وفتن وفرقة واختلاف فإذا كان ذلك فإن استطعت أن تكون عبد الله المقتول لا القاتل فافعل**).

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**إنكم في زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك ثم يأتي زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا**).

وروى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون به ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**).

وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد**).

(وأما أمارات القسم الثالث من أشراط الساعة)

وهي الأمارات القريبة الكبرى التي تعقبها الساعة فهي كثيرة:

(منها المهدي) وهو أولها واعلم أن الأحاديث الواردة فيه لا تكاد تنحصر. وهو محمد بن عبد الله ولقبه الجابر لأنه يجبر قلوب أمة محمد صلّى الله عليه وسلّم وكنيته أبوعبد الله وهو من ولد فاطمة رضي الله عنها وعنه. وهو آدم ضرب من الرجال ربعة، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، أشمه، أزج أبلج أعين أكحل العينين براق الثنايا أفرقها في خده الأيمن خال أسود يضيء وجهه كأنه كوكب دريّ كث اللحية في كتفه علامة النبي صلّى الله عليه وسلّم أزيل الفخذين لونه لون عربي وجسمه جسم إسرائيل في لسانه ثقل وإذا أبطأ عليه الكلام ضرب فخذه الأيسر بيده اليمنى، ابن أربعين سنة خاشع لله خشوع النسر بجناحيه عليه عباءتان قطوانيتان يشبه النبي صلّى الله عليه وسلّم في الخُلق لا في الخَلق. «الآدم» الأسمر. «والضرب من الرجال» الخفيف اللحم. «والربعة» من بين الطويل والقصير. «وأجلى الجبهة» من انحسر الشعر عن جبهته. «وأقنى الأنف» طويله مع دقة الأرنبة. «وأشم الأنف رفيع العرنين» أي وسط الأنف والأزج مقوس الحاجب مع طول في طرفه وامتداد والأبلج المشرق اللون وغير مقترن الحاجبين والأعين الواسع العين والأكحل أسود الأجفان من غير اكتحال وأزيل الفخذين منفرج الفخذين متباعدهما والعباءة القطوانية قصيرة الخمل. وقبل خروج المهدي يكون السفياني وهو من ذرية يزيد بن أبي سفيان قد طغى وبغى وأفسد في الأرض وأظهر الكفر.

(ومن أشراط الساعة الكبرى خروج المسيح الدجال)

أخرج مسلم وأبو داود والترمذي عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم **(إن تميما الداري كان رجلا نصرانيا فجاء وبايع وأسلم وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرا**

في البحر. ثم أرفؤا إلى جزيرة في البحر حين مغرب الشمس فجلسوا في أقرُب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثيرة الشعر لا يدرون ما قبله من دبره فقالوا ويلك ما أنت فقالت أنا الجساسة قالوا وما الجساسة قالت أيها القوم انطلقوا إلى هذا الدير فإن فيه رجلا هو إلى خبركم بالأشواق فانطلقنا سراعا فدخلنا الدير فإذا أعظم إنسان رأيناه قط خلقا وأشده وثاقا، مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد قلنا ويلك ما أنت قال قد قدرتم على خبري فاخبروني ما أنتم قالوا نحن أناس من العرب كنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حتى اغتلم فلعب بنا الموج شهرا ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فلقيتنا دابة أهلب كثيرة الشعر لا نعرف قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا ويلك ما أنت قالت أنا الجساسة. قلنا وما الجساسة قالت اعمدوا إلى هذا الرجل الذي في هذا الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق فأقبلنا إليك سراعا قال فأخبروني عن نخل بيسان قلنا عن أيها تستخبر قال عن نخلها هل يثمر قلنا نعم. قال أما إنه يوشك أن لا يثمر. قال فأخبروني عن بحيرة طبرية هل فيها ماء قلنا نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها. قال فأخبروني عن نبي الأميين ما فعل قلنا قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال أقاتلته العرب قلنا نعم. قال كيف صنع بهم فأخبرناه أنه قد ظهر على ما يليه من العرب وأطاعوه. قال ذلك خير لهم إن يطيعوه وإني مخبركم عني أنا المسيح الدجال وإني يوشك أن يؤذن لي في الخروج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا أهبطها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة وهما محرمتان عليّ كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده سيف يصدني عنها وإن على كل نقب من أنقابها ملائكة يحرسونها) ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بمخصرته في المنبر (**هذه طيبة، هذه طيبة ألا هل كنت حدثتكم ذلك**) فقال الناس نعم. فقال (**إنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة وعن مكة إلا أنه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق**) وأشار بيده نحو المشرق. قوله «أرفئوا» يقال أرفأت السفينة إذا قربتها إلى الشط وأدنيتها من البر وذلك الموضع مرفأ. وأما «أقرُب» فلعله جمع

قارب على غير القياس قاله الخطابي والقارب سفينة صغيرة تكون إلى جانب السفن البحرية يستعجلون بها حوائجهم من البر وتكون معهم خوفا من غرق المركب فيلجئون إليها «والأهلب» الغليظ الشعر الخشن «واغتلام البحر» اضطراب أمواجه واهتياجه «والجساسة» فعالة من التجسس وهو التفحص عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال ذلك في الشر «والنقب» الطريق في الجبل وجمعه أنقاب «والمخصرة» عصا أو قضيب أو سوط كانت تكون بيد الخطيب أو الملك إذا تكلم. قال البررزنجي وأبسط حديث فيه حديث النُّوَاس عند مسلم وغيره وحديث أبي أمامة عند ابن ماجه وغيره وحديث ابن مسعود عند الحاكم وغيره وحديث أبي سعيد عند مسلم وعند البخاري معناه وحديث أبي سعيد أيضا عند الحاكم. قال فلنسق هذه الأحاديث مساقا واحدا ونجمع بين اختلافها بحسب الإمكان والتيسير ونزيد بعض الزيادات من غيرها وبالله التوفيق وعليه التكلان.

قالوا خطب النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال (**إنه لم يكن في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم عليه السلام أعظم من فتنة الدجال وإن الله لم يبعث نبيا إلاّ حذر أمته الدجال وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة**) فخفض ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك منا فقال (**غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وأنا حجيج كل مسلم وإن يخرج من بعدي فكل حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم وأنه يخرج من خلة**) أي من طريق (**بين الشام والعراق فيعيث**) أي يفسد (**يبعث السرايا والجنود يمينا ويعبث شمالا وأن على مقدمته سبعين ألفا من يهود أصبهان عليهم رجل أشعر من فيهم يقول بدو بدو**) أي أسرع أسرع.

قال صلّى الله عليه وسلّم (**يا عباد الله فاثبتوا فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي وإنه يبدأ فيقول أنا نبي ولا نبي بعدي ثم يثني فيقول أنا ربكم ولا ترون ربكم حتى تموتوا وإنه أعور وربكم ليس بأعور وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل**

مؤمن كاتب وغير كاتب) أي حروفا مهجاة هكذا ك ف ر كما صرح به في بعض الروايات وفتنه كثيرة:

منها: أن معه جنة ونارا فناره جنة وجنته نارا فمن ابتلى بناره فليستغث بالله وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم.

ومنها: أن تطوى له الأرض منهلا منهلا طي فروة الكبش. وأنه يسيح الأرض كلها في أربعين يوما وما من بلد إلا وسيطؤها إلا مكة والمدينة وسرعته في السير كالغيث استدبرته الريح. وإن له ثلاث صيحات يسمعها أهل المشرق وأهل المغرب ويتناول الطير من الجو ويشويه في الشمس شيا. وأنه يخوض البحر في اليوم ثلاث خوضات لا يبلغ حقويه وإحدى يديه أطول من الأخرى فيمد الطويلة في البحر فتبلغ قعره فيخرج من الحيتان ما يريد. وأنه يخرج في خفة من الدين وإدبار من العلم فلا يبقى أحد يحاجه في أكثر الأرض ويذهل الناس عن ذكره. وأنه يأتي فيقول لأعرابي أرأيت إن بعثت لك أباك وبعثت لك أمك أتشهد إني ربك فيقول نعم، فيتمثل له شيطان على صورة أبيه وآخر على صورة أمه فيقولان له يا بني اتبعه فإنه ربك فيتبعه.

ومن ثم قال حذيفة لو خرج الدجال في زمانكم لرمته الصبيان في الخزف ولكنه يخرج في نقص من العلم وخفة من الدين. وأنه يمر بالخربة فيقول لها اخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل أي جماعتها وأصل اليعسوب أمير النحل. وأنه يأتي على النهر فيأمره أن يسيل فيسيل ثم يأمره أن يرجع فيرجع ثم يأمره أن ييبس فييبس. وأنه يأمر الريح أن تثير سحابا من البحر فتمطر الأرض فتفعل. وأنه يقول أنا رب العالمين وهذه الشمس تجري بإذني، أفتريدون أن أحبسها فيقولون نعم فيحبس الشمس حتى يجعل اليوم كالشهر والجمعة كالسنة ويقول أتريدون أن أسيرها فيقولون نعم، فيجعل اليوم كالساعة. وأنه تأتي قبل خروجه ثلاث سنوات شدائد يصيب الناس فيها جوعا شديد يأمر الله السماء أن تحبس ثلث مطرها ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها ثم يأمر الله السماءِ في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها ويأمر الله

الأرض فتحبس ثلثي نباتها ثم يأمر الله عز وجل السماء في السنة الثالثة فلا تمطر قطرة ويأمر الأرض فلا تنبت خضراء فلا تبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله قيل يا رسول الله فما يعيش الناس إذا كان ذلك قال (**التسبيح والتكبير يجري ذلك منهم مجرى الطعام**). وأنه يسلط على نفس واحدة فينشرها بالمنشار حتى يلقيها شقين فيمر الدجال بينهما ثم يقول انظروا هذا فإني أبعثه الآن ثم يزعم أن له ربا غيري ثم يبعثه الله فيقول له الخبيث من ربك فيقول ربي الله وأنت عدو الله الدجال والله ما كنت قط أشد بصيرة فيك مني الآن فيريد أن يقتله ثانيا فلا يسلط عليه وهو الخضر عليه السلام ويكون معه اليسع عليه السلام ينذر الناس يقول هذا المسيح الكذاب فاحذروه لعنه الله ويعطيه الله من السرعة ما لا يلحقه الدجال.

وفي رواية (أن بين يديه رجلين ينذر أن أهل القرى كلما دخلا قرية أنذرا أهلها فإذا خرجا منها دخلها أول أصحاب الدجال ويدخل القرى كلها غير مكة والمدينة فيمر بمكة فإذا هو بخلق عظيم فيقول من أنت فيقول أنا ميكائيل بعثني الله لأمنعك من حرمه ويمر بالمدينة فإذا هو بخلق عظيم فيقول من أنت فيقول أنا جبريل بعثني الله لأمنعك من حرم رسوله ويصيح فيخرج إليه من مكة منافقوها وترجف المدينة ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه فتنفى المدينة يومئذ خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد ويدعي ذلك اليوم يوم الخلاص ويكون آخر من يخرج إليه النساء حتى أن الرجل ليرجع إلى أمه وبنته وأخته وعمته فيوثقها رباطا مخافة أن تخرج إليه.

وفي رواية قال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**ثلاث مرات يوم الخلاص وما يوم الخلاص يجيء الدجال فيصعد أحدا فيطلع فينظر إلى المدينة ويقول لأصحابه ألا ترون إلى هذا القصر الأبيض هذا مسجد أحمد**).

قال البرزنجي وهذه من معجزاته صلّى الله عليه وسلّم وإخبار منه بأن مسجده يرفع ويبيض بالجص وقد كان في زمنه صلّى الله عليه وسلّم مبنيا بالجريد والسعف

فقد وقع ما أخبر به صلّى الله عليه وسلّم فإن مسجده الشريف يرى أبيضا من مسافة بعيدة ومنابره تلمع بياضا.

(**فائدة**) قال ابن ماجه سمعت الطنافسي يقول سمعت المحاربي يقول ينبغي أن يدفع حديث الدجال إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب.

وأما كيفية النجاة منه فاعلم أن النجاة منه بالعلم والعمل أما العلم فيعلم بأنه يأكل ويشرب وأن الله متره عن ذلك، وأنه أعور وأن الله ليس بأعور وأن أحدا لا يرى ربه حتى يموت وهذا يراه الناس أحياء قبل موهم وغير ذلك. وأما العمل فبأن يلتجئ إلى أحد الحرمين فإنه لا يدخلهما أو إلى المسجد الأقصى أو إلى مسجد الطور ففي بعض الروايات لا يدخلهما أيضا وبأن يقرأ عشر آيات من أول سورة الكهف وبأن يهرب منه في الجبال والبراري فإنه أكثر ما يدخل القرى.

فعن عبيد بن عمر ليصحبن الدجال أقوام يقولون (**إنا لنصحبه وإنا لنعلم أنه لكافر ولكنا نصحبه نأكل من طعامه ونرعى من الشجر فإذا نزل غضب الله نزل عليهم كلهم**) رواه نعيم بن حماد. وبأن يتفل في وجهه، فعن أبي أمامة مرفوعا (**فمن لقيه منكم فليتفل في وجهه**) رواه الطبراني. (**وبالتسبيح والتكبير والتهليل فإنه قوت المؤمنين في ذلك القحط وأن من ابتلى به فليثبت وليصبر وإن رماه في النار فيغمض عينيه وليستعن بالله تكن عليه بردا وسلاما**).

(ومن أشراط الساعة الكبرى نزول عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام)

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي عنه أنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**والذي نفسي بيده يوشكنّ أن يترل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخترير ويضع الجزية**).

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**) قال (**فيترل عيسى**

ابن مريم فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا أن ببعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة). وحليته على ما رواه البخاري من حديث عقيل ابن خالد أنه أحمر جعد عريض الصدر وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما **(ورأيت عيسى ابن مريم مربع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس).** وأما سيرته على نبينا وعليه الصلاة والسلام فإنه يدق الصليب ويقتل الخنزير والقردة ويضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام ويتحد الدين فلا يعبد إلا الله ويترك الصدقة أي الزكاة لعدم من يقبلها وتظهر الكنوز في زمنه ولا يرغب في اقتناء المال ويرفع الشحناء والتباغض وينزع سم كل ذي سم حتى تلعب الأولاد بالحيات والعقارب فلا تضرهم ويرعى الذئب مع الشاة فلا يضرها ويملأ الأرض سلما وينعدم القتال وتنبت الأرض نبتها كعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم وكذا الرمانة وترخص الخيل لعدم القتال ويغلو الثور لأن الأرض تحرث كلها ويكون مقررا للشريعة النبوية لا رسولا إلى هذه الأمة ويكون قد علم بأمر الله في السماء قبل أن ينزل وهو نبي ومع ذلك فهو من أمة محمد صلّى الله عليه وسلّم وصحابي لأنه اجتمع به صلّى الله عليه وسلّم ليلة الإسراء وحينئذ فهو أفضل الصحابة.

وحاصل الروايات في نزوله **(أنه ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق وهي موجودة اليوم واضعا كفيه على أجنحة ملكين لست ساعات مضين من النهار حتى يأتي مسجد دمشق يقعد على المنبر فيدخل المسلمون المسجد وكذا النصارى واليهود وكلهم يرجونه حتى لو ألقي شيء لم يصب إلا رأس إنسان من كثرتهم ويأتي مؤذن المسلمين وصاحب بوق اليهود وناقوس النصارى فيقترعون فلا يخرج إلا سهم المسلمين وحينئذ يؤذن مؤذنهم ويخرج اليهود والنصارى من المسجد ويصلي بالمسلمين صلاة العصر ثم يخرج بمن معه من أهل دمشق في طلب الدجال ويمشي وعليه السكينة والأرض تقبض له وما أدرك نفسه من كافر قتله ويدرك نفسه حيثما أدرك بصره حتى يدرك بصره في حصونهم وقرياتهم إلى أن يأتي بيت المقدس غوثا للمسلمين فيجده مغلقا**

قد حصره الدجال فيصادف ذلك صلاة الصبح وقد أحرم المهدي والناس كلهم أو بعضهم لم يحرموا بعد فيخرج إليه من لم يحرم بالصلاة فيأتي والمهدي في الصلاة فيتقهقر ويقول لعيسى بعض الناس تقدم لما رأى تقهقر المهدي فيضع يده على كتف المهدي أن تقدم ويقول للقائل ليتقدم إمامكم فيجيب المهدي بالفعل ثم إذا أصبحوا شرد أصحاب الدجال فتضيق عليهم الأرض فيدركهم بباب لد فيصادف ذلك صلاة الظهر فيتحيل اللعين إلى الخلاص منه بإقامة الصلاة فلما عرف أنه لا يتخلص منه بذلك ذاب خوفا منه كما يذوب الملح فأدركه فقتله ويهزم الله اليهود وأصحاب الدجال فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء لا شجر ولا حجر ولا حائط ولا دابة إلا قال يا عبد الله المسلم هذا يهودي). وفي رواية (**هذا دجالي فتعال فاقتله إلا الغرقدة فإنها من شجر اليهود لا تنطق**).

وعن جابر رضي الله عنه أن عيسى عليه السلام يتزوج بعد ما يترل ويولد له ثم يموت بالمدينة ولعل موته عند حجه وزيارته النبي صلّى الله عليه وسلّم وإلاّ فهو إنما يكون ببيت المقدس.

وأخرج أبو الشيخ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**يترل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ويمكث أربعين عاما يعمل بكتاب الله وسنتي ويموت فيستخلفون بأمر عيسى رجلا من بني تميم يقال له المقعد فإذا مات المقعد لم يأت على الناس ثلاث سنين حتى يرفع القرآن من صدور الرجال**).

وأخرج الترمذي وحسنه وابن عساكر عن عبد الله بن سلام (**قال مكتوب في التوراة صفة محمد صلى الله عليه وسلم وعيسى بن مريم يدفن معه**).

وأخرج البخاري في تاريخه والطبراني وابن عساكر عنه قال (**يدفن عيسى بن مريم مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وصاحبيه فيكون قبرا رابعا**).

(ومن أشراط الساعة الكبرى خروج يأجوج ومأجوج)

قال تعالى (**حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ** *

الأنبياء: ٩٦) وقال صلّى الله عليه وسلّم (**لا تقوم الساعة حتى يكون عشر آيات طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى بن مريم وثلاث خسوف ونار تخرج من قعر عدن أبين**) الحديث رواه ابن ماجه عن حذيفة بن أسيد. والأحاديث الواردة فيهم كثيرة وهم من بني آدم ثم من بني يافث بن نوح وهم ثلاثة أصناف صنف أجسادهم كالأرز وهو شجر كبير جدا وصنف منهم أربعة أذرع في أربعة أذرع وصنف يفترش الواحد منهم أذنه ويلتحف الأخرى. أخرج ذلك ابن أبي حاتم من طريق شريح بن عبيد عن كعب الأحبار.

وروى الحاكم عن ابن عباس (**أن منهم شبرا شبرا وشبرين شبرين وأطولهم ثلاثة أشبار**). وأخرج أحمد والطبراني عن خالد بن عبد الله بن حرملة عن خالته مرفوعا (**أنكم تقولون لا عدو ولا تزالون تقاتلون عدوا حتى تقاتلوا يأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون صهب الشعور من كل حدب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة**).

أما كثرتهم فقد أخرج ابن حبان[١] في صحيحه عن ابن مسعود رفعه قال (**إن يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم من صلبه ألفا من الذرية**).

وأخرج ابن أبي حاتم[٢] من طريق عبد الله بن عمر قال (**الجن والأنس عشرة أجزاء فتسعة أجزاء يأجوج ومأجوج وجزء سائر الناس**).

وأخرج ابن حبان والحاكم وصححاه عن أبي هريرة رضي الله عنه (**أن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه، قال الذي عليهم ارجعوا فتخرقونه غدا فيعيده الله كأشد ما كان حتى إذا بلغوا مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس، قال الذي عليهم ارجعوا فستخرقونه غدا إن شاء الله تعالى واستثنى، قال فيرجعون فيجدونه كهيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس**).

---

(١) ابن حبان محمد بن أحمد التميمي الشافعي توفي سنة ٣٥٤ هـ. في سمرقند.

(٢) ابن أبي حاتم محمد النيشابوري توفي سنة ٣٢٠ هـ.

وروى أبو نعيم عن ابن عباس مرفوعا قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم **(بعثني الله حين أسري بي إلى يأجوج ومأجوج فدعوهم إلى دين الله وعبادته فأبوا أن يجيبوني)**. أما خروجهم وإفسادهم وهلاكهم فقد ورد في حالهم عند خروجهم ما أخرج مسلم من حديث النواس بن سمعان بعد ذكر الدجال وهلاكه على يد عيسى عليه السلام وغيره قال **(ثم يأتيه يعني عيسى قوم قد عصمهم الله من الدجال فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينا هم كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أن قد أخرجت عبادا لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس فينشفون الماء ويتحصن الناس منهم في حصونهم ويضمون إليهم مواشيهم ويشربون مياه الأرض حتى أن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركون يبسا حتى أن من يمر من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول قد كان ههنا ماء مرة حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا أخذ في حصن أو مدينة ويمرون ببحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر عيسى نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور ورأس الحمار لأحدهم خير من مائة دينار)** وفي رواية لمسلم وغيره **(فيقولون لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيردها الله عليه مخضوبة دما)**

وفي رواية **(ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمي إلى السماء فترجع إليه مخضوبة دما للبلاء والفتنة فيرغب نبي الله وأصحابه إلى الله فيرسل عليهم النغف في رقابهم وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم فيصبحون موتى كموت نفس واحدة لا يسمع لهم حس فيقول المسلمون ألا رجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو فيتجرد رجل منهم محتسبا نفسه قد أوطنها على أنه مقتول فيترل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادي يا معشر المسلمين ألا ابشروا إن الله عز وجل قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لها مرعى إلا لحومهم فتشكر عنه أي تسمن أحسن ما شكرت عن شيء وحتى أن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرا**

من لحومهم ودمائهم ويهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم أي شحمهم ونتنهم أي ريحهم من الجيف فيؤذون الناس بنتنهم أشد من حياتهم فيستغيثون بالله فيبعث ريحا يمانية غبراء فتصير على الناس غما ودخانا وتقع عليهم الزكمة ويكشف ما بهم بعد ثلاثة وقد قذفت جيفهم في البحر).

وفي رواية (**فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله تعالى ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة أي كالمرآة ثم يقال للأرض انبتي ثمرتك وردّي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة بقحفها ويوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين).**

(ومن أشراط الساعة القريبة خراب المدينة)

قبل يوم القيامة بأربعين سنة وخروج أهلها منها. أخرج أبو داود عن معاذ مرفوعا (**عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة**).

وروى الطبراني (**سيبلغ البناء سلعا ثم يأتي على المدينة زمان يمر السفر على بعض أقطارها فيقول قد كانت هذه مرة عامرة من طول الزمان وعفو الأثر**).

وروى الإمام أحمد (**المدينة يتركها أهلها وهي مرطبة قالوا فمن يأكلها قال السباع والعافي**).

وفي الصحيحين (**لتتركن المدينة على خير ما كانت مذللة ثمارها لا يغشاها إلا العوافي يريد عوافي الطير والسباع وآخر من يحشر منها راعيان من مزينة**).

قال البرزنجي وسبب خرابها والله أعلم أنهم يخرجون مع المهدي إلى الجهاد ثم ترجف بمنافقيها وترميهم إلى الدجال ثم يبقى فيها المؤمنون الخلص فيهاجرون إلى بيت المقدس قد ورد ستكون هجرة بعد هجرة وخير الناس يومئذ الزمهم مهاجر إبراهيم الخليل ومن بقي منهم تقبض الريح الطيبة أرواحهم فتبقى خاوية وهذا سر خرابها قبل غيرها.

(ومن أشراط الساعة العظيمة هدم الكعبة وسلب حليها)

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال (**يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة**). وأخرج أحمد عن ابن عمر نحوه (**وزاد ويسلبها حليها ويجردها من كسوتها فلكأني أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمساحته أو معوله**).

وفي الصحيحين (**كأني به أسود أفحج يهدمها حجرا حجرا**) وذو السويقتين تصغير الساقين أي دقيق الساقين. والأصيلع تصغير أصلع من ذهب شعر مقدم رأسه. والأفيدع تصغير الأفدع وهو من في يده أعوجاج والأفحج المتباعد الفخذين واختلفوا في هدم الكعبة هل هو في زمن عيسى أو عند قيام الساعة حين لا يبقى أحد يقول الله الله. فعن كعب أنه في زمن عيسى وكذا قال الحليمي[١] وأن الصريخ يأتي عيسى عليه السلام بذلك فيبعث إليه طائفة ما بين الثمانية إلى التسعة وقبل هدمها في زمنه وبعد هلاك يأجوج ومأجوج يحج الناس ويعتمرون كما ثبت وأن عيسى يحج ويعتمر أو يجمعهما.

(ومن أشراط الساعة الكبرى طلوع الشمس من مغربها)

وخروج دابة من الأرض وهذان أيهما سبق الآخر فالآخر على اثره فإن طلعت الشمس قبل خرجت الدابة ضحى يومها أو قريبا من ذلك وإن خرجت الدابة قبل طلعت الشمس من الغد.

أخرج الإمام أحمد وغيره عن عبد الله بن عمر قال حفظت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة ضحى فأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على اثرها. قال عبد الله وكان يقرأ الكتب وأظن أولهما خروجا طلوع الشمس من مغربها.

قال الحافظ ابن حجر والحكمة في ذلك أن بطلوع الشمس من مغربها ينسد باب التوبة فتجيء الدابة فتميز بين المؤمن والكافر تكميلا للمقصود من اغلاق باب

---

(١) الحليمي حسين بن حسن الجرجاني الشافعي توفي سنة ٤٣٠ هـ.

التوبة. أما طلوع الشمس من مغربها فقد روى الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل**). وروى ابن مردويه عن حذيفة رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما آية طلوع الشمس من مغربها فقال (**تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين**) وفي رواية البيهقي عن عبد الله بن عمر بلفظ (**قدر ليلتين أو ثلاث**) فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون ويعملون كما كانوا ولا يرى إلا وقد قامت النجوم مكانها ثم يرقدون ثم يقومون ثم يقضون صلاتهم والليل كأنه لم ينقض فيضطجعون حتى إذا استيقظوا والليل مكانه حتى يتطاول عليهم الليل فإذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم ففزع الناس وهاج بعضهم في بعض فقالوا ما هذا فيفزعون إلى المساجد فإذا أصبحوا طال عليهم طلوع الشمس فبينما هم ينتظرون طلوعها من المشرق إذا هي طلعت عليهم من مغربها فضج الناس ضجة واحدة حتى إذا صارت في وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها.

وروى أبو الشيخ وابن مردويه عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**صبيحة تطلع الشمس من مغربها يصير في هذه الأمة قردة وخنازير وتطوى الدواوين لا يزاد في حسنة ولا ينقص من سيئة ولا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل وكسبت في إيمانها خيرا**).

وروى عبد بن حميد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال (**يبقى شرار الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة**).

(**تنبيه**) ورد في بعض الروايات (**أن أول الآيات خروج الدجال**) وفي بعضها (**أن أولها طلوع الشمس من مغربها**) وفي بعضها (**الدابة**) وفي بعضها (**نار تحشر الناس إلى محشرهم**) قال الحافظ ابن حجر وطريق الجمع أن الدجال أو الآيات العظم المؤذنة بتغير أحوال العامة في الأرض فلا ينافي تقدم المهدي عليه قال وينتهي ذلك بموت

عيسى بن مريم أي ومن بعده من القحطاني وغيره وأن طلوع الشمس من مغربها هو أول الآيات المؤذنة بتغير العالم العلوي وينتهي ذلك بقيام الساعة أي والدابة معها فهي والشمس كشيء واحد وأن النار أو الآيات المؤذنة بقيام الساعة انتهى.

وروى أبو نعيم عن وهب بن منبه قال أول الآيات الروم ثم الدجال والثالثة يأجوج ومأجوج والرابعة عيسى لأنه تأخر عن يأجوج ومأجوج وإن كان نزوله مقدما عليه والخامسة الدخان وسيأتي بيانه والسادسة الدابة وعده هذا باعتبار الآيات الأرضية ومن ثم لم يعد طلوع الشمس. وروى الحاكم وغيره عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لا يلبثون يعني الناس بعد يأجوج ومأجوج حتى تطلع الشمس من مغربها وجفت الأقلام وطويت الصحف ولا يقبل من أحد توبة ويخر إبليس ساجدا ينادي إلهي مرني أن أسجد لمن شئت وتجتمع إليه الشياطين فتقول يا سيدنا إلى من تفزع فيقول إنما سألت ربي أن ينظرني إلى يوم البعث فأنظرني إلى يوم الوقت المعلوم وقد طلعت الشمس من مغربها وهذا يوم الوقت المعلوم وتصير الشياطين ظاهرة في الأرض حتى يقول الرجل هذا قريني الذي كان يغويني فالحمد لله الذي أخزاه ولا يزال إبليس ساجدا باكيا حتى تخرج الدابة فتقتله وهو ساجد ويتمتع المؤمنون بعد ذلك أربعين سنة لا يتمنون شيئا إلا أعطوه.

(ومن أشراط الساعة الكبرى خروج الدابة)

قال الله تعالى (**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ** * النمل: ٨٢) قال أهل التفسير إذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر أخرجنا لهم دابة. وعن أبي العالية أن وقوع القول سد باب الإيمان والتوبة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها تخرج من بعض أودية تهامة.

وقد ورد عن ابن عباس وحذيفة رضي الله عنهم أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي ترغوبين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفضّ الناس عنها شتى**).

وعن ابن عباس أيضا أن لها عنقا مشرفا يراها من بالمشرق كما يراها من بالمغرب ولها وجه كوجه إنسان ومنقار كمنقار الطير ذات وبر وزغب. وعنه أيضا أنها ذات وبر وريش فيها من كل لون لها أربع قوائم. وعنه أيضا أن فيها من ألوان الدواب كلها وفيها من كل أمة سيما وسيماها من هذه الأمة أنها تكلم الناس بلسان عربي مبين تكلمهم بكلامهم. وعن حذيفة أنها مُلَمعةٌ ذات وبر وريش لن يدركها طالب ولن يفوتها هارب. وعن أبي هريرة أن فيها من كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب. وعن ابن الزبير رضي الله عنهما أنه وصف الدابة فقال رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين منها اثنا عشر ذراعا. وأما سيرتها فإن معها عصا موسى وخاتم سليمان بن داود وتنادي بأعلى صوتها (**أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ** * النمل: ٨٢) وأنها تسم الناس المؤمن والكافر فأما المؤمن فيرى وجهه كأنه كوكب دري ويكتب بين عينيه مؤمن وأما الكافر فيكتب بين عينيه نكتة سوداء كافر. وفي رواية فأرفض أي تفرق الناس عنها شتى وثبت عصابة من المؤمنين وعرفوا أنهم لن يعجزوا الله فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدري وولت في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى أن الرجل يتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها فتسمه في وجهه ثم تنطلق ويشترك الناس في الأموال ويصطحبون في الأمصار يعرف المؤمن الكافر وبالعكس حتى أن المؤمن ليقول يا كافر اقضني حقي وحتى أن الكافر يقول يا مؤمن اقضني حقي. وفي رواية (**تخرج فتصرخ ثلاث صرخات فيسمعها من بين الخافقين**).

(ومن أشراط الساعة الكبرى الدخان)

عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال اطلع علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا الساعة يا رسول الله قال (**إنها لن تقوم**

حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال) الحديث رواه مسلم والترمذي وابن ماجه. ورواه حذيفة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم **(وأنه يمكث في الأرض أربعين يوما)** وفي رواية **(أنه يأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام)**.

(ومن أشراط الساعة الكبرى ريح تقبض روح كل مؤمن ورجوع الناس إلى عبادة الأوثان ودين آبائهم)

أخرج مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها **(لا تذهب الأيام والليالي حتى تعبد اللات والعزى من دون الله)** الحديث. وفيه **(فيبعث الله ريحا طيبة فيتوفى بها كل مؤمن في قلبه مثقال حبة من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم)**.

وأخرج أحمد ومسلم عن ابن عمر قال **(ثم يرسل الله يعني بعد موت عيسى ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيقولون فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها وهم في ذلك دارٌّ رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور)**.

وروى الحاكم وصححه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول **(لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين على العدو لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة)** فقال عبد الله بن عمر أجل ويبعث ريحا ريحها المسك ومسها مس الحرير فلا تترك نفسا في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة.

وروى أحمد ومسلم والترمذي عن النواس بن سمعان قال **(فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها أي يتسافدون تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة)**.

وفي حديث ابن مسعود **(فيكونون على مثل ذلك حتى لا يولد أحد من نكاح**

ثم يعقم الله النساء ثلاثين سنة ويكونون كلهم أولاد زنا شرار الناس عليهم تقوم الساعة). وأخرج ابن ماجه عن حذيفة بن اليمان قال (**يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويبقى من الناس الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة فنحن نقولها فقال رجل لحذيفة فما تغني عنهم الكلمة فأعرض عنه حذيفة فأعاد عليه السؤال ثانيا وثالثا فقال في الثالثة تنجيهم من النار**).

وأخرج أحمد بسند قوي عن أنس رضي الله عنه قال (**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض لا إله إلا الله**) وهو عند مسلم لكن بلفظ (**الله الله**) فدلت الأحاديث المذكورة على أن المراد بشرار الناس في الحديث هم الذين لا يقولون لا إله إلا الله والله الله وأنه مادام في النوع الإنساني من يقول هذه الكلمة لا تقوم الساعة وإنما تقوم على الكفار الذين لا يعرفون نكاحا ولا يولدون من نكاح فيكونون بهائم في صورة إنسان وليسوا إنسانا حقيقة أولئك كالإنعام بل هم أضل.

(ومن أشراط الساعة الكبيرة رفع القرآن من المصاحف ومن الصدور)

روى الديلمي عن حذيفة وأبي هريرة معا قالا (**لا يسري على كتاب الله ليل فيصبح الناس وليس منه آية ولا حرف في جوف إلا نسخت**).

وروي عن ابن عمر (**لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث جاء فيكون له دويّ حول العرش كدويّ النحل فيقول الرب عز وجل ما لك فيقول منك خرجت وإليك عدت أتلى فلا يعمل بي فعند ذلك رفع القرآن**). وروى الأزرقي في تاريخ مكة أول ما يرفع الركن والقرآن ورؤيا النبي صلّى الله عليه وسلّم.

(ومن أشراط الساعة الكبرى وهي آخرها

نار تخرج من قعر عدن تحشر الناس إلى محشرهم)

أخرج مسلم وغيره عن حذيفة ابن أسيد قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات**) الحديث وفيه وآخر ذلك نار

تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم ويروى (**نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر**). وأخرج الإمام أحمد وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما (**ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الأرض الزمهم مهاجر إبراهيم ويبقى في الأرض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم وتقذفهم نفس الله وتحشرهم النار مع القردة والخنازير تبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا وتأكل من تخلف**). وأخرج أحمد والترمذي وقال حسن صحيح عن ابن عمر (**ستخرج نار من حضرموت أو من بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس**) قالوا يا رسول الله فما تأمرنا قال (**عليكم بالشام**). وهذا هو المراد بمهاجر إبراهيم في الرواية السابقة. وأخرج الطبراني وابن عساكر عن حذيفة اليمان قال لتقصدنكم نار هي اليوم خامدة في واد يقال له برهوت يغشى الناس فيها عذاب أليم تأكل الأنفس والأموال تدور الدنيا كلها في ثمانية أيام تطير طير الريح والسحاب حرها بالليل أشد من حرها بالنهار ولها بين السماء والأرض دويّ كدويّ الرعد القاصف هي من رؤوس الخلائق أدنى من العرش قيل يا رسول الله أسليمة يومئذ على المؤمنين والمؤمنات قال (**وأين المؤمنون والمؤمنات يومئذ شر من الحمر يتسافدون كما يتسافد البهائم وليس فيهم رجل يقول مه مه**).

هذا ما اختصرته من كتاب الإشاعة لأشراط الساعة للعلامة البرزنجي وقد فرغ مؤلفه من تأليفه سنة ألف وست وسبعين بالمدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل السلام.

وقال الإمام العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني في اليواقيت والجواهر، المبحث الخامس والستون في بيان أن جميع أشراط الساعة التي أخبرنا بها الشارع حق لابد أن تقع كلها قبل قيام الساعة وذلك كخروج المهدي ثم الدجال ثم نزول عيسى وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها ورفع القرآن وفتح سد يأجوج ومأجوج حتى لو لم يبق من الدنيا إلا مقدار يوم واحد لوقع ذلك كله.

قال الشيخ تقي الدين بن أبي منصور في عقيدته وكل هذه الآيات تقع في الساعة

الأخيرة من اليوم الذي وعد به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمته بقوله (**إن صلحت أمتي فلها يوم وإن فسدت فلها نصف يوم**) يعني من أيام الرب المشار إليها بقوله تعالى (**وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ** * الحج: ٤٧) قال بعض العارفين وأول الألف محسوب من وفاة علي بن أبي طالب رضي الله عنه آخر الخلفاء فإن تلك المدة كانت من جملة أيام نبوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ورسالته فمهد الله تعالى بالخلفاء الأربعة البلاد ومراده صلّى الله عليه وسلّم أن بالألف قوة سلطان شريعته إلى انتهاء الألف ثم تأخذ في ابتداء الاضمحلال إلى أن يصير الدين غريبا كما بدا وذلك الاضمحلال يكون بدايته من مضي ثلاثين سنة في القرن الحادي عشر. ثم بسط الإمام الشعراني رضي الله عنه الكلام على أخبار المهدي وسيدنا عيسى عليهما السلام وأوصافهما وما يلزم علمه من شؤوهما وغير ذلك من أشراط الساعة ونقل ذلك عن الفتوحات المكية فمن شاء الزيادة على ما هنا فليراجع اليواقيت والفتوحات أو غيرهما فإن أشراط الساعة وأخبار المهدي أفردت بالتأليف والله أعلم.

(الخاتمة) في إثبات كرامات الأولياء

وإما كان معجزة لنبي يجوز أن يكون كرامة لولي وإن كرامات أولياء أمته من جملة معجزاته الباقية صلّى الله عليه وسلّم وبذلك تتضاعف معجزاته عليه الصلاة والسلام إلى أضعاف كثيرة لا تحصى وهي تشتمل على ثلاثة مطالب المطلب الأول في تجويز الكرامة للأولياء وإن كل ما كان كرامة لولي فهو معجزة لنبيه.

قال الله تعالى (**أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** * يونس: ٦٢-٦٤) وقال تعالى (**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي** * مريم: ٢٥-٢٦) الآية وقال تعالى (**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** * آل عمران: ٣٧) وقال تعالى (**وَإِذ**

اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِه وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا * وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ * الكهف: ١٦-١٧) الآية.

ونقل الإمام اليافعي[١] في كتابه نشر المحاسن الغالية عن كثير من أكابر أئمة أهل السنة والجماعة من مشايخ الإسلام جواز وقوع جملة خوارق العادات في معرض الكرامات لأولياء الله تعالى وهم إمام الحرمين وأبوبكر الباقلاني[٢] وأبوبكر ابن فورك وحجة الإسلام الغزالي وفخر الدين الرازي وناصر الدين البيضاوي ومحمد ابن عبد الملك السلمي وناصر الدين الطوسي وحافظ الدين النسفي وأبو القاسم القشيري وبعد أن نقل عباراتهم قال فهؤلاء عشرة أئمة ممن له تصنيف محقق وكلام معتبر في العقائد من أهل السنة اقتصرت عليهم ولا حاجة إلى كثرة التعداد فبعض هؤلاء المذكورين فيه الكفاية وقد اتفقوا على أن الفارق بين الكرامة والمعجزة هو تحدي النبوة فقط ولم يشترط أحد منهم كون الكرامة مغايرة للمعجزة في جنسها وعظمها انتهى.

وقال الإمام أبوالقاسم القشيري في رسالته ظهور الكرامات على الأولياء جائز لأنه أمر موهوم حدوثه في العقل لا يؤدي حصوله إلى رفع أصل من الأصول فواجب وصفه سبحانه بالقدرة على إيجاده وإذا وجب كونه مقدور الله سبحانه فلا شيء يمنع جواز حصوله. وظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله فمن لم يكن صادقا فظهور مثلها عليه لا يجوز والذي يدل عليه أن تعريف القديم سبحانه إيانا حتى نفرق بين من كان صادقا في أحواله وبين من هو مبطل من طريق الاستدلال أمر موهوم ولا يكون ذلك إلا باختصاص الولي بما لا يوجد مع المفتري في دعواه وذلك الأمر هو الكرامة التي أشرنا إليها ولابد أن تكون هذه الكرامة فعلا ناقضا للعادة في أيام التكليف ظاهرا على موصوف بالولاية في معنى تصديقه في حاله.

---

(١) اليافعي عبد الله بن أسعد توفي سنة ٥٦٨ هـ. في مكة المكرمة زادها الله شرفا وكرما.

(٢) أبو بكر الباقلاني القاضي محمد بن طيب توفي سنة ٤٠٣ هـ. في بغداد.

وتكلم الناس في الفرق بين الكرامات وبين المعجزات من أهل الحق فكان الإمام أبوإسحاق الإسفرائني[١] رحمه الله يقول المعجزات دلالات صدق الأنبياء ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبي وكان يقول الأولياء لهم كرامات شبه إجابة الدعاء فأما جنس ما هو معجزة للأنبياء فلا.

وأما الإمام أبوبكر بن فورك رحمه الله فكان يقول المعجزات دلالات الصدق ثم إن ادعى صاحبها النبوة فالمعجزة تدل على صدقه في مقالته وإن أشار صاحبها إلى الولاية دلت المعجزة على صدقه في حاله فتسمى كرامة ولا تسمى معجزة وإن كانت من جنس المعجزات للفرق. ثم قال القشيري[٢] وقال أوحد فنه في وقته القاضي أبوبكر الأشعري رضي الله عنه أن المعجزات تختص بالأنبياء والكرامات تكون للأولياء كما تكون للأنبياء ولا تكون للأولياء معجزة لأن من شرط المعجزة اقتران دعوى النبوة بها والمعجزة لم تكن معجزة لعينها وإنما كانت معجزة لحصولها على أوصاف كثيرة فمتى اختل شرط من تلك الشرائط لا تكون معجزة وأحد تلك الشرائط دعوى النبوة والولي لا يدعي النبوة والذي يظهر عليه لا يكون معجزة. قال القشيري وهذا القول الذي نعتمد ونقول به بل ندين به فشرائط المعجزات كلها أو أكثرها توجد في الكرامة إلا هذا الشرط الواحد. قال والكرامة فعل لا محالة محدث لأن ما كان قديما لم يكن له اختصاص بأحد وهو ناقض للعادة وتحصل في زمان التكليف وتظهر على بعد تخصيصا له وتفضيلا وقد تحصل باختياره ودعائه وقد لا تحصل وقد تكون بغير اختياره في بعض الأوقات و لم يؤمر الولي بدعاء الخلق إلى نفسه ولو أظهر شيئا من ذلك على من يكون أهلا له لجاز. ثم قال وليس كل كرامة لولي يجب أن تكون تلك بعينها لجميع الأولياء بل لو لم يكن للولي كرامة ظاهرة عليه في الدنيا لم يقدح عدمها في كونه وليا بخلاف الأنبياء فإنه يجب أن تكون لهم

---

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفرائيني الشافعي توفي سنة ٤١٨ هـ.

(٢) القشيري عبد الكريم الشافعي توفي سنة ٤٦٥ هـ.

معجزات لأن النبي مبعوث إلى الخلق فبالناس حاجة إلى معرفة صدقه ولا يعرف إلا بالمعجزة وبعكس ذلك حال الولي لأنه ليس بواجب على الخلق ولا على الولي أيضا العلم بأنه ولي. قال واعلم أنه ليس للولي مساكنة إلى الكرامة التي تظهر عليه ولا ملاحظة فربما يكون لهم في ظهور جنسها قوة يقين وزيادة بصيرة لتحققهم أن ذلك فعل الله فيستدلون بها على صحة ما هم عليه من العقائد وبالجملة فالقول بجواز ظهورها على الأولياء واجب وعليه جمهور أهل المعرفة ولكثرة ما تواتر بأجناسها الأخبار والحكايات صار العلم بكونها وظهورها على الأولياء في الجملة علما قويا انتفى عنه الشكوك ومن توسط هذه الطائفة وتواتر عليه حكاياتهم وأخبارهم لم تبق له شبهة في ذلك على الجملة. قال ومن دلائل هذه الجملة نص القرآن في قصة صاحب سليمان عليه السلام حيث قال (**أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ** * النمل: ٤٠) ولم يكن نبيا. والأثر عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيح أنه قال يا سارية الجبل في حال خطبته يوم الجمعة وتبليغ صوت عمر إلى سارية في ذلك الوقت حتى تحرزوا من مكامن العدو من الجبل في تلك الساعة.

فإن قيل كيف يجوز إظهار هذه الكرامات الزائدة في المعاني على معجزات الرسل وهل يجوز تفضيل الأولياء على الأنبياء عليهم السلام.

قيل هذه الكرامات لاحقة بمعجزات نبينا صلّى الله عليه وسلّم لأن كل من ليس بصادق في الإسلام لا تظهر عليه الكرامة وكل نبي ظهرت كرامته على واحد من أمته فهي معدودة من جملة معجزاته إذ لو لم يكن ذلك الرسول صادقا لم تظهر على يد من تابعه الكرامة فأما رتبة الأولياء فلا تبلغ رتبة الأنبياء عليهم السلام للإجماع المنعقد على ذلك. قال ثم هذه الكرامات قد تكون إجابة دعوة وقد تكون إظهار طعام في أوان فاقة من غير سبب ظاهر أو حصول ماء في زمان عطش أو تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة أو تخليص من عدو أو سماع خطاب من هاتف أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة.

واعلم أن كثيرا من المقدورات يعلم اليوم قطعا أنه لا يجوز أن يظهر كرامة للأولياء وبضرورة أو شبه ضرورة يعلم ذلك فمنها حصول إنسان لا من أبوين وقلب جماد بهيمة أو حيوانا وأمثال هذا كثير.

والولي من توالت طاعاته ومن تولى الحق سبحانه حفظه وحراسته فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان وإنما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة قال الله تعالى (**وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ** * الأعراف: ١٩٦)، ولا يكون معصوما كالأنبياء بل يكون محفوظا حتى لا يصر على الذنوب.

حكي عن سهل بن عبد الله أنه قال من زهد في الدنيا أربعين يوما صادقا من قلبه مخلصا في ذلك ظهرت له الكرامات ومن لم تظهر له فلعدم الصدق في زهده. فقيل لسهل كيف تظهر له الكرامة فقال يأخذ ما يشاء كما يشاء من حيث شاء.

واعلم أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات والحفظ من المعاصي والمخالفات انتهى كلام القشيري.

وقال الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن العربي رضي الله عنه في كتابه مواقع النجوم ومطالع أهل الأسرار والعلوم مقام كريم ومشهد عظيم ناله عيسى عليه الصلاة والسلام في إحيائه الموتى وإبرائه الأكمه والأبرص كل ذلك بإذن الله تعالى وكذلك إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين صار الأطيار أي جمعهن وجعل على كل جبل منهن جزأ بعد ما قطعهن ومزج لحومهن بعضها ببعض ثم دعاهن فأتينه سعيا كل ذلك بإذن الله تعالى وليس في قضية العقل ببعيد أن يكرم الله وليا من أوليائه بهذه الكرامة ويجريها على يديه فإن كل كرامة ينالها الولي أو تظهر على يديه فإن شرفها راجع إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فإنه بإتباعه ووقوفه عند حدوده صح له ذلك الأمر وهذه المسألة فيها خلاف بين العلماء منهم من يثبت معجزة النبي كرامة للولي ومنهم من ينفي ذلك ومنهم من يثبت للولي كرامة لم تكن معجزة للنبي وأما أصحابنا (يعني ساداتنا الصوفية) فلم يكن لهم نفيها لمشاهدتهم إياها في أنفسهم وفي

إخوانهم إذ هم أصحاب كشف وذوق ولو ذكرنا ما شاهدنا منها وما بلغنا عن الثقات منها لبهت السامع وربما رمى به وذلك لقصوره بنظره لنفس من أظهرها الله تعالى على يديه وشخصه واحتقاره له فلو تكمل بأن ينظر للفاعل القادر المختار سبحانه الذي أجراها على يديه لم يكن ذلك عنده بكثير. قال رضي الله عنه ولقد رأيت شخصا من فقهاء زماننا يقول لو عاينت أمرا من هذه الأمور على يدي أحد لقلت أنه طرأ فساد في دماغي وإما أنه جرى ذلك فلا مع جواز ذلك عندي وإن الله تعالى إذا شاء أن يجري ذلك على يدي من شاء أجراه فانظر يا بني ما أكثف حجاب هذا وما أشد إنكاره وجهله أخذ الله بأيدينا ويده آمين ونور بصيرته انتهى.

وأطال الإمام تاج الدين السبكي في طبقاته في إثبات كرامات الأولياء وتزييف شبه المانعين لها بما يشفي ويكفي ثم بعد أن ذكر بعض كرامات أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال وفيما ذكرناه من الواقعات على يد الصحابة مقنع لمن له أدنى بصيرة وأن أبيتَ إلا دليلا خاصا ليكون أقطع للشغب وأنفى للشبهة فنقول الدليل على ثبوت الكرامات وجوه:

أحدها وهو أوحدها ما شاع وذاع بحيث لا ينكره إلا جاهل معاند من أنواع الكرامات للعلماء والصالحين الجاري مجرى شجاعة علي وسخاء حاتم بل إنكار الكرامات أعظم مباهتة فإنه أشهر وأظهر ولا يعاند فيه إلا من طمس قلبه والعياذ بالله.

والثاني قصة مريم من جهة حبلها من غير ذكر وحصول الرطب الطري من الجذع اليابس وحصول الرزق عندها في غير أوانه ومن غير حضور أسبابه على ما أخبر الله تعالى بقوله (**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ** * آل عمران: ٣٧). وهي لم تكن نبية.

الثالث التمسك بقصة أصحاب الكهف فإن لبثهم ثلاثمائة سنين وأزيد نياما أحياء من غير آفة مع بقاء القوة العادية بلا غذاء وشراب من جملة الخوارق و لم يكونوا أنبياء فلم تكن معجزة فتعين كونها كرامة.

الرابع التمسك بقصص شتى مثل قصة آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام في حمل عرش بلقيس إليه قبل أن يرتد إليه طرفه على قول أكثر المفسرين بأنه المراد بالذي عنده علم من الكتاب وما قدمناه عن الصحابة وما تواتر عمن بعدهم من الصالحين وخرج عن حد الحصر ولو أراد المرء استيعابه لما كفته أوساق أحمال ولا أوقار جمال وما زال الناس كذلك في الأعصار السابقة وهم بحمد الله إلى الآن في الأزمان اللاحقة ولكن نستدل لما كانوا عليه فقد كانوا من قبل ما نبغ النابغون ونشأ الزائغون يتفاوضون في كرامات الصالحين وينقلون ما جرى من ذلك لعباد بني إسرائيل فمن بعدهم وكانت الصحابة رضي الله عنهم من أكثر الناس خوضا في ذلك.

الخامس ما أعطاه الله تعالى لعلماء هذه الأمة وأوليائها من العلوم حتى صنفوا كتبا كثيرة لا يمكن غيرهم نسخها في مدة عمر مصنفها مع التوفيق لدقائق تخرج عن حد الحصر واستنباطات تطرب ذوي النهي واستخراجات لمعاني شتى من الكتاب والسنة تطبق طبق الأرض وتحقيق للحق وإبطال للباطل وما صبروا عليه من المجاهدات والرياضات والدعوة إلى الحق والصبر على أنواع الأذى وعزوف أنفسهم عن لذات الدنيا مع نهاية عقولهم وذكائهم وفطنتهم وما حبب إليهم من الدأب في العلوم وكد النفس في تحصيلها بحيث إذا تأمل المتأمل ما أعطاهم الله منها عرف أنه أعظم من اعطائه بعض عبيده كسرة خبز في أرض منقطعة وشربة ماء في مفازة ونحوهما مما يعد كرامة انتهى.

وقال الإمام الشعراني رضي الله عنه في المبحث التاسع والعشرين من اليواقيت والجواهر واعلم أن جمهور العلماء قائلون بأن ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي وخالف في ذلك المعتزلة والشيخ أبو إسحاق الأسفرائيني فقالوا لا يجوز أن يكون ما ظهر معجزة لنبي أن يكون مثله كرامة لولي من سائر الخوارق وإنما مبلغ الكرامة إجابة دعوة أو موافاة ماء في بادية لا ماء فيها عادة ونحو ذلك مما ينحط عن خرق العادات. قال الشيخ محي الدين في الباب السابع والثمانين بعد المائة من الفتوحات وهذا الذي قال الأستاذ هو الصحيح عندنا إلا إني أشرط شرطا آخر لم

يذكره الأستاذ وهو إنا نقول لا يجوز أن تكون المعجزة كرامة لولي إلا أن يقوم ذلك الولي بذلك الأمر المعجز على وجه التصديق لذلك النبي دون أن يقوم به على وجه الكرامة لنفسه فلا يمتنع ذلك كما هو مشهور بين الأولياء اللّهمّ إلا أن يقول ذلك الرسول في وقت تحديه بمنع وقوعها في ذلك الوقت خاصة أو في مدة حياته خاصة فإنه جائز أن يقع ذلك الفعل كرامة لغيره بعد انقضاء زمانه الذي اشترطه وأما إن أطلق ذلك النبي ولم يقيد فلا سبيل إلى ما قاله الأستاذ انتهى. وقال الشيخ محمد بن علي المحلي في شرح تائية الإمام السبكي عند قول المصنف:

وفي كل وقت أن تأمل ذو النهي * يشاهد حدوث المعجزات الجديدة

وعن الإمام العارف شهاب الدين السُهْرَوَرْدِي[١] أنه قال قد يكون للأولياء أنواع من الكرامات وسماع الهواتف من الهواء والنداء من بواطنهم وتطوى لهم الأرض ويعلمون بعض الحوادث قبل تكوينها ببركة متابعتهم الرسول صلّى الله عليه وسلّم وكرامة الأولياء من تتمة معجزات الأنبياء.

قال الشارح المذكور ومعنى هذا أن كل ولي ظهرت له كرامة بعد نبيه تكون تلك الكرامة من تتمة معجزات ذلك النبي فتكون كرامات صالحي هذه الأمة من تتمة معجزات نبيها صلّى الله عليه وسلّم ووجود الأولياء في الأرض من جملة معجزاته صلى الله عليه وسم المستمرة لأنهم بهم تنقضي حوائج العباد وببركتهم يدفع البلاء عن البلاد وبدعائهم تنزل الرحمة وبوجودهم تصرف النقمة انتهى.

قال جامعه الفقير يوسف النبهاني الحكمة في كثرة كرامات أولياء الأمة المحمدية والله أعلم إظهار سيادته صلّى الله عليه وسلّم على سائر الأنبياء بكثرة معجزاته في حياته وبعد مماته ولكونه صلّى الله عليه وسلّم خاتم النبيين وحبيب رب العالمين واستمرار دينه المبين إلى قيام الساعة فالحاجة إلى أسباب التصديق به مستمرة ومن أقوى هذه الأسباب كرامات أمته التي هي في الحقيقة من جملة معجزاته صلّى الله عليه وسلّم

(١) شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي الشافعي توفي سنة ٦٣٢ هـ. في بغداد.

زيادة على وجود القرآن سيد المعجزات وجامع الآيات البينات كلام الله القديم وذكره الحكيم الذي (**لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** * فصلت: ٤٢) وزيادة على ظهور ما أخبر به صلّى الله عليه وسلّم من أشراط الساعة وغيرها تدريجا فكان بذلك صلّى الله عليه وسلّم كأنه موجود بين أمته يشاهدون معجزاته بعد مماته كما كانوا يشاهدونها في حياته صلّى الله عليه وسلّم (**وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا** * المدثر: ٣١) وليهدي الله لدينه من يشاء ممن لم يكونوا مؤمنين وكثرة الكرامات تعلم من كثرة أولياء أمته صلّى الله عليه وسلّم وهم في كل عصر. كما قال الشيخ الأكبر سلطان العارفين سيدي محيي الدين بن العربي وغيره استناد الحديث ورد في ذلك وللكشف الصحيح مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا على عدد الأنبياء صلوات الله على نبينا وعليهم ولا يخفى ما يقع على أيديهم من الكرامات الكثيرة وكلها معجزات له صلّى الله عليه وسلّم وبذلك تتضاعف معجزاته عليه الصلاة والسلام أضعافا كثيرة لا يحصرها عد ولا يحيط بها حد وما ذكرته من حكمة كثرتها واستمرارها هو السبب في وقوعها على أيدي الصحابة الكرام أقل مما وقعت على أيدي من بعدهم من الأولياء وذلك أن إثبات صحة الذين لزيادة إيمان المؤمن وهداية غيرهم حاصل في عصرهم بمعجزاته صلّى الله عليه وسلّم التي كانوا يشاهدونها في كل حين على كثرتها واختلاف أنواعها فكرامات أصحابه رضي الله عنهم وإن كانت هي أيضا تحسب معجزات له صلّى الله عليه وسلّم ككرامات سائر الأولياء إلا أن الحاجة إليها فيما ذكر أقل من الحاجة إلى كرامات الأولياء ممن أتى بعدهم. وأيضا قال التاج السبكي في الطبقات فإن قلت ما بال الكرامات في زمن الصحابة وإن كثرت في نفسها قليلة بالنسبة إلى ما يروى من الكرامات الكائنة بعدهم على يد الأولياء.

فالجواب **أولا** ما أجاب به الإمام الجليل أحمد بن حنبل رضي الله عنه حيث سئل عن ذلك فقال أولئك كان إيمانهم قويا فما احتاجوا إلى زيادة يقوي بها إيمانهم وغيرهم ضعف الإيمان في عصره فاحتيج إلى تقويته بإظهار الكرامة. ونظيره قول

الشيخ السهروردي رحمه الله حيث قال وخرق العادة إنما يكاشف به لموضع ضعف يقين المكاشف رحمة من الله تعالى لعباده العباد ثوابا معجلا وفوق هؤلاء قوم ارتفعت لهم الحجب عن قلوبهم فما احتاجوا إلى ذلك.

وثانيا أن نقل ما يظهر على يدهم ربما استغنى عنه اكتفاء بعظيم مقدارهم ورؤيتهم طلعة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ولزومهم طريق الاستقامة الذي هو أعظم الكرامة مع ما فتح على أيديهم من الدنيا ولا اشر أبوا لها ولا جنحوا نحوها ولا استنزلت واحدا منهم فرضي الله عنهم كانت الدنيا في أيديهم أضعاف ما هي في أيدي أهل دنيانا وكان إعراضهم عنها أشد إعراض وهذا من أعظم الكرامات و لم يكن شوقهم إلا إلى إعلاء كلمة الله تعالى والدعاء إلى جنابه جل وعلا انتهت عبارة السبكي. وسيأتي في المطلب الثالث ذكر كثير من كراماتهم رضي الله تعالى عنهم.

وقال الإمام القشيري في الرسالة لو لم يكن للولي كرامة ظاهرة عليه في الدنيا لم يقدح عدمها في كونه وليا.

قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في شرحها بل قد يكون أفضل ممن ظهر له كرامات لأن الأفضلية إنما هي بزيادة اليقين لا بظهور الكرامة انتهى.

وقال الإمام اليافعي لا يلزم أن يكون من له كرامة من الأولياء أفضل ممن ليس له كرامة منهم بل قد يكون بعض من ليس له كرامة منهم أفضل من بعض من له كرامة رضي الله عنهم أجمعين.

(المطلب الثاني في أنواع الكرامات)

قال التاج السبكي للكرامات أنواع؛ **النوع الأول** إحياء الموتى واستشهد لذلك بقصة أبي عبيد البسري فقد صح أنه غزا ومعه دابته فماتت فسأل الله أن يحييها حتى يرجع إلى بسر فقامت الدابة تنفض أذنيها فلما فرغ من الغزوة ووصل إلى بسر أمر خادمه أن يأخذ السرج عن الدابة فلما أخذه سقطت ميتة.

والحكايات في هذا الباب كثيرة ومن أواخرها أن مفرجا الدماميني وكان من

أولياء الله من أهل الصعيد ذكر أنه أحضرت عنده فراخ مشوية فقال لها طيري فطارت إحياء بإذن الله تعالى. وإن الشيخ الأهدل كانت له هرة ضربها خادمة فماتت فرمى بها في خزانة فسأل عنها الشيخ بعد ليلتين أو ثلاث فقال الخادم لا أدري. فقال الشيخ أما تدري ثم ناداها فجاءت إليه.

وحكاية الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه ووضعه يده على عظام دجاجة كان قد أكلها وقوله لها قومي بإذن الله الذي يحيي العظام وهي رميم فقامت دجاجة سوية حكاية مشهورة.

وذكروا أن الشيخ أبا يوسف الدهماني مات له صاحب فجزع عليه أهله فلما رأى الشيخ شدة جزعهم جاء إلى الميت وقال له قم بإذن الله فقام وعاش بعد ذلك زمنا طويلا.

وحكاية الشيخ زين الدين الفاروقي الشافعي مدرس الشامية شهيرة وقد سمعتها من لفظ ولده ولي الله الشيخ فتح الدين يحيى فحكى لنا ما سنحكيه في ترجمة والده بما حاصله أنه وقع في داره طفل صغير من سطح فمات فدعا الله فأحياه.

ولا سبيل إلى استقصاء ما يحكى من هذا النوع لكثرته وأنا أؤمن به غير إني أقول لم يثبت عندي أن وليا حيي له ميت مات من أزمان كثيرة بعد ما صار عظما رميما ثم عاش بعد ما حيي له زمانا كثيرا هذا القدر لم يبلغنا ولا أعتقده وقع لأحد من الأولياء ولا شك في وقوع مثله للأنبياء عليهم السلام قبل وهذا يكون معجزة ولا تنتهي إليه الكرامة فيجوز أن يجيء نبي قبل اختتام النبوة بإحياء أمم انقضت قبله بدهور ثم إذا عاشوا استمروا في قيد الحياة أزمانا ولا أعتقد الآن أن وليا يحيي لنا الشافعي وأبا حنيفة حياة يبقيان معها زمانا طويلا كما عمرا قبل الوفاة بل ولا زمانا قصيرا يخالطان فيه الإحياء كما خالطاهما قبل الوفاة.

النوع الثاني: كلام الموتى وهو أكثر من النوع قبله وروى مثله عن أبي سعيد

الخراز[١] رضي الله عنه ثم عن الشيخ عبد القادر رضي الله عنه وعن جماعة من آخرهم بعض مشايخ الشيخ الإمام الوالد رحمه الله.

النوع الثالث: انفلاق البحر وجفافه والمشي على الماء وكل ذلك كثير وقد اتفق مثله لشيخ الإسلام وسيد المتأخرين تقي الدين بن دقيق العيد[٢].

الرابع: انقلاب الأعيان كما حكي أن الشيخ عيسى الهتار اليمني أرسل إليه شخص مستهزئا به إنائين ممتلئين خمرا فصب أحدهما في الآخر وقال بسم الله كلوا فأكلوا فإذا هو سمن لم ير مثل لونه وريحه. وقد أكثروا في ذكر نظير هذه الحكاية.

الخامس: انزواء الأرض لهم بحيث حكوا أن بعض الأولياء كان في جامع طرسوس فاشتاق إلى زيارة الحرم فأدخل رأسه في جيبه ثم أخرجه وهو في الحرم والقدر المشترك من الحكايات في هذا النوع بالغ مبلغ التواتر ولا ينكره إلا مباهت.

السادس: كلام الجمادات والحيوانات ولا شك فيه وفي كثرته. ومنه ما حكي أن إبراهيم بن أدهم جلس في طريق بيت المقدس تحت شجرة رمان فقالت له يا أبا إسحاق أكرمني بأن تأكل مني شيئا قالت ذلك ثلاثا وكانت شجرة قصيرة ورمانها حامضا فأكل منها رمانة فطالت وحلا رمانها وحملت في العام مرتين وسميت رمانة العابدين.

وقال الشبلي عقدت أن لا آكل إلا من حلال فكنت أدور في البراري فرأيت شجرة تين فمددت يدي إليها لآكل منها فنادتني الشجرة احفظ عليك عقدك ولا تأكل مني فإني ليهودي فكففت يدي.

السابع: ابراء العلل كما روي عن السري في حكاية الرجل الذي لقيه ببعض الجبال يبرئ الزمني والعميان والمرضى. وكما حكي عن الشيخ عبد القادر أنه قال لصبي مقعد مفلوج أعمى مجذوم قم بإذن الله فقام لا عاهة به.

---

(١) أبو سعيد الخراز أحمد بن عيسى توفي سنة ٢٧٧ هـ. في بغداد.

(٢) ابن دقيق العيد محمد بن علي الشافعي المصري توفي سنة ٧٠٢ هـ.

الثامن: طاعة الحيوانات لهم كما في حكاية الأسد مع أبي سعيد بن أبي الخير الميهني وقبله إبراهيم الخواص بل وطاعة الجمادات كما في حكاية سلطان العلماء شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام[١] وقوله في واقعة الفرنج يا ريح خذيهم.

التاسع: طي الزمان. **العاشر**: نشر الزمان وفي تقرير هذين القسمين عسر على الأفهام وتسليمه لأهله أولى بدين الإسلام والحكايات فيهما كثيرة.

الحادي عشر: استجابة الدعاء وهو كثير جدا وشاهدناه من جماعة.

الثاني عشر: إمساك اللسان عن الكلام وانطلاقه. **الثالث عشر**: جذب بعض القلوب في مجلس كانت فيه في غاية النفرة. **الرابع عشر**: الإخبار ببعض المغيبات والكشف وهو درجات تخرج عن حد العصر. **الخامس عشر**: الصبر على عدم الطعام والشراب المدة الطويلة. **السادس عشر**: مقام التصريف فقد حكي عن جماعة منهم الشيء الكثير وذكر ان بعضهم كان يتبعه المطر وكان من المتأخرين الشيخ أبو العباس الشاطر يبيع الأمطار بالدراهم وكثرت الحكايات عنه في هذا الباب بحيث لم يبق للذهن مساغ في إنكارها.

السابع عشر: القدرة على تناول الكثير من الغذاء. **الثامن عشر**: الحفظ عن أكل الحرام كما حكي عن الحارث المحاسبي أنه كان يرتفع إلى أنفه زفورة من المآكل الحرام فلا يأكله وقيل كان يتحرك له عرق وحكى نظيره عن الشيخ أبي العباس المرسي[٢] وقيل أن بعض الناس امتحنه وأحضر له مأكلا حراما فبمجرد ما وضعه بين يديه قال إن كان المحاسبي يتحرك منه عرق فأنا يتحرك مني عند حضور الحرام سبعون عرقا ونهض من ساعته وانصرف.

التاسع عشر: رؤية المكان البعيد من وراء الحجب كما قيل أن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي كان يشاهد الكعبة وهو ببغداد.

---

(١) عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي توفي سنة ٦٦٠ هـ.

(٢) أبو العباس أحمد بن عمر المرسي المالكي الشاذلي توفي سنة ٦٨٦ هـ.

العشرون: الهيبة التي لبعضهم بحيث مات من شاهده بمجرد رؤيته كصاحب أبي يزيد البسطامي أو بحيث أفحم بين يديه أو اعترف بما لعله كتمه عنه أو غير ذلك وهو كثير.

الحادي والعشرون: كفاية الله إياهم شر من يريد بهم سوءا وانقلابه خيرا كما اتفق للشافعي رضي الله عنه مع هارون الرشيد.

الثاني والعشرون: التطور بأطوار مختلفة وهذا الذي تسميه الصوفية بعالم المثال ويثبتون عالما متوسطا بين عالمي الأجسام والأرواح سموه عالم المثال وقالوا هو ألطف من عالم الأجسام وأكثف من عالم الأرواح وبنوا عليه تجسد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من عالم المثال واستأنسوا بقوله تعالى (**فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا** * مريم: ١٧). ومنه ما حكي عن قضيب البان الموصلي[١] وكان من الأبدال أنه أتهمه بعض من لم يره يصلي بترك الصلاة وشدد النكير عليه فتمثل له على الفور في صور مختلفة وقال في أي هذه الصور ما رأيتني أصلي ولهم من هذا النوع حكايات.

ومما اتفق لبعض المتأخرين أنه وجد فقير أشيخا كبيرا يتوضأ في القاهرة بالمدرسة السيوفية من غير ترتيب فقال له يا شيخ تتوضأ بلا ترتيب فقال ما توضأت إلاّ مرتبا ولكن أنت ما تبصر لو أبصرت لأبصرت هكذا وأخذ بيده وأراه الكعبة ثم مر به إلى مكة فوجد نفسه بمكة وأقام بها سنين في حكاية يطول شرحها.

الثالث والعشرون: اطلاع الله إياهم على ذخائر الأرض كما في حكاية أبي تراب لما ضرب برجله الأرض فإذا عين ماء زلال. وعن بعضهم أيضا أنه عطش في طريق الحج فلم يجد ماء عند أحد فوجد فقيرا قد ركز عكازة في موضع والماء ينبع من تحت العكازة فملأ قربته ودل الحجيج عليه فجاؤا فملؤا أوانيهم من ذلك الماء.

الرابع والعشرون: ما سهل لكثير من العلماء من التصانيف في الزمن اليسير

---

(١) قضيب البان حسن الموصلي توفي سنة ٥٧٠ هـ.

بحيث وزع زمان تصنيفهم على زمان اشتغالهم بالعلم إلى أن ماتوا فوجد لا يفي به نسخا فضلا عن التصنيف وهذا قسم من نشر الزمان الذي قدمناه وقد اتفق النقلة أن عمر الشافعي رحمه الله لا يفي بعشر ما أبرزه من التصانيف مع ما ثبت عنه من تلاوة القرآن كل يوم ختمة بالتدبر وفي رمضان كل يوم ختمتين كذلك واشتغاله بالدرس والفتاوى والذكر والفكر والأمراض التي كانت تعتروه بحيث لم يخل رضي الله عنه من علة أو علتين أو أكثر وربما اجتمع فيه ثلاثون مرضا.

وكذلك إمام الحرمين أبو المعالي الجويني رحمه الله حسب عمره وما صنفه مع ما كان يلقيه على الطلبة ويذكر به في مجالس التذكير فوجد لا يفي به. وقرأ بعضهم ثماني ختمات في اليوم الواحد وأمثال هذا كثير. وهذا الإمام الرباني الشيخ محي الدين النووي رحمه الله وزع عمره على تصانيفه فوجد أن لو كان ينسخها فقط لما كفاها ذلك العمر فضلا عن كونه يصنفها فضلا عما كان يضمه إليها من أنواع العبادات وغيرها. وهذا الشيخ الإمام الوالد رحمه الله إذا حسب ما كتبه من التصانيف مع ما كان يواظبه من العبادات وعليه من الفوائد ويذكره في الدرس من العلوم ويكتبه على الفتاوى ويتلوه من القرآن ويشتغل به من المحاكمات عرف أن عمره قطعا لا يفي بثلث ذلك فسبحان من يبارك لهم ويطوي لهم وينشر لهم.

الخامس والعشرون: عدم تأثير المسمومات وأنواع المتلفات فيهم كما اتفق ذلك للشيخ الذي قال له بعض الملوك إما أن تظهر لي آية وإلا قتلت الفقراء وكان بقربه بعر جمال فقال انظر فإذا هي ذهب وعنده كوز ليس فيه ماء فأخذه ورمى به في الهواء فأخذه ورده ممتلئا ماء وهو منكس لم يخرج منه قطرة فقال الملك هذا سحر وأوقد نارا عظيمة ثم أمرهم بالسماع فلما دار فيهم الوجد دخل الشيخ والفقراء في النار ثم خرج فخطف ابنا صغيرا للملك فدخل به وغاب ساعة بحيث كاد الملك يحترق على ولده ثم خرج به وفي إحدى يدي الصغير تفاحة وفي الأخرى رمانة فقال له أبوه أين كنت قال في بستان، فقال جلساء الملك هذه صنعة لا حقيقة لها، فقال

له الملك إن شربت هذا القدح من السم صدقتك فشربه وتمزقت ثيابه عليه ثم ألقوا عليه غيرها فتمزقت ثم هكذا مرارا إلى أن ثبتت عليه الثياب وانقطع عنه عرق كان أصابه و لم يؤثر فيه السم ضررا.

وأظن أنواع كراماتهم تربو على المائة وفيما أوردته دلالة على ما أهملته ومقنع وبلاغ لمن زالت غفلته وما من نوع من هذه الأنواع إلاّ وقد كثرت فيه الأقاصيص والروايات وشاعت فيه الأخبار والحكايات وماذا بعد الحق إلاّ الضلال. ولا بعد بيان الهدى إلا المحال. وليس للموفق غير التسليم. وسؤال ربه أن يلحقه بهؤلاء الصالحين فإنهم على صراط مستقيم. ولو حاولنا حصر ما جر آياتهم لضيقنا الأنفاس. وضيعنا القرطاس. انتهت عبارة طبقات التاج السبكي باختصار.

(المطلب الثالث) في ذكر جملة جميلة
من كرامات أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

اعلم أن كرامات غير الصحابة من أتى بعدهم إلى الآن كثيرة جدا لا يمكن حصرها بوجه من الوجوه لكثرتها بحيث لو جمع ما يقع منها في اليوم الواحد لكان في مجلدات كثيرة وقد أفرد فيها العلماء تآليف شتى بين مطولات ومختصرات ومنهم من فرقها في كتب التصوف والمواعظ والمناقب والطبقات والتواريخ فضلا عما يتداوله الناس منها ويرويه الخلف عن السلف ويشاهده في كل عصر ومصر الجم الغفير من الناس ويتحدثون به في مجالسهم ومجتمعاتهم ويرويه بعضهم عن بعض من كبار وصغار ونساء ورجال في كل زمان ومكان وقد ذكرت في هذا المطلب كرامات الصحابة فقط رضي الله عنهم وجمعت منها ما قدرت عليه من الخصائص الكبرى وغيرها.

(فمن كرامات أبي بكر رضي الله عنه)

ما أخرجه الشيخان عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أن أبا بكر جاء بثلاثة يعني أضيافا وذهب تعشى عند النبي صلّى الله عليه وسلّم ثم لبث فجاء

بعد ما مضى من الليل ما شاء الله فقالت له امرأته ما حبسك عن أضيافك قال أو ما عشيتهم قالت أبوا حتى تجيء قال والله لا أطعمه أبدا ثم قال كلوا، فقال قائلهم وأيم الله ما كنا نأخذ من لقمة الا ربا من أسفلها أكثر منها فشبعنا وصارت أكثر مما كانت قبل فنظر إليها أبو بكر فإذا هي كما هي وأكثر فقال لامرأته يا أخت بني فراس ما هذا قالت لا وقرة عيني لهي الآن أكثر مما كانت قبل ذلك بثلاث مرات فأكل منها أبو بكر وقال إنما كان ذلك من الشيطان يعني يمينه ثم حملها إلى رسول الله صلى الله علي وسلم فأصبحت عنده وكان بيننا وبين قوم عهد فمضى الأجل فتفرقنا اثنى عشر رجلا مع كل رجل منهم ناس الله أعلم كم مع كل رجل غير أنه بعثهم فأكلوا منها أجمعون.

وصح من حديث عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان نحلها جداد عشرين وسقا من ماله بالغابة فلما حضرته الوفاة قال والله يا بنية ما من الناس أحب إلي غنى بعدي منك ولا أعز علي فقرا بعدي منك وإني كنت قد نحلتك جداد عشرين وسقا فلو كنت حزتيه كان لك وإنما هو اليوم مال وارث وإنما هما أخواك وأختاك فاقتسموه على كتاب الله. قالت عائشة يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته إنما هي أسماء فمن الأخرى فقال أبو بكر ذو بطن أرها جارية فكان ذلك.

قال التاج السبكي وفيه كرامتان لأبي بكر رضي الله عنه إحداهما إخباره أنه يموت في ذلك المرض حيث قال وإنما هو اليوم مال وارث. والثانية إخباره بمولود يولد له وهو جارية والسر في إظهار ذلك استطابة قلب عائشة رضي الله عنها في استرجاع ما وهبه لها و لم تقبضه واعلامها بمقدار ما يخصها لتكون على ثقة فأخبرها بأنه مال وارث وأن معها أخوين وأختين ويدل على أنه قصد استطابة قلبها ما مهده أولا من أنه لا أحد أحب إليه غنى بعده منها وقوله إنما هما أخواك وأختاك أي ليس ثم غريب ولا ذو قرابة نائية وفي هذا من الترفق ما ليس يخفى فرضي الله عنه وأرضاه.

(ومن كرامات عمر رضي الله عنه)

ما أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه مر بالبقيع فقال السلام عليكم يا أهل القبور أخبار ما عندنا أن نساءكم قد تزوجن ودياركم قد سكنت وأموالكم قد فرقت فأجابه هاتف يا عمر بن الخطاب أخبار ما عندنا ما قدمنا فقد وجدناه وما أنفقنا فقد ربحناه وما خلفنا فقد خسرناه.

وأخرج ابن عساكر عن يحيى بن أيوب الخزاعي قال سمعت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذهب إلى قبر شاب فناداه يا فلان (**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ** * الرحمن: ٤٦) فأجابه الفتى من داخل القبر يا عمر قد أعطانيهما ربي في الجنة مرتين.

قال التاج السبكي ومنها على يد أمير المؤمنين عمر الفاروق الذي قال فيه النبي صلّى الله عليه وسلّم (**لقد كان فيمن قبلكم ناس محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر**).

قصة سارية ابن زنيم الخلجي كان عمر رضي الله عنه قد أمرّ سارية على جيش من جيوش المسلمين وجهزه على بلاد فارس فاشتد على عسكره الحال على باب نهاوند وهو يحصرها وكثرت جموع الأعداء وكاد المسلمون ينهزمون وعمر رضي الله عنه بالمدينة فصعد المنبر وخطب ثم استغاث في أثناء خطبته بأعلى صوته يا سارية الجبل من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم. فاسمع الله عز وجل سارية وجيوشه أجمعين وهم على باب نهاوند صوت عمر فلجؤا إلى الجبل وقالوا هذا صوت أمير المؤمنين فنجوا وانتصروا هذا ملخصها.

قال رحمه الله وسمعت الشيخ الإمام الوالد يعني أباه تقي الدين السبكي[١] رحمه الله يزيد فيها أن عليا رضي الله عنه كان حاضرا فقيل له ما هذا الذي يقوله أمير المؤمنين وأين سارية منا الآن ففال علي كرم الله وجهه دعوه فما دخل في أمر

(١) تقي الدين أبو الحسن علي السبكي توفي سنة ٧٥٦ هـ. في القاهرة.

إلا وخرج منه ثم تبين الحال بالآخرة. قال التاج قلت عمر رضي الله عنه لم يقصد إظهار هذه الكرامة وإنما كشف له ورأى القوم عيانا وكان كمن هو بين أظهرهم حقيقة وغاب عن مجلسه بالمدينة واشتغلت حواسه بما دهم المسلمين بنهاوند فخاطب أميرهم خطاب من هو معه إذ هو معه حقيقة أو كمن هو معه.

واعلم أن ما يخرجه الله على لسان أوليائه من هذه الأمور يحتمل أن يعرفوا بها ويحتمل أن لا يعرفوا بها وهي كرامة على كلا الحالين. قال ومنها قصة الزلزلة قال إمام الحرمين رحمة الله عليه في كتاب الشامل أن الأرض زلزلت في زمن عمر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه والأرض ترجف وترتج ثم ضربها بالدِّرة وقال قري، ألم أعدل عليك فاستقرت من وقتها. قال وكان عمر رضي الله عنه أمير المؤمنين على الحقيقة في الظاهر والباطن وخليفة الله في أرضه وفي ساكن أرضه فهو يعزر الأرض ويؤدبها بما يصدر منها كما يعزر ساكنيها على خطيئاتهم.

قال ويقرب من قصة الزلزلة قصة النيل وذلك أن النيل كان في الجاهلية لا يجري حتى يلقى فيه عذراء في كل عام فلما جاء الإسلام وجاء وقت جريان النيل فلم يجر أتى أهل مصر عمرو بن العاص فأخبروه أن لنيلهم سنة وهو لا يجري حتى يلقى فيه جارية بكر بين أبويها ويجعل عليها من الحلل والثياب أفضل ما يكون فقال لهم عمرو بن العاص رضي الله عنه أن هذا لا يكون وأرى الإسلام يهدم ما قبله فأقاموا ثلاثة أشهر لا يجري قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء فكتب عمرو بذلك إلى عمر بن الخطاب فكتب إليه عمر قد أصبت أن الإسلام يهدم ما قبله وقد بعثت إليك بطاقة فألقها في النيل ففتح عمرو البطاقة قبل إلقائها فإذا فيها: من عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد: فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك. فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها فأصبحوا وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا في ليلة.

قال ومنها أنه عرض جيشا إلى الشام فعرضت له طائفة فأعرض عنهم ثم عرضت عليه ثانيا فأعرض عنهم ثم عرضت ثالثا فأعرض فتبين بالآخرة أنه كان فيهم قاتل عثمان وقاتل علي رضي الله عنهما.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال ما سمعت عمر يقول لشيء قط إني لأظنه كذا إلا كان كما يظن ذكره الإمام النووي في رياض الصالحين.

(ومن كرامات عثمان رضي الله عنه)

ما ذكره التاج السبكي في الطبقات وغيره أنه دخل إليه رجل كان قد لقي امرأة في الطريق فتأملها فقال له عثمان رضي الله عنه يدخل أحدكم وفي عينيه أثر الزنا. فقال الرجل أوحي بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لا، ولكنها فراسة المؤمن وإنما أظهر عثمان هذا تأديبا لهذا الرجل وزجرا له عن شيء صنعه. قال واعلم إن المرء إذا صفا قلبه صار ينظر بنور الله فلا يقع بصره على كدر أوصاف إلا عرفه ثم تختلف المقامات فمنهم من يعرف أن هناك كدرا ولا يدري ما أصله ومنهم من يكون أعلى من هذا المقام فيدري أصله كما اتفق لعثمان رضي الله عنه فإن تأمل الرجل للمرأة أورثه كدرا فأبصره عثمان وفهم سببه وهنا دقيقة وهو أن كل معصية لها كدر وتورث نكتة سوداء في القلب بقدرها فيكون رَيْنا على ما قال تعالى (**كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** * المطففين: ١٤) إلى أن يستحكم والعياذ بالله فيظلم القلب وتغلق أبواب النور فيطبع عليه فلا يبقى سبيل إلى توبته على ما قال تعالى (**طُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ** * التوبة: ٨٧) إذا عرفت هذا فالصغيرة من المعاصي تورث كدرا صغيرا بقدرها قريب المحو بالاستغفار وغيره من المكفرات ولا يدركه إلا ذو بصر حاد كعثمان رضي الله عنه حيث أدرك هذا الكدر اليسير فإن تأمل المرأة من أيسر الذنوب وأدركه عثمان وعرف أصله وهذا مقام عال يخضع له كثير من المقامات وإذا انضم إلى الصغيرة صغيرة أخرى ازداد الكدر وإذا تكاثرت الذنوب بحيث وصلت والعياذ بالله إلى ما وصفناه من ظلام القلوب صار بحيث

يشاهد كل ذي بصر فمن رأى متضمخا بالمعاصي قد أظلم قلبه و لم يتفرس فيه ذلك فليعلم أنه إنما لم يبصره لما عنده أيضا من العمى المانع للأبصار وإلا فلو كان بصيرا لابصر هذا الظلام الداجي فبقدر بصره يبصر فافهم ما نتحفك به والله أعلم انتهى.

وأخرج البارودي وابن السكن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قام جهجاه الغفاري إلى عثمان رضي الله عنه وهو على المنبر فأخذ عصاه فكسرها فما حال على جهجاه الحول حتى أرسل الله في يده الآكلة فمات منها.

وأخرج ابن السكن من طريق فليح بن سليمان عن عمته عن أبيها وعمها أنهما حضرا عثمان فقام إليه جهجاه الغفاري حتى أخذ القضيب من يده فوضعها على ركبته فكسرها فصاح به الناس فرمى الله الغفاري في ركبته فلم يحل عليه الحول حتى مات.

(ومن كرامات علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

ما أخرجه البيهقي عن سعيد بن المسيب قال دخلنا مقابر المدينة مع علي رضي الله عنه فنادى يا أهل القبور السلام عليكم ورحمة الله تخبرونا بأخباركم أم نخبركم قال فسمعنا صوتا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أمير المؤمنين خبرنا عما كان بعدنا فقال علي أما أزواجكم فقد تزوجن وأما أموالكم فقد اقتسمت والأولاد فقد حشروا في زمرة اليتامى والبناء الذي شيدتم فقد سكنه أعداؤكم فهذه أخبار ما عندنا، فما أخبار ما عندكم فأجابه ميت قد تخرقت الأكفان وانتثرت الشعور وتقطعت الجلود وسالت الأحداق على الخدود وسالت المناخر بالقيح والصديد وما قدمناه وجدناه وما خلفناه خسرناه ونحن مرتهنون.

وقال التاج في الطبقات روي أن عليا وولديه الحسن والحسين رضي الله عنهم سمعوا قائلا يقول في جوف الليل:

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم * يا كاشف الضر والبلوى مع السقم

قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا * وأنت يا حي يا قيوم لم تنم

هب لي بجودك فضل العفو عن زللي * يا من إليه رجاء الخلق في الحرم

إن كان عفوك لا يرجوه ذو خطأ * فمن يجود على العاصين بالنعم

فقال علي رضي الله عنه لواحد اطلب لي هذا القائل فأتاه فقال أجب أمير المؤمنين فأقبل يجر شقه حتى وقف بين يديه فقال قد سمعت خطابك فما قصتك فقال إني كنت رجلا مشغولا بالطرب والعصيان وكان والدي يعظني ويقول إن لله سطوات ونقمات وما هي من الظالمين ببعيد فلما ألح في الموعظة ضربته فحلف ليدعون علي ويأتي مكة مستغيثا إلى الله ففعل ودعا فلم يتم دعاءه حتى جف شقي الأيمن فندمت على ما كان مني وداريته وأرضيته إلى أن ضمن لي أنه يدعو لي حيث دعا علي فقدمت إليه ناقة فأركبته فنفرت الناقة ورمت به بين صخرتين فمات هناك فقال له علي رضي الله عنه رضي الله عنك إن كان أبوك رضي عنك فقال والله كذلك فقام علي كرم الله وجهه وصلى ركعات ودعا بدعوات أسرها إلى الله عز وجل ثم قال يا مبارك قم فقام ومشى وعاد إلى الصحة كما كان ثم قال لولا أنك حلفت أن أباك رضي عنك ما دعوت لك.

(ومن كرامات حمزة رضي الله عنه)

ما أخرجه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قتل حمزة جنبا فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**غسلته الملائكة**).

وأخرج ابن سعد عن الحسن قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**لقد رأيت الملائكة تغسل حمزة**).

وأخرج البيهقي عن الواقدي أن فاطمة الخزاعية قالت زرت قبر حمزة فقلت السلام عليك يا عم رسول الله فسمعت كلاما رد عليّ وعليكم السلام ورحمة الله.

ورأيت في كتاب الباقيات الصالحات للعارف بالله سيدي الشيخ محمود الكردي الشيخاني نزيل المدينة المنورة أنه زار قبر سيدنا حمزة رضي الله عنه فلما سلم عليه سمع بأذنه سماعا محققا رد السلام عليه من القبر وأمره أن يسمي ابنه باسمه فجاءه

غلام فسماه حمزة. وذكر فيه أيضا أنه سلم على النبي صلّى الله عليه وسلّم في مواجهة الحجرة الشريفة فرد عليه السلام سمع ذلك سماعا محققا لا شك فيه.

وذكر الشيخ عبد الغني النابلسي[١] في شرح صلاة الغوث الجيلاني أنه اجتمع بالشيخ محمود المذكور في المدينة المنورة سنة خمس بعد المائتين والألف فدعاه إلى بيته وأكرمه وأخبره أنه اجتمع بالنبي صلّى الله عليه وسلّم يقظة مرارا وأنه صدقه بذلك لما رأى من علامات صدقه وقد استوفيت الكلام على رؤية النبي صلّى الله عليه وسلّم يقظة ومناما في كتابي سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين بما لا أظن أنه اجتمع قبله في كتاب.

(ومن كرامات عبد الله بن جحش رضي الله عنه)

ما أخرجه ابن سعد والحاكم والبيهقي عن سعيد بن المسيب أن رجلا سمع عبد الله بن جحش يقول قبل أحد بيوم اللّهمّ إني أقسم عليك أن ألقى العدو غدا فيقتلوني ثم يبقروا بطني ويجدعوا أنفي وأذني ثم تسألني بم ذلك فأقول فيك. فلما التقوا قتل وفعل به ذلك. فقال الرجل الذي سمعه إني لأرجو أن يبرّ الله آخر قسمه كما أبرّ أوله.

(ومن كرامات عبد الله والد جابر رضي الله عنهما)

ما أخرجه الشيخان عن جابر قال لما قتل أبي يوم أحد بكت عمتي فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**لا تبكيه أو لِمَ تبكيه فما زالت الملائكة تظله بأجنحته حتى رفعتموه**). أخرج البيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال أخرج أبي من قبره في خلافة معاوية فأتيته فوجدته على النحو الذي تركته لم يتغير منه شيء فواريته. وأخرج ابن سعد والبيهقي وأبونعيم من وجه آخر عن جابر قال استصرخنا إلى قتلانا يوم أحد وذلك حين أجرى معاوية العين فأتيناهم فأخرجناهم رطابا تثنى

([١]) عبد الغني بن إسماعيل النابلسي توفي سنة ١١٤٣ هـ. [١٧٣١ م.]

أطرافهم على رأس أربعين سنة وأصابت المسحاة قدم حمزة فأنبعثت دما.

وأخرجه البيهقي من طرق أخرى ومنها طريق الواقدي عن شيوخه وفيه فوجد عبد الله والد جابر ويده على جرحه فأميطت يده عن جرحه فانبعث الدم فردت إلى مكانها فسكن الدم، قال جابر فرأيت أبي في حفرته كأنه نائم والنمرة التي كفن فيها كما هي والحرمل على رجليه على هيئته وبين ذلك ست وأربعون سنة وأصابت المسحاة رِجل رَجل منهم فانبعثت دما فقال أبوسعيد الخدري لا ينكر بعد هذا منكر ولقد كانوا يحفرون التراب فحفروا نثرة من تراب ففاح عليهم ريح المسك انتهى.

(ومن كرامات العباس رضي الله عنه)

ما ذكره التاج السبكي وغيره أن الأرض أجدبت في زمن عمر فخرج بالعباس رضي الله عنهما يستسقي فأخذ بضبعيه وأشخصه قائما ثم شخص إلى السماء وقال اللّهمّ إنا نتقرب إليك بعم نبيك فإنك تقول وقولك الحق (**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا** * الكهف: ٨٢) فحفظتهما لصلاح أبيهما فاحفظ اللّهمّ نبيك في عمه فقد دنونا به إليك متشفعين ومستغفرين. ثم أقبل على الناس فقال (**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا**) إلى قوله (**أَنْهَارًا** * نوح: ١٠-١٢) والعباس قد طال غمه وعيناه تنضحان وسبابته تجول على صدره وهو يقول اللّهمّ أنت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ودق الكبير وارتفعت الشكوى وأنت تعلم السر وأخفى، اللّهمّ فأغثهم بغياثك فقد تقرب بي القوم لمكاني من نبيك عليه الصلاة والسلام. فنشأت طريدة من سحاب وقال الناس ترون ترون ثم تلامت واستتمت ومشت فيها ريح ثم هرت ودرت فما برح القوم حتى قلصوا المآزر وخاضوا الماء إلى الركب ولاذ الناس بالعباس يمسحون رداءه ويقولون هنيئا لك ساقي الحرمين فأمرع الله الحباب وأخصب البلاد ورحم العباد.

وقال ابن الأثير في أسد الغابة استقى عمر ابن الخطاب بالعباس رضي الله عنهما عام الرمادة لما اشتد القحط فأغاث الله تعالى به وأخصبت الأرض فقال عمر هذا والله الوسيلة إلى الله.

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

سأل الإمام وقد تتابع جدبنا * فسقى الغمام بغرة العباس

عم النبي وصنو والده الذي * ورث النبي بذاك دون الناس

أحيا الإله به البلاد فأصبحت * مخضرة الأجناب بعد اليأس

ولما سقى الناس طفقوا يتمسحون بالعباس ويقولون هنيئا لك ساقي الحرمين.

(ومن كرامات سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه)

أخرج الشيخان والبيهقي من طريق عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال شكا ناس من أهل الكوفة سعد بن ابي وقاص إلى عمر فبعث معه من يسأل عنه بالكوفة فطيف به في مساجد الكوفة فلم يُقَل له إلا خير حتى انتهى إلى مسجد، فقال رجل يدعى أبا سعدة أما إذ أنشدتنا فإن سعدا كان لا يقسم بالسوية ولا يسير بالسرية ولا يعدل في القضية، فقال سعد اللّهمّ إن كان كاذبا فأطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن. قال ابن عمير فرأيته شيخا كبيرا قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وقد افتقر يتعرض للجواري في الطريق يغمزهن فإذا قيل له كيف أنت يقول شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد.

وأخرج ابن عساكر من طريق مصعب بن سعد أن سعدا خطبهم بالكوفة فقال أيّ أمير كنت لكم فقال رجل اللّهمّ إنك كنت ما علمتك لا تعدل في الرعية ولا تقسم بالسوية ولا تغزو في السرية فقال سعد اللّهمّ إن كان كاذبا فأعم بصره وعجل فقره وأطل عمره وعرضه للفتن. فما مات حتى عمي وافتقر حتى سأل الناس وأدرك فتنة المختار الكذاب فقتل فيها.

وأخرج الطبراني وأبونعيم وابن عساكر عن قبيصة بن جابر قال هجا رجل

من المسلمين سعد بن أبي وقاص فقال سعد اللّهمّ كف لسانه ويده عني بما شئت فرمي ذلك الرجل يوم القادسية فقطع لسانه وقطعت يده فما تكلم كلمة حتى مات.

وأخرج ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن مغيرة عن أمه قالت كانت امرأة قامتها قامة صبي فقالوا هذه ابنة سعد غمست يدها في طهوره فقال يضع الله لك قوتك فما شبت بعد. وأخرج ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن ميناء عبد الرحمن بن عوف أن امرأة كانت تطلع على سعد فينهاها فلم تنته فاطلعت يوما فقال شاه وجهك فعاد وجهها في قفاها.

وأخرج الحاكم عن قيس قال شتم رجل عليا فقال سعد اللّهمّ إن هذا يشتم وليا من أوليائك فلا تفرق هذا الجمع حتى تريهم قدرتك. فوالله ما تفرقنا حتى ساخت به دابته فرمته على هامته في تلك الأحجار فانفلق دماغه ومات.

وأخرج الحاكم عن مصعب بن سعد أن سعدا دعا على رجل فجاءته ناقة فقتلته فاعتق سعد نسمته وحلف أن لا يدعو على أحد.

وأخرج الحاكم عن ابن المسيب أن مروان قال إن هذا المال مالنا نعطيه من شئنا فرفع سعد يديه وقال أفادعو فوثب مروان فاعتنقه وقال أنشدك الله أبا إسحاق لا تدع فإنما هو مال الله.

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن يحيى بن عبد الرحمن بن لبيبة عن أبيه عن جده قال دعا سعد بن أبي وقاص فقال يا رب إن لي بنين صغار فأخر عني الموت حتى يبلغوا فأخر عنه الموت عشرين سنة أي بعد مرض شديد كاد يموت فيه.

وأخرج الطبراني عن عامر بن سعد قال بينما سعد يمشي إذ مر برجل وهو يشتم عليا وطلحة والزبير فقال له سعد إنك تشتم أقواما قد سبق لهم من الله ما سبق فوالله لتتركن شتمهم أو لأدعون الله عليك فقال تخوفني كأنك نبي فقال سعد اللّهمّ إن كان هذا يشتم أقواما قد سبق لهم منك ما سبق فاجعله اليوم نكالا. فجاءت بُخْتِية فأفرج الناس لها فتحبطته فرأينا الناس يتبعون سعدا ويقولون استجاب الله لك

يا أبا إسحاق. وإنما كان سعد رضي الله عنه مستجاب الدعوة لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم دعا له بذلك فقد أخرج الترمذي والحاكم وصححه عن سعد أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**اللّهمّ استجب لسعد إذا دعاك**). فكان لا يدعو إلا استجيب وقد تقدم ذلك.

(ومن كرامات سعيد بن زيد رضي الله عنه)

روى الشيخان عن عروة بن الزبير قال أن سعيد بن زيد رضي الله عنه خاصمته أروى بنت أويس إلى مروان بن الحكم وادعت أنه أخذ شيئا من أرضها فقال سعيد إني كنت آخذ من أرضها شيئا بعد الذي سمعت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال ماذا سمعت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول (**من أخذ شبرا من الأرض ظلما طوقه إلى سبع أرضين**) فقال له مروان لا أسألك بينة بعد هذا فقال سعيد اللّهمّ إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها. قال فما ماتت حتى ذهب بصرها وبينما هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت. وفي رواية لمسلم عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمرو بمعناه رآها عمياء تلتمس الجدر تقول أصابتني دعوة سعيد وأنها مرت على بئر في الدار التي خاصمته فيها فوقعت فيها وكانت قبرها.

(ومن كرامات عبد الله بن عمر رضي الله عنهما)

كما قال السبكي في الطبقات أنه قال للأسد الذي منع الناس الطريق تنحَّ فبصبص بذنبه وذهب.

(ومن كرامات خالد بن الوليد رضي الله عنه)

أخرج أبو يعلى[١] والبيهقي وأبو نعيم عن أبي السفر قال نزل خالد بن الوليد الحيرة فقالوا له احذر السم لا تسقيكه الأعاجم فقال ائتوني به فأخذه بيده ثم التهمه

---

(١) أبو يعلى أحمد بن علي توفي سنة ٣٠٧ هـ. [٩٢٠ م.] في الموصل.

وقال بسم الله فلم يضره شيئا.

وأخرج أيضا عن الكلبي[١] قال لما أقبل خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر يريد الحيرة بعثوا إليه عبد المسيح ومعه سم ساعة. فقال له خالد هاته فأخذه في راحته ثم قال **بسم الله وبالله رب الأرض والسماء بسم الله الذي لا يضر مع اسمه داء.** ثم أكل منه فانصرف عبد المسيح إلى قومه فقال يا قوم أكل سم ساعة فلم يضره صالحوهم فهذا أمر مصنوع لهم.

وأخرج ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن خيثمة قال أتى خالد بن الوليد رجل معه زق خمر فقال اللّهمّ اجعله عسلا فصار عسلا.

وأخرج من هذا الوجه أنه مر رجل بخالد رضي الله عنه ومعه زق خمر فقال ما هذا قال خل، قال جعله الله خلا. فنظروا فإذا هو خل وقد كان خمرا.

وأخرج ابن سعد عن محارب بن دثار قال قيل لخالد بن الوليد أن في عسكرك من يشرب الخمر، فجال في العسكر فلقي مع رجل زق خمر وقال ما هذا قال خل، فقال خالد اللّهمّ اجعله خلا ففتحه الرجل فإذا هو خل فقال هذه دعوة خالد.

(ومن كرامات سعد بن معاذ رضي الله عنه)

أخرج أبونعيم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن سعد بن معاذ لما مات بعد الخندق خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مسرعا حتى أنه لينقطع شسع الرجل فما يرجع ويسقط رداؤه فما يلوي عليه وما يعيج أحد على أحد فقالوا يا رسول الله إن كدت لتقطعنا قال (**خشيت أن تسبقنا الملائكة إلى غسله كما سبقتنا إلى غسل حنظلة**).

وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق رماه حبان بن العرقة في الأكحل فضرب النبي صلّى الله عليه وسلّم خيمته في المسجد ليعوده من قريب فلما رجع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الخندق وضع

---

(١) الكلبي محمد بن صائب توفي سنة ١٤٦ هـ. [٧٦٤ م.] في كوفة.

السلاح واغتسل فأتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعته اخرج إليهم. قال النبي صلّى الله عليه وسلّم فأين فأشار إلى بني قريظة فأتاها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فنزلوا على تفويض الحكم إلى سعد قال فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم أموالهم ثم قال سعد اللّهمّ إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إليّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه، اللّهمّ فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فإن بقي من حرب قريش شيء فأبقني لهم حتى أجاهدهم فيك وإن كنت وضعت الحرب فأفجرها واجعل موتي فيها فانفجرت في ليلته فمات منها.

وأخرج البيهقي عن جابر رضي الله عنه قال رمي سعد بن معاذ يوم الأحزاب فقطعوا أكحله فنزفه الدم، فقال اللّهمّ لا تخرج نفسي حتى تقر عيني من بني قريظة فاستمسك عرقه فما قطر منه قطرة حتى نزلوا على حكمه فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات. وأخرج البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في سعد بن معاذ تحرك له العرش وشيع جنازته سبعون ألف ملك.

وأخرج عن جابر رضي الله عنه قال جاء جبريل إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال من هذا العبد الصالح الذي مات فتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش فخرج فإذا سعد بن معاذ قد مات.

وأخرج البيهقي عن رافع الزرقي أخبرني من شئت من رجال قومي إن جبريل أتى النبي صلّى الله عليه وسلّم في جوف الليل معتجرا بعمامة من إستبرق فقال من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش فقام مبادرا إلى سعد بن معاذ فوجده قد قبض.

وأخرج البيهقي عن الحسن البصري قال اهتز له عرش الرحمن فرحا بروحه.

وأخرج ابن سعد عن سلمة ابن أسلم بن حريش[١] قال دخل رسول الله صلّى

---

(١) محمد بن سعد كاتب الواقدي توفي سنة ٢٣٠ هـ. [٨٤٥ م.] في البصرة.

الله عليه وسلّم وما في البيت أحد إلا سعد مسجى فرأيته يتخطى وأومأ إليّ قف فوقفت ورددت من ورائي وجلس ساعة ثم خرج فقلت يا رسول الله ما رأيت أحدا وقد رأيتك تتخطى فقال ما قدرت على مجلس حتى قبض لي ملك من الملائكة أحد جناحيه. وأخرج أبونعيم عن الأشعث بن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص قال قبض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذ ركبتيه فقال (**دخل ملك لم يجد مجلسا فأوسعت له فلما حملوا جنازته وكان من أعظمهم وأطولهم**) قال قائل من المنافقين ما حملنا نعشا أخف من اليوم فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**لقد شهده سبعون ألفا من الملائكة ما وطئوا الأرض قط**).

وأخرج ابن سعد عن محمود بن لبيد قال قال القوم يا رسول الله ما حملنا ميتا أخف علينا من سعد فقال ما يمنعكم أن يخف عليكم وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قط قبل يومهم قد حملوه معكم.

وأخرج ابن سعد وأبونعيم من طريق محمد بن المنكدر عن محمد بن شرحبيل ابن حسنة قال قبض إنسان يومئذ بيده من تراب قبره قبضة فذهب بها ثم نظر إليها بعد ذلك فإذا هي مسك فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**سبحان الله سبحان الله**) حتى عرف ذلك في وجهه فقال (**الحمد لله لو كان أحد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ثم فرج الله عنه**).

وأخرج ابن سعد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا فترة من تراب.

(ومن كرامات عاصم بن ثابت وخبيب رضي الله عنهما)

أخرج البخاري والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعثا وأمّر عليهم عاصم بن ثابت فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم حتى لحقوهم فلجأ عاصم وأصحابه إلى فدفد وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا لكم

العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلا فقال عاصم أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر اللّهمّ أخبر عنا نبيك فرموهم بالنبل حتى قتلوا عاصما في سبعة نفر وبقي خبيب وزيد بن الدَّثِنَّة ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق فنزلوا إليهم فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث هذا أول الغدر فأبى أن يصحبهم فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم أسيرا حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد بها فأعارته قالت فغفلت عن صبي لي فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فزعا عرف ذلك مني وفي يده الموسى فقال أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله وكانت تقول ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب؛ لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثق في الحديد وما كان إلا رزقا رزقه الله فلما خرجوا به من الحرم قال دعوني أركع ركعتين فركع ثم قال اللّهمّ أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا. واستجاب الله لعاصم يوم أصيب فأخبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم أصيبوا خبرهم وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه وكان عاصم قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته وسلم فلم يقدروا على أن يقطعوا منه شيئا. والدبر هي الزنابير.

وأخرج نحوه البيهقي وأبونعيم من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب ومن طريق عروة وزاد أن خبيبا قال اللّهمّ إني لا أجد رسولا إلى رسولك فبلغه عني السلام فجاء جبريل إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فأخبره ذلك فزعموا أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال وهو جالس في ذلك اليوم وعليه السلام خبيب قتلته قريش.

وأخرج البيهقي من طريق ابن إسحاق[١] حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال

---

(١) محمد بن إسحاق توفي سنة ١٥١ هـ. [٧٦٨ م.] في بغداد.

كانت هذيل حين قتلوا عاصم بن ثابت أرادوا رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد وقد كانت نذرت حين أصيب ابناها بأحد لئن قدرت على رأسه لتشربن في قحفه الخمر فمنعتهم الدبر فلما حالت بينهم وبينه قالوا دعوه حتى يمسي فيذهب عنه فنأخذه فبعث الله الوادي فاحتمل عاصما فذهب به وكان عاصم أعطى الله عهدا لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك أبدا في حياته فمنعه الله في وفاته مما امتنع منه في حياته.

وأخرج البيهقي وأبونعيم عن بريدة بن سفيان الأسلمي أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعث عاصم بن ثابت فذكر القصة كما تقدم من حديث أبي هريرة وذكر فيها فأرادوا ليحتزوا رأسه ليذهبوا به إليها فبعث الله رِجْلا من دبر فحمته فلم يستطيعوا أن يحتزوا رأسه وذكر في شأن خبيب أنه قال اللّهمّ إني لا أجد من يبلغ رسولك عني السلام فبلغ رسولك مني السلام فزعموا أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال حينئذ وعليه السلام قال أصحابه يا نبي الله من قال أخوكم خبيب يقتل فلما رفع على الخشبة استقبل الدعاء قال رجل فلما رأيته يدعو لبدت بالأرض فلم يحل الحول ومنهم أحد غير ذلك الرجل الذي لبد بالأرض.

وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي من طريق جعفر بن عمرو بن أمية الضمري أن أباه حدثه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعثه عينا وحده قال جئت إلى خشبة خبيب أي التي صلبوه عليها بعد قتله فرقيت فيها وأنا أتخوف العيون فأطلقته فوقع بالأرض فانتبذت غير بعيد ثم التفت فلم أر خبيبا فكأنما ابتلعته الأرض فلم يذكر لخبيب رمة حتى الساعة.

وأخرج أبويوسف في كتاب اللطائف عن الضحاك أن النبي صلّى الله عليه وسلّم أرسل المقداد والزبير في إنزال خبيب عن خشبته فوصلا إلى التنعيم فوجدا حوله أربعين رجلا نشاوى فأنزلاه فحمله الزبير على فرسه وهو رطب لم يتغير منه شيء فنذر بهم المشركون فلما لحقوهم قذفه الزبير فابتلعته الأرض فسمي بليع الأرض.

(ومن كرامات أسيد بن حضير رضي الله عنه)

ما رواه ابن الأثير[١] في أسد الغابة بسنده إليه رضي الله عنه قال وكان من أحسن الناس صوتا بالقرآن أنه قال قرأت ليلة سورة البقرة وفرس لي مربوط ويحيى ابني مضطجع قريبا مني وهو غلام فجالت الفرس فقمت وليس لي هم إلا ابني ثم قرأت فجالت الفرس فقمت وليس لي هم إلا ابني ثم قرأت فجالت الفرس فرفعت رأسي فإذا شيء كهيئة الظلة في مثل المصابيح مقبل من السماء فهالني فسكت فلما أصبحت غدوت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبرته فقال (**تلك الملائكة دنوا لصوتك ولو قرأت حتى تصبح لأصبح الناس ينظرون إليهم**).

(ومن كرامات عباد بن بشر وأسيد بن حضير رضي الله عنهما)

أخرج ابن سعد والحاكم وصححه البيهقي وأبونعيم من وجه آخر عن أنس رضي الله عنه قال كان عباد بن بشر وأسيد ابن حضير عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في حاجة حتى ذهب من الليل ساعة وهي ليلة شديدة الظلمة خرجا وبيد كل واحد منهما عصا فأضاءت لهما عصا أحدهما فمشيا في ضوئها حتى إذا افترقت بهم الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله.

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رجلين من أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم خرجا من عنده ذات ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين يديهما فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله.

(ومن كرامات سعد بن الربيع رضي الله عنه)

أخرج الحاكم وصححه والبيهقي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم أحد أطلب سعد بن الربيع وقال إن رأيته فأقرئه مني السلام وقل له كيف تجدك فأصبته وهو في آخر رمق وبه سبعون ضربة ما بين

(١) ابن الأثير عز الدين علي توفي سنة ٦٣٠ هـ. [١٢٣٢ م.] في الموصل.

طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم فقال قل له يا رسول الله أجدني أجد ريح الجنة وقل لقومي الأنصار لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفيكم شفر يطرف وفاضت نفسه رضي الله عنه.

(ومن كرامات أنس بن النضر رضي الله عنه)

أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه أن عمه أنس بن النضر قال يوم أحد والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد وإنها لريح الجنة ثم استشهد رضي الله عنه.

(ومن كرامات حنظلة رضي الله عنه)

قال ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال يوم أحد (**إن حنظلة لتغسله الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه**) فسئلت زوجته فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهائعة فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**لذلك غسلته الملائكة**) وأخرجه البيهقي. وأخرجه ابن سعد من طريق هشام بن عروة عن أبيه بلفظ (**إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة**) قال أبوأسيد الساعدي فذهبنا فنظرنا إليه فإذا رأسه يقطر ماء.

(ومن كرامات عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه)

أخرج ابن منده[١] عن طلحة ابن عبيد الله رضي الله عنه قال أردت مالي بالغابة فأدركني الليل فأويت إلى قبر عبد الله ابن عمرو بن حرام فسمعت قراءة من القبر ما سمعت أحسن منها فجئت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فذكرت ذلك له فقال (**ذاك عبد الله ألم تعلم أن الله قبض أرواحهم فجعلها في قناديل من زبرجد وياقوت ثم علقها وسط الجنة فإذا كان الليل ردت إليهم أرواحهم فلا تزال كذلك حتى إذا طلع الفجر ردت أرواحهم إلى مكانها الذي كانت فيه**).

---

(١) ابن منده محمد بن إسحاق توفي سنة ٣٩٥ هـ. [١٠٠٥ م].

وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ضرب بعض أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم خِباء على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي صلّى الله عليه وسلّم فأخبره فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**هي المناعة هي المنجية**).

(ومن كرامات عامر بن فهيرة رضي الله عنه)

أخرج البخاري من طريق هشام بن عروة قال أخبرني أبي قال لما قتل الذين ذهبوا إلى بئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل من هذا وأشار إلى قتيل فقال له هذا عامر بن فهيرة فقال لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع فأتى النبي صلّى الله عليه وسلّم خبرهم فنعاهم فقال (**إن أصحابكم قد أصيبوا وأنهم قد سألوا ربهم فقالوا ربنا أخبر عنا إخواننا بأننا رضينا عنك ورضيت عنا فأخبرهم**).

وأخرج البيهقي[١] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سرية فلم يلبث إلا قليلا حتى قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (**إن إخوانكم قد لقوا المشركين واقتطعوهم فلم يبق منهم أحد وإنهم قالوا ربنا بلّغ قومنا قد رضينا عنك ورضيت عنا فإنا رسولهم إليكم أنهم قد رضوا ورضي عنهم**). وقال الواقدي حدثني مصعب بن ثابت عن أبي الأسود عن عروة قال خرج المنذر بن عمرو فذكر القصة أي قصة طلبهم رجالا من النبي صلّى الله عليه وسلّم يعلّمونهم القرآن والسنة وقال فيها قال عامر بن الطفيل لعمرو بن أمية هل تعرف أصحابك قال نعم فطاف فيهم يعني في القتلى وجعل يسأله عن أنسابهم قال هل تفقد منهم من أحد قال افقد مولي لأبي بكر يقال له عامر بن فهيرة قال كيف كان فيكم قلت كان من أفضلنا، قال ألا أخبرك خبره طعنه هذا برمح ثم انتزع رمحه فذهب بالرجل علوا

---

(١) أحمد بن حسين البيهقي توفي سنة ٤٥٨ هـ. [١٠٦٦ م.] في نيشابور.

في السماء حتى والله ما أراه وكان الذي قتله رجل من كلاب يقال له جبار بن سلمي ذكر أنه لما طعنه سمعه يقول فزت والله. قال فأتيت الضحاك بن سفيان الكلابي فأخبرته بما كان وأسلمت ودعاني إلى الإسلام ما رأيت من مقتل عامر بن فهيرة ومن رفعه إلى السماء علوا قال وكتب الضحاك إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأن الملائكة وارت جثته وأنزل عليين.

أخرجه البيهقي وقال يحتمل أنه رفع ثم وضع ثم فقد بعد ذلك فيجتمع مع رواية البخاري السابقة عن عروة فإن فيها ثم وضع قد روينا في مغازي موسى بن عقبة في هذه القصة قال فقال عروة لم يوجد جسد عامر يرون أن الملائكة وارته.

ثم أخرج البيهقي رواية عروة موصولة عن عائشة بلفظ **(لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض)** لم يذكر فيها ثم وضع فقويت الطرق وتعددت لمواراته في السماء.

وقال ابن سعد أنبأنا الواقدي حدثني محمد بن عبد الله عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت رفع عامر بن فهيرة إلى السماء فلم توجد جثته يرون أن الملائكة وارته.

(ومن كرامات غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه)

أخرج ابن سعد عن جندب بن مكيث الجهني قال بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غالب بن عبد الله الليثي في سريته فكنت فيهم وأمرهم أن يشنوا الغارة على بني الملوح بالكدية فشننا عليهم الغارة واستقنا النعم فخرج صريخ القوم في قومهم فجاء ما لا قِبل لنا به فخرجنا بها نحدرها فأدركنا القوم حتى نظروا إلينا ما بيننا وبينهم إلا الوادي ونحن موجهون في ناحية الوادي إذ جاء الله بالوادي من حيث شاء بملء جنبتيه ماء والله ما رأينا يومئذ سحابا ولا مطرا فجاء بما لا يستطيع أحد أن يحوزه، فلقد رأيتهم وقوفا ينظرون إلينا وفتناهم فوتا لا يقدرون فيه على طلبنا.

(ومن كرامات أبي موسى الأشعري رضي الله عنه)

أخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلّى الله عليه وسلّم استعمل أبا موسى على سرية البحر فبينا السفينة تجري بهم في الليل فإذا هم بمناد من فوقهم ألا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه أنه من يعطش لله في يوم صائف فإن حقا على الله أن يسقيه يوم العطش.

(ومن كرامات تميم الداري رضي الله عنه)

أخرج البيهقي وأبونعيم عن معاوية بن حرمل قال خرجت نار من الحرة فجاء عمر إلى تميم الداري فقال قم إلى هذه النار فقام معه وتبعتهما فانطلقا إلى النار فجعل تميم يحوشها بيده حتى دخلت الشعب ودخل تميم خلفها فجعل عمر يقول ليس من رأى كمن لم يرَ قالها ثلاثا.

وأخرج أبو نعيم عن مرزوق أن نارا خرجت على عهد عمر فجعل تميم الداري يدفعها بردائه حتى دخلت غارا فقال له عمر لمثل هذا كنا نختبئك.

(ومن كرامات أبي الدرداء وسلمان رضي الله عنهما)

أخرج البيهقي وأبو نعيم عن قيس قال بينما أبو الدرداء وسلمان يأكلان من صحفة إذ سحبت وما فيها.

(ومن كرامات عمران بن حصين رضي الله عنهما)

كما قاله السبكي وغيره ما اشتهر من أنه كان يسمع تسبيح الملائكة حتى اكتوى فانحبس ذلك عنه ثم أعاده الله إليه. وروى ابن الأثير في أسد الغابة بسنده إليه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نهى عن الكي قال عمران فأكتوينا فما أفلحنا ولا أنجحنا. قال وكان في مرضه تسلم عليه الملائكة فأكتوى ففقد التسليم ثم عادت إليه وكان به استسقاء فطال به سنين كثيرة وهو صابر عليه وشق بطنه وأخذ منه شحم وثقب له سرير فبقي عليه ثلاثين سنة ودخل عليه رجل فقال يا أبا نجيد والله إنه ليمنعني من عيادتك ما أرى بك فقال يا ابن أخي فلا تجلس فوالله إن أحب ذلك إلي

أحبه إلى الله عز وجل انتهى.

(ومن كرامات سفينة مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم)

قال ابن الأثير في كتاب أسد الغابة روى محمد بن المنكدر عن سفينة مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قال ركبت سفينة فانكسرت فركبت لوحا منها فطرحني إلى الساحل فلقيني أسد فقلت يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال فطأطأ رأسه وجعل يدفعني بجنبه أو بكتفه حتى وقفني على الطريق فلما وقفني على الطريق همهم ففهمت أنه يودعني.

(ومن كرامات ابن أم مكتوم رضي الله عنه)

أخرج ابن سعد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان ابن أم مكتوم يتوخى الفجر فلا يخطئه وكان ضريرا وابن أم مكتوم هو أحد المؤذنين لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

(ومن كرامات أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه)

أخرج أبويعلى والبيهقي وابن عساكر من طرق عن أبي غالب عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى قومي فانتهيت إليهم وأنا طاوٍ وهم يأكلون الدم فقالوا هلم، فقلت إنما جئتكم لأنهاكم عن هذا فاستهزؤا بي وكذبوني وردوني من عندهم وأنا جائع ظمآن قد نزل بي جهد شديد فنمت فأتاني آت في منامي فناولني إناء فيه لبن فأخذته فشربته فشبعت ورويت فعظم بطني فقال بعضهم لبعض أتاكم رجل من سَرَاة قومكم فرددتموه اذهبوا إليه فأطعموه من الطعام والشراب ما يشتهي فأتوني بطعامهم وشرابهم فقلت لا حاجة لي فيه، قالوا قد رأيناك تجهد، قلت إن الله أطعمني وسقاني فأريتهم بطني فأسلموا من عند آخرهم. وفي بعض طرقه عند ابن عساكر فجعلت أدعوهم إلى الإسلام ويأبون عليَّ فقلت لهم ويحكم اسقوني شربة من ماء فإني شديد العطش، قالوا لا ولكن ندعك حتى تموت عطشا فاغتظت وضربت برأسي في العباءة ونمت في الرمضاء في حر

شديد فأتاني آت في منامي بقدح زجاج لم يرَ الناس أحسن منه وفيه شراب لم يرَ الناس شرابا ألذ منه فأمكنني منها فشربتها فحين فرغت من شرابي استيقظت فلا والله ما عطشت ولا غرثت بعد تلك الشربة.

(ذؤيب بن كلاب رضي الله عنه)

أخرج ابن وهب عن ابن لهيعة أن الأسود العنسي لما ادعى النبوة وغلب على صنعاء أخذ ذؤيب بن كلاب فألقاه في النار لتصديقه بالنبي صلّى الله عليه وسلّم فلم تضره النار. فذكر ذلك النبي صلّى الله عليه وسلّم لأصحابه، فقال عمر الحمد لله الذي جعل في أمتنا مثل إبراهيم الخليل. قال عبدان في كتاب الصحابة ذؤيب هذا هو ابن كلاب بن ربيعة الخولاني أول من أسلم من أهل اليمن.

وأخرج ابن عساكر من طريق أبي بشير جعفر بن أبي وحشية أن رجلا من خولان أسلم فأراده قومه على الكفر فألقوه في نار فلم يحترق منه إلا أمكنة لم يكن فيما مضى يصيبها الوضوء فقدم على أبي بكر فقال استغفر لي قال أنت أحق. قال أبو بكر إنك ألقيت في النار فلم تحترق فاستغفر له ثم خرج إلى الشام فكانوا يشبهونه بإبراهيم عليه السلام.

(أبو عيسى بن جبر رضي الله عنه)

أخرج الحاكم والبيهقي وأبونعيم عن أبي عيسى بن جبر رضي الله عنه أنه كان يصلي مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الصلوات ثم يرجع إلى بني حارثة فخرج ليلة مظلمة مطيرة فنور له في عصاه حتى داخل دار بني حارثة.

(يعلى بن مرة رضي الله عنه)

أخرج البيهقي عن يعلى بن مرة رضي الله عنه قال مررنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على مقابر فسمعت ضغطة في قبر فقلت يا رسول الله سمعت ضغطة في قبر قال (**وسمعت يا يعلى**) قلت نعم قال (**فإنه يعذب في يسير من الأمر**) قلت وما هو قال (**في النميمة والبول**).

(حمزة الأسلمي رضي الله عنه)

أخرج البخاري في التاريخ والبيهقي وأبونعيم عن حمزة الأسلمي رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلّى الله عليه وسلّم في سفر فتفرقنا في ليلة ظلماء فأضاءت أصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم وإن أصابعي لتنير.

(أم أيمن رضي الله عنها)

أخرج البيهقي عن ثابت وأبي عمران الجوني وهشام بن حسان قالوا هاجرت أم أيمن من مكة إلى المدينة وليس معها زاد فلما كانت عند الروحاء عطشت عطشا شديدا قال فسمعت حفيفا شديدا فوق رأسي فرفعت رأسي فإذا دلو مدلى من السماء برشاء أبيض فتناولته بيدي حتى استمسكت به فشربت منه حتى رويت قالت فلقد أصوم بعد تلك الشربة في اليوم الحار الشديد ثم أطوف في الشمس كي أظمأ فما ظمئت بعد تلك الشربة.

وأخرجه ابن منيع في مسنده من وجه آخر. وأخرج أبو الشيخ عن خيثمة قال كان أبو الدرداء يطبخ قدرا فوقعت على وجهها فجعلت تسبح.

(الزنّيرة رضي الله عنها)

أخرج البيهقي عن عروة أن أبا بكر رضي الله عنه أعتق ممن كان يعذب في الله سبعة منهم الزنيرة فذهب بصرها وكانت ممن يعذب في الله فتأبى إلا الإسلام فقال المشركون ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى فقالت كلا والله ما هو كذلك فرد الله عليها بصرها.

(أم شريك الدَّوسية رضي الله عنها)

قال ابن سعد حدثنا عارم بن الفضل حدثنا حماد بن يزيد عن يحيى بن سعيد قال هاجرت أم شريك الدوسية فصحبت يهوديا في الطريق فأمست صائمة فقال اليهودي لامرأته لئن سقيتها لأفعلن فباتت كذلك حتى كان في آخر الليل إذا على صدرها دول موضوع وصفن فشربت ثم بعثتهم للدلجة فقال اليهودي إني لأسمع

صوت امرأة لقد شربت فقالت امرأته لا والله إن سقيتها قال وكان لها عكة تعيرها من أتاها فاستامها رجل فقالت ما فيها رُبّ فنفختها وعلقتها في الشمس فإذا هي مملؤة سمنا قال فكان يقال ومن آيات الله عكة أم شريك وتقدم حديث إسلامها وما وقع فيه من خوارق العادات في باب معجزات شتى.

(شهداء أحد رضي الله عنهم)

أخرج البيهقي والحاكم وصححه من طريق العطاف بن خالد المخزومي حدثني عبد الأعلى ابن عبد الله ابن أبي قرارة عن أبيه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم زار قبور الشهداء بأحد فقال (**اللّهمّ إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء وأنه من زارهم أو سلم عليهم إلى يوم القيامة ردوا عليه**) قال العطاف وحدثتني خالتي أنها زارت قبور الشهداء قالت وليس معي إلا غلامان يحفظان عليّ الدابة فسلمت عليهم فسمعت رد السلام وقالوا والله إنا نعرفكم كما يعرف بعضنا بعضا قالت فاقشعرت ورجعت.

(أحد الصحابة رضي الله عنهم)

أخرج البيهقي من طريق ابن سيرين[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى رجل أهله فرأى ما بهم من الحاجة فخرج إلى البرية فقال اللّهمّ ارزقنا ما نعتجن ونختبز فإذا الجفنة ملأى خبزا والرحى تطحن والتنور ملأى جنب شواء فجاء زوجها فقال عندكم شيء قالت نعم رزق الله فرفع الرحى فكنس ما حولها فذكر ذلك لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال (**لو تركها لدارت إلى يوم القيامة**).

وأخرج البيهقي من طريق سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا من الأنصار كان ذا حاجة فخرج يوما وليس عند أهله شيء فقالت امرأته لو إني حركت رحاي وجعلت في تنوري سعفاة فسمع جيراني صوت الرحى ورأوا الدخان فظنوا أن عندنا طعاما ما بنا خصاصة فقامت إلى تنورها فأوقدته وقد تحرك

---

(١) محمد بن سيرين توفي سنة ١١٠ هـ. [٧٢٩ م.] في بصرة.

الرحى فأقبل زوجها وسمع الرحى فقال ما تطحنين فأخبرته فدخل وإن رحاهما لتدور وتصب دقيقا فلم يبق في البيت وعاء إلا ملئ ثم خرجت إلى تنورها فوجدته مملوءا خبزا فأقبل زوجها فذكر ذلك لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (**فما فعلت الرحى**) قال رفعتها ونفضتها، قال (**لو تركتموها ما زالت كما هي لكم حياتكم**). قال الحافظ السيوطي إسناده صحيح.

(امرأة من الأنصار رضي الله عنهم)

أخرج ابن عدي[١] وابن أبي الدنيا والبيهقي وأبونعيم[٢] عن أنس رضي الله عنه قال عدنا شابا من الأنصار وعنده أم له عجوز عمياء فما برحنا أن مات فأغمضناه ومددنا على وجهه الثوب وقلنا لأمه احتسبيه قالت وقد مات قلنا نعم. فمدت يديها إلى السماء وقالت اللّهمّ إن كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تغيثني عند كل شدة فلا تحمل علي هذه المصيبة اليوم. قال أنس فوالله ما برحنا حتى كشفنا الثوب عن وجهه وطعم وطعمنا معه.

(ومن كرامات أبي مسلم الخولاني رضي الله عنه)

وهو وإن كان من التابعين إلا أنه آمن في حياة النبي صلّى الله عليه وسلّم فرأيت أن أختم بكراماته كرامة الصحابة رضي الله عنهم وقصة ذؤيب بن كلاب الصحابي المتقدم تشبه قصته. قال السيد أحمد دحلان في السيرة النبوية وقصة أبي مسلم الخولاني مع الأسود العنسي مشهورة رواها جملة من أصحاب السنن عن جملة من الصحابة حتى قال بعضهم إنها من المشهور المستفيض.

وحاصلها: أن الأسود العنسي لما ادعى النبوة بصنعاء اليمن بعث إلى أبي مسلم الخولاني فلما جاءه قال أتشهد إني رسول الله قال ما أسمع. قال أتشهد أن محمدا رسول قال نعم فردد ذلك عليه مرارا وهو يقول كما قال أولا فأمر بنار عظيمة

---

(١) عبد الله ابن عدي توفي سنة ٣٢٣ هـ. [٩٣٥ م.] في استرآباد.

(٢) أحمد أبو نعيم الأصفهاني الشافعي توفي سنة ٤٣٠ هـ. [١٠٣٩ م.].

فأججت ثم ألقي فيها أبو مسلم فلم تضره فقيل له أنفه عنك وإلا أفسد عليك من اتبعك فأمره بالرحيل فأتى المدينة وقد قبض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم واستخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه فأناخ راحلته بباب المسجد ودخل يصلي إلى سارية فبصر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ممن الرجل قال من أهل اليمن. قال ما فعل صاحبنا الذي أحرقه الكذاب قال أنا هو، قال أنشدك الله أنت هو قال اللّهمّ نعم فأعتنقه عمر رضي الله عنه ثم بكى وأتى به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر رضي الله عنه ثم قال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد صلّى الله عليه وسلّم من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله قال ابن عباس رضي الله عنهما أنا أدركت أمداد خولان يقولون للأمداد من بني عنس صاحبكم الكذاب أحرق صاحبنا بالنار فلم تضره وهي معجزة عظمى للنبي صلّى الله عليه وسلّم وكرامة كبرى لأبي مسلم الخولاني رضي الله عنه.

وأخرج أحمد والبيهقي وصححه عن حميد أن أبا مسلم الخولاني جاء إلى الدجلة وهي ترمي بالخشب من مدها فمشى على الماء ولفظ أحمد فوقف عليها ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر تسيير بني إسرائيل في البحر ثم نهر دابته فانطلقت تخوض به وأتبعه الناس حتى قطعها والتفت إلى أصحابه وقال تفقدون من متاعكم شيئا حتى ندعو الله فيرده.

خمس مكاتيب من المكتوبات الشريفة للإمام الرباني المنتخبة من المجلد الأول:

(المكتوب الثمانون إلى المرزا فتح الله الحكيم في بيان أن الفرقة الناجية من بين الفرق الثلاثة والسبعين فرقة أهل السنة والجماعة وفي المنع من الالتفات إلى الفرق المبتدعة والاختلاط معهم وما يناسب ذلك)

رزقنا الله سبحانه وإياكم الاستقامة على جادة الشريعة المصطفوية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية (ع):

هذا هو الأمر والباقي من العبث

وكل فرقة من الفرق الثلاث والسبعين يدعون أنهم متبعون للشريعة ويجزمون بكونهم ناجين (**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** * المؤمنون: ٥٣) مصداق حالهم ونقد وقتهم وأما الدليل الذي بينه النبي الصادق عليه من الصلوات أكملها ومن التسليمات أفضلها على تمييز فرقة ناجية من تلك الفرق المتعددة فهو قوله صلّى الله عليه وسلّم (**الذين هم على ما أنا عليه وأصحابي**) وذكر الأصحاب مع وجود الكفاية بذكر صاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام والتحية في ذلك المحل يمكن أن يكون للإيذان بأن طريقي هو طريق الأصحاب وطريق النجاة منوط باتباع طريقهم فحسب كما قال الله تعالى و (**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ** * النساء: ٨٠) فكان إطاعة الرسول عين إطاعة الله تعالى وخلاف إطاعته صلّى الله عليه وسلّم عين معصيته تعالى وتقدس وقد أخبر الله سبحانه عن حال جماعة زعموا طاعته تعالى خلاف طاعة الرسول وحكم بكفرهم حيث قال سبحانه (**يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ** * النساء: ١٥٠) الآية فدعوى اتباع النبي صلّى الله عليه وسلّم بدون اتباع طريق الأصحاب رضوان الله عليهم أجمعين دعوى باطل بل ذلك الاتباع في الحقيقة عين معصية الرسول عليه الصلاة والسلام فأين المجال لطمع النجاة في ذلك الطريق (**يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ** *

المجادلة: ١٨) مطابقة لحالهم ولا شك أن الفرقة الملتزمة لاتباع أصحابه عليه وعليهم الصلاة والسلام أهل السنة والجماعة شكر الله سعيهم فهم الفرقة الناجية فإن الطاعنين في أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كالشيعة والخوارج محرومون من اتباعهم وللمعتزلة مذهب على حدة محدث ورئيسهم واصل بن عطاء كان من أصحاب حسن البصري ثم اعتزل مجلسه وصار يقول بإثبات الواسطة بين الكفر والإيمان فقال الحسن اعتزل عنا. وعلى هذا القياس سائر الفرق والطعن في الأصحاب طعن في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الحقيقة ما آمن برسول الله صلّى الله عليه وسلّم من لم يوقر أصحابه فإن خبثهم ينجر إلى خبث صاحبهم نعوذ بالله من هذا الاعتقاد السوء (وأيضا) أن أحكام الشريعة التي وصلت إلينا من طريق القرآن والأحاديث إنما وصلت بتوسط نقلهم فإذا كان هؤلاء مطعونا فيهم يكون نقلهم أيضا مطعونا فيه وهذا النقل ليس مخصوصا ببعض دون بعض بل كلهم في العدالة والصدق والتبليغ سواء فالطعن في واحد منهم أي واحد كان طعن في الدين والعياذ بالله سبحانه منه (فإن) قال الطاعنون في الأصحاب نحن أيضا نتابعهم ولكن لا يلزم في تحقق المتابعة متابعة الجميع بل ذلك غير ممكن لتناقض آرائهم واختلاف مذاهبهم (أجيب) أن متابعة البعض إنما تنفع إذا لم يوجد إنكار الباقين ومتى تحقق إنكار البعض لا يتحقق متابعة البعض الآخر فإن عليا كرم الله وجهه كان يوقر الخلفاء الثلاثة ويعظمهم رضوان الله عليهم أجمعين وبايعهم عالما باستحقاقهم الاقتداء بهم فدعوى متابعته مع وجود إنكارهم افتراء محض وادعاء صرف بل إنكارهم إنكار في الحقيقة لسيدنا علي كرم الله وجهه ورد صريح لأقواله وأفعاله وتجويز احتمال التقاة في حق أسد الله من غاية سخافة العقل فإن العقل الصحيح لا يجوز إضمار بغض الخلفاء الثلاثة لأسد الله قريبا من مدة ثلاثين سنة وإظهار خلافه وصحبته معهم على النفاق أصلا فإن مثل هذا النفاق لا يتصور من أدنى أهل الإسلام فينبغي التأمل والتفكر في شناعة هذا الفعل فإنه يستلزم نسبة ضعف كبير ووهن كثير

وخديعة شنيعة إلى أسد الله علي كرم الله وجهه فلئن جوزنا التقاة في حق أسد الله على سبيل فرض المحال فماذا يقولون في تعظيم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للخلفاء الثلاثة وتوقيره إياهم من الابتداء إلى الانتهاء فإنه لا مساغ فيه للتقاة لأن تبليغ ما هو الحق واجب على الرسول وتجويز التقاة هناك ينجر إلى الزندقة قال الله تعالى (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** * المائدة: ٦٧) قال الكفار أن محمدا يظهر من الوحي ما يوافقه ويخفي منه ما يخالفه ومن المقرر أن تقرير النبي على الخطأ غير جائز وإلا يتطرق الخلل إلى شريعته فإذا لم يصدر منه صلّى الله عليه وسلّم خلاف تعظيم الخلفاء الثلاثة ولم يظهر ما ينافي توقيرهم علم أن تعظيمه وتوقيره صلّى الله عليه وسلّم إياهم مصون عن الخطأ ومحفوظ عن الزوال (ولنرجع) إلى أصل الكلام ونبين جواب اعتراضهم يعني شبهتهم أوضح مما سبق وأنقح فنقول إن متابعة جميع الأصحاب واجبة في أصول الدين فإنه لا اختلاف بينهم في الأصول وإنما اختلافهم في الفروع فقط فالذي يطعن في بعضهم فهو محروم من متابعة جميعهم وكلمة الأصحاب وإن كانت في نفسها متفقة ولكن شؤم الإنكار لأكابر الدين يخرجها من الإنفاق إلى الاختلاف بل يجر إنكار القائل إلى إنكار المقول وأيضا أن مبلغي الشريعة جميع الأصحاب كما مر لأن الأصحاب كلهم عدول وبلغ من كل واحد شيء من الشريعة إلينا وكذلك جمعوا القرآن أخذا من كل واحد منهم آية فما فوقها فإنكار البعض إنكار لمبلغي القرآن فلا يتحقق الإتيان بجميع الشريعة في حق المنكر فكيف النجاة والفلاح قال الله تعالى (**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ** * البقرة: ٨٥) الآية مع أنا نقول إن جامع القرآن عثمان بل أبو بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهم وما جمعه علي كرم الله وجهه وما حواه فهو سوى هذا القرآن فينبغي التأمل والتفكر فإن إنكار هؤلاء الأكابر ينجر إلى إنكار القرآن في الحقيقة عياذا بالله سبحانه منه (سئل) شخص مجتهد أهل التشيع يعني في زعمهم أن القرآن جمعه عثمان فما اعتقادك في حق هذا

القرآن فقال لا أرى المصلحة في إنكاره فإن بإنكاره ينهدم الدين بالتمام. وأيضا أن العاقل لا يجوز اجتماع أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على أمر باطل قبل مرور يوم من رحلته صلّى الله عليه وسلّم ومن المقرر أن أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كانوا يوم رحلته مقدار ثلاث وثلاثين ألفا وبايع كلهم الصديق الأكبر بالطوع والاختيار واجتماع جميع أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في تلك الحالة على الضلالة من جملة المحالات وقد قال النبي صلّى الله عليه وسلّم (**لا يجتمع أمتي على الضلالة**) وتأخر علي كرم الله وجهه يعني من البيعة في الابتداء ليس إلا لعدم دعوتهم إياه إلى المشورة كما قال بنفسه ما غضبنا إلا لتأخرنا عن المشورة وإلا لنعلم أن أبا بكر خير منا الخ. وعدم دعوتهم إياه يمكن أن يكون مبنيا على مصلحة كتسلية أهل البيت بقعوده عندهن في الصدمة الأولى من المصيبة أو نحو ذلك والاختلاف الواقع بين الأصحاب ليس منشأه الهوى النفساني فإن نفوسهم قد تزكت وتخلصت من أن تكون أمارة بالسوء وصارت مطمئنة وكانت أهواؤهم تابعة للشريعة بل كان مبناه على الاجتهاد وإعلاء الحق فللمخطئ منهم درجة واحدة عند الله وللمصيب عشر درجات فينبغي إذا حفظ اللسان من أذاهم وجفاهم وأن يذكر كلا منهم بخير. قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى تلك دماء طهر الله أيدينا عنها فلنطهر عنها ألسنتنا. وقال أيضا اضطر الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلم يجدوا تحت أديم السماء خيرا من أبي بكر فولوه رقابهم وهذا القول تصريح منه بنفي التقاة ورضاء علي كرم الله وجهه بيعة الصديق رضي الله عنه (بقية) المقصود أن الميان سيدن ولد الشيخ ميان أبي الخير من أولاد الكبار وقد سافر إلى دكن في رفاقتكم فيرجى في حقه التفاتكم وعنايتكم وأيضا أن مولانا محمدا عارف طالب علم ومن أولاد الكبار وكان أبوه عالما وقد جاء لأجل الاستمداد في أمر المعاش فيرجى التوجه إليه والسلام والإكرام.

(المكتوب الثاني عشر والمائة إلى الشيخ عبد الجليل في بيان أن المدار في التحقيق على عقائد أهل السنة والجماعة الخ)

حققنا الله سبحانه وتعالى شأنه وأمثالنا المفلسين بحقيقة معتقدات أهل الحق يعني أهل السنة والجماعة وجعل التوفيق للأعمال المرضية نقد الوقت وأنعم علينا بالأحوال التي هي ثمرات هذه الأعمال وجذبه إلى جناب قدسه بالتمام والكمال (ع):

هذا هو الأمر والباقي من العبث

فإن الأحوال والمواجيد، لحاصلة بدون التحقيق بمعتقدات هذه الفرقة الناجية لا أعدها شيئا سوى الاستدراج وما أظنها غير الخذلان والحرمان فإن أعطينا مع دولة الإتباع لهذه الفرقة الناجية شيئا نكن ممنونين ونجتهد في أداء شكره وإن أعطينا هذا الإتباع فقط ولم نعط الأحوال والمواجيد أصلا لا نغتم ولا نحزن بل نرضى به ونقول هذا أولى وأحسن وما ظهر من بعض المشائخ قدس الله أرواحهم وقت غلبة الحال والسكر من بعض العلوم والمعارف المنافية لآراء أهل الحق الصائبة لما كان منشؤها كشفا فهم معذورن في ذلك ونرجوا أن لا يؤاخذوا بذلك يوم القيامة بل لهم حكم المجتهد المخطئ فيكون له أجر واحد والحق في جانب علماء أهل الحق شكر الله سعيهم فإن علوم العلماء مقتبسة من مشكاة النبوة على صاحبها الصلاة والسلام والتحية المؤيدة بالوحي القطعي ومستند معارف الصوفية الكشف والإلهام اللذان للخطأ سبيل فيهما وعلامة صحة الكشف والإلهام مطابقتهما بعلوم علماء أهل السنة والجماعة فإن وقعت المخالفة ولو مقدار شعرة فخارج من دائرة الصواب هذا هو العلم الصحيح والحق الصريح فماذا بعد الحق إلا الضلال رزقنا الله سبحانه وإياكم الاستقامة على متابعة سيد المرسلين ظاهرا وباطنا عملا واعتقادا عليه وعلى آله من الصلوات أكملها ومن التسليمات أفضلها والسلام عليكم وعلى من اتبع الهدى.

(المكتوب الثالث والستون والمائة إلى السيد النقيب الشيخ فريد في بيان أن كلا من الإسلام والكفر ضد الآخر واجتماعهما محال وإعزاز أحدهما مستلزم لإذلال الآخر الخ.)

الحمد لله الذي أنعم علينا وهدانا إلى الإسلام وجعلنا من أمة محمد عليه الصلاة والسلام. اعلم أن نقد سعادة الدارين مربوط بإتباع سيد الكونين عليه الصلاة والسلام فحسب والإتباع إنما هو بإتيان أحكام الإسلام وإجرائها بين الأنام ورفع رسوم الكفر وإبطالها ودفعها عن الخاص والعام فإن الكفر والإسلام ضدان لا يجتمعان إلى قيام الساعة وساعة القيام.

فإثبات أحدهما موجب لرفع الآخر وإعزاز أحدهما مستلزم لإذلال الآخر وقد قال الله سبحانه خطابا لنبيه وحبيبه صلّى الله عليه وسلّم (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ** * التوبة: ٧٣) فإذا أمر الله سبحانه رسوله الذي هو موصوف بالخلق العظيم بجهاد الكفار والغلظة عليهم علم أن الغلظة عليهم داخل في الخلق العظيم فعزة الإسلام في مذلة الكفر وأهله فمن أعز أهل الكفر فقد أذل أهل الإسلام والإعزاز ليس هو عبارة عن تعظيمه وإجلاسهم في الصدر البتة بل إدخالهم في المجالس ومصاحبتهم والتكلم معهم بلغاهم كل ذلك داخل في الإعزاز فإن اللائق بهم إبعادهم مثل الكلاب فإن تعلق بهم غرض من الأغراض الدنياوية بحيث لا يكاد يتيسر بدوهم فحينئذ ينبغي أن يختلط بهم بقدر الضرورة مراعيا شيمة عدم الالتفات إليهم والاعتداد بهم وكمال الإسلام في ترك هذا الغرض بالكلية وعدم الالتفات إليهم والاختلاط بهم.

وقد سمى الله سبحانه أهل الكفر في كلامه المجيد عدوه وعدو رسوله فالاختلاط بأعداء الله وأعداء رسوله من أعظم الجنايات وأقل ضرر المخالطة بهؤلاء الأعداء والمصاحبة معهم حصول الوهن والضعف في قدرة إجراء الأحكام الشرعية ورفع رسوم الكفر الشنيعة لمانع حياء المؤانسة بهم.

وهذا الضرر عظيم جدا فإن المودة والألفة مع أعداء الله ينجر إلى عداوة الله عز وجل وعداوة رسوله صلّى الله عليه وسلّم وربما يزعم الإنسان أنه من أهل الإسلام وأنه مؤمن بالله ورسوله ولكنه لا يدري أن أمثال هذه الأعمال الشنيعة يذهب دولة الإسلام عنه بالتمام نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا (شعر):

تحب عدوي ثم تزعم إنني * أحبك إن العقل منك لعازب

وشغل هؤلاء الملاعين أعداء الدين الاستهزاء بالإسلام والسخرية بأهله منتظرين بأنهم إن وجدوا فرصة يخرجوننا من الإسلام أو يقتلوننا جميعا فينبغي لأهل الإسلام أيضا الاستحياء والحمية فإن الحياء من الإيمان والحمية الإسلامية ضرورية فاللائق بأولى الأمر أن يكونوا في إذلال هؤلاء المخذولين دائما وقد ارتفعت الجزية من أهل الكفر في بلاد الهند رأسا وبالذات وذلك بواسطة شآمة مصاحبة أهل الكفر مع سلاطين هذه الديار والمقصود الأصلي من أخذ الجزية منهم هو إذلالهم وهذا الإذلال يكون على حد لا يقدرون لبس الثياب النفيسة خوفا من أخذ الجزية ولا يقدرون على التجمل بل يكونون خائفين وجلين من أخذ أموالهم على الدوام وكيف يتجاسر السلاطين على المنع من أخذ الجزية والحال أن الحق سبحانه وضع الجزية ذلالهم والمقصود من أخذها فضيحتهم ومذلتهم وغلبة أهل الإسلام وعزتهم (ع): وفي إذلال كفر عز الإسلام.

وعلامة حصول دولة الإسلام بغض أهل الكفر وكراهتهم وقد سماهم الله سبحانه في كلامه المجيد نجسا وفي محل رجسا فينبغي إذا أن يكون أهل الكفر في نظر أهل الإسلام نجسا ورجسا فإذا رأوهم كذلك فلا جرم يجتنبون عن صحبتهم ويستكرهون مجانستهم والرجوع إلى هؤلاء الأعداء في شيء من الأشياء والعمل بمقتضى رأيهم وحكمهم من كمال إعزازهم فما يكون حال من يطلب منهم الهمة ويتوسل بهم.

(المكتوب الخامس والستون والمائة إلى السيد النقيب الشيخ فريد في الترغيب في متابعة صاحب الشريعة عليه وعلى آله الصلاة والتحية وبغض مخالفي الشريعة وعداوتهم والغلظة عليهم)

شرفكم الله سبحانه بتشريف الميراث المعنوي من النبي الأمي القرشي الهاشمي عليه وعلى آله من الصلوات أفضلها ومن التسليمات أكملها كما شرفكم بتشريف الميراث الصوري ويرحم الله عبدا قال آمينا وميراثه الصوري يتعلق بعالم الخلق وميراثه المعنوي بعالم الأمر الذي هو مقر الإيمان والمعرفة ومحل الرشد والهداية وشكر نعمة الميراث الصوري هو التحلي بالميراث المعنوي ولا يتيسر ذلك إلا بكمال الإتباع المصطفوي عليه الصلاة والسلام فعليكم بإتباعه في أوامره ونواهيه والمتابعة فرع كمال محبته عليه الصلاة والسلام (ع):

إن المحب لمن يحب مطيع

وعلامة كمال المحبة كمال بغض أعدائه صلّى الله عليه وسلّم وإظهار العداوة لمخالفي شريعته عليه الصلاة والسلام ولا سبيل للمداهنة في المحبة فإن المحب وآله بالمحبوب هائم به لا يطيق مخالفته ولا أن يميل إلى مخالفيه ولا أن يلين لهم بوجه من الوجوه ولا يجتمع محبة المتباينين فإن الجمع بين الضدين محال بل محبة أحدهما تستلزم عداوة الآخر ينبغي أن يتأمل تأملا جيدا وأن يتدارك ما مضى قبل فوت الفرصة فإنه إذا فاتت الفرصة لا يحصل شيء غير الندامة (شعر):

وحين الصبح تبدو كالنهار * حقيقة من هويته في الظلام

(غيره):

سوف ترى إذا انجلى الغبار * أفرس تحتك أم حمار

ومتاع الدنيا متاع الغرور وترتبت عليه المعاملة الأخروية والأبدية فإن تيسرت متابعة سيد الأولين والآخرين في هذه الأيام المعدودة فالنجاة الأبدية مرجوة وإلا فخسارة في خسارة كائنا من كان وأي عمل عمله من الخير (شعر):

محمد سيد الكونين من عرب * خاب الذي لم يكن في بابه التربا

وحصول دولة تلك المتابعة العظمى ليس بموقوف على ترك الدنيا بالكلية حتى يكون عسيرا بل إذا أديت الزكاة المفروضة مثلا فله حكم الترك في عدم وصول المضرة فإنه لا ضرر في المال المزكى فمعالجة دفع الضرر عن المال الدنياوي إخراج الزكاة وإن كان الترك الكلي أولى وأفضل منه ولكن أداء الزكاة يقوم مقامه (شعر):

إذا قسنا السما بالعرش ينحط * وما أعلاه إن قسنا بأرض

فينبغي صرف جميع الهمة في إتيان أحكام الشريعة وتعظيم أهلها من العلماء والصلحاء والاجتهاد في ترويجها وإذلال أهل الأهواء والبدع فإن من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام ومعاداة الكفار الذين هم أعداء الله وأعداء رسوله صلّى الله عليه وسلّم والسعي في إهانتهم وتحقيرهم وعدم إعزازهم بوجه من الوجوه وعدم إدخالهم في المجالس أصلا وعدم الأنس بهم وسلوك طريق الغلظة والشدة عليهم وعدم الرجوع إليهم في أمر من الأمور مهما أمكن فإن اضطرت الضرورة فرضا إلى الرجوع إليهم ينبغي قضاء تلك الحاجة منهم بكره واضطرار مثل قضاء الحاجة الإنسانية الطريق الذي يوصل إلى جناب قدس جدكم المعظم هو هذا ومن لم يمش من هذا الطريق فالوصول إلى ذاك الجناب المقدس مشكل هيهات هيهات (شعر):

كيف الوصول إلى سعاد ودونها * قلل الجبال ودونهن خيوف

ماذا نكتب أزيد من هذا (شعر):

بثثت لديكم من همومي وخفت أن * تملوا وإلا فالكلام كثير

(المكتوب السادس والثمانون والمائة إلى الخواجه عبد الرحمن المفتي الكابلي في الحث على متابعة السنة والاجتناب عن البدعة وإن كل بدعة ضلالة)

أسأل الله سبحانه وتعالى بالتضرع والاعتذار والالتجاء والافتقار والتذلل والانكسار في السر والجهار أن لا يبتلي هذا الضعيف مع من هم مجتمعون لديه أو مستندون إليه بفعل كل عمل محدث ومبتدع في الدين مما لم يكن في زمن خير البشر

وزمن خلفائه الراشدين عليه وعليهم الصلاة والسلام وإن كان ذلك العمل مثل فلق الصبح في الوضوح وأن لا يفتننا بحسن ذلك المبتدع بحرمة السيد المختار وآله الأبرار عليه وعليهم الصلاة والسلام. قال بعض الناس إن البدعة على نوعين حسنة وسيئة فالحسنة هي كل عمل صالح حدث بعد زمن نبينا وزمن خلفائه الراشدين عليه وعليهم الصلاة والسلام ولم يكن رافعا للسنة والسيئة ما تكون رافعة للسنة. وهذا الفقير لا يشاهد في شيء من البدعة شيئا من الحسن والنورانية ولا يحس فيها شيئا سوى الظلمة والكدورة ومن رأى اليوم فرضا طراوة ونضارة في الأمر المبتدع بسبب ضعف البصيرة ولكن سيعلم غدا بعد حصول الحدة في بصره أن ليس له شيء من نتيجة غير الندامة والخسارة (شعر):

ووقت الصبح يبدو كالنهار * حقيقة من هويته في الظلام

قال سيد البشر عليه الصلاة والسلام (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**) فإذا كان الشيء مردودا فمن أين يجيء له الحسن وقال عليه الصلاة والسلام (**أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة**) وقال عليه الصلاة والسلام (**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة**) فإذا كان كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة فما يكون معنى الحسن في البدعة وأيضا المفهوم من الأحاديث أن كل بدعة رافعة للسنة والرفع غير مختص بالبعض فيكون كل بدعة سيئة. قال عليه الصلاة والسلام (**ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة**) فالتمسك بالسنة خير من إحداث البدعة. وعن حسان أنه قال ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سننهم مثلها ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة (ينبغي) أن يعلم أن بعض البدع الذي عده العلماء والمشائخ من البدعة الحسنة إذا لوحظ فيه

كمال الملاحظة يعلم أنه رافع للسنة ومن ذلك أن تعميم الميت مثلا عدوه من البدعة الحسنة مع أنه رافع للسنة لأنه زيادة على العدد المسنون في الكفن وهو كونه ثلاثة أثواب والزيادة نسخ والنسخ هو عين الرفع وكذلك استحسن المشائخ يعني بعضهم إرسال ذنب العمامة من طرف اليسار مع أن السنة إرساله مما بين الكتفين وكون ذلك رافعا لهذه السنة ظاهر لا سترة فيه وكذلك استحسن العلماء يعني بعضهم في نية الصلاة النطق باللسان مع إرادة قلبية والحال أنه لم يثبت عن النبي صلّى الله عليه وسلّم ولا عن أصحابه الكرام ولا عن التابعين العظام في النية النطق باللسان لا في رواية صحيحة ولا في رواية ضعيفة بل كان يكرون للتحريمة عقب القيام فيكون النطق بدعة وقالوا إن ذلك بدعة حسنة. ويقول هذا الفقير إن هذه البدعة رافعة للفرض فضلا عن السنة فإن أكثر الناس يكتفون على هذا التقدير بالنطق باللسان يعني من غير استحضار النية بالجنان ومن غير مبالاة بالغفلة القلبية عن هذا الشأن فحينئذ يكون فرض من فرائض الصلاة وهو النية القلبية متروكا بالكلية ويفضي إلى فساد الصلاة وعلى هذا القياس سائر المبتدعات والمحدثات فإنها زيادات على السنة ولو بوجه من الوجوه والزيادة نسخ والنسخ رفع فعليكم بالاقتصار على متابعة سنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والاكتفاء بالاقتداء بأصحابه الكرام فإنهم كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وأما القياس بالاجتهاد فليس من البدعة في شيء فإنه مظهر لمعنى النصوص لا أنه مثبت لأمر زائد فاعتبروا يا أولي الأبصار والسلام على من اتبع الهدى والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله أفضل الصلوات وأكمل التسليمات.

محق التقول
في
مسألة التوسل

بقلم

محمد زاهد الكوثري

أحد العلماء الأعلام كان وكيل المشيخة

الإسلامية في دار الخلافة العثمانية

توفى سنة ١٣٧١ هـ. [١٩٥١ م.] في القاهرة.

طبع في مطبعة الأنوار بالقاهرة

في ١٩ جمادي الأولى ١٣٦٩ هـ.

محق التقول في مسألة التوسل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه أجمعين. **أما بعد:** فإنا نرى طائفة الحشوية يحاولون إكفار الأمة جمعاء بين حين وآخر باعتبار أنهم يزورون القبور ويتوسلون إلى الله بالأخيار. فكأنهم بذلك أصبحوا عباد الأوثان فحاشاهم من ذلك. فأحببت ذكر آراء أئمة أصول الدين في مسألة التوسل لأنهم هم أصحاب الشأن في تبيين وجوه الفرق بين التوحيد والإشراك وعبادة الأوثان، مع سرد ما في الكتاب والسنة من وجوه الدلالة على ذلك عند أهل العلم ردا للحق إلى نصابه، وردعاً للجهل وأصحابه في رسالة سميتها (**محق التقول في مسألة التوسل**) من مقالين لي سبق نشرهما، والله سبحانه ولي التسديد والتوفيق.

فأقول مستعيناً بالله جل جلاله إني أرى أن أتحدث هنا عن مسألة التوسل التي هي وسيلة دعاهم إلى رميهم الأمة المحمدية بالإشراك وكنت لا أحب طرق هذا البحث لكثرة ما أثاروا حوله من جدل عقيم مع ظهور الحجة واستبانة المحجة. وليس قصد أول من أثار هذه الفتنة سوى استباحة أموال المسلمين ليؤسس حكمه بأموالهم على دمائهم باسم أنهم مشركون وأنّى يكون للحشوية صدق الدعوة إلى التوحيد؟ وهم في إنكارهم التوسل محجوجون بالكتاب والسنة والعمل المتوارث والمعقول. أما الكتاب فمنه قوله تعالى (**وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** * المائدة: ٣٥) والوسيلة بعمومها تشمل التوسل بالأشخاص، والتوسل بالأعمال بل المتبادر من التوسل في الشرع هو هذا وذاك رغم تقول كل مفتر أفاك. والفرق بين الحي والميت في ذلك لا يصدر إلا ممن ينطوي على اعتقاد فناء الأرواح، المؤدي إلى إنكار البعث وعلى ادعاء انتفاء الإدراكات الجزئية من النفس بعد مفارقتها البدن، المستلزم لإنكار الأدلة الشرعية في ذلك.

أما شمول الوسيلة في الآية المذكورة للتوسل بالأشخاص فليس برأي مجرد، ولا

هو بمأخوذ من العموم اللغوي فحسب، بل هو المأثور عن عمر الفاروق رضي الله عنه حيث قال بعد أن توسل بالعباس رضي الله عنه في الاستسقاء (هذا والله الوسيلة إلى الله عز وجل) كما في الاستيعاب لابن عبد البر.

وأما السنة فمنها حديث عثمان بن حنيف (بالتصغير) رضي الله عنه وفيه: (**يا محمد إني توجهت بك إلى ربي**) هكذا علّم الرسول صلّى الله عليه وسلّم الضرير الدعاء، وفيه التوسل بالشخص وصرفه عن ظاهره تحريف للكلم عن مواضعه بهوى.

وأما كون استجابة دعاء الضرير بدعاء الرسول صلوات الله عليه (وهو غير مذكور في الرواية) أو بدعاء الضرير، فلا شأن لنا بذلك، بل الحجة هي نص الدعاء المأثور عن الرسول عليه السلام.

وقد نص على صحة هذا الحديث جماعة من الحفاظ كما سيأتي وقد ورد أيضاً في حديث فاطمة بنت أسد رضي الله عنها (**بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي**) ورجال هذا الحديث ثقات سوى روح بن صلاح. وعنه يقول الحاكم ثقة مأمون وذكره ابن حبان في الثقات. وهو نص على أنه لا فرق بين الأحياء والأموات في باب التوسل وهذا توسل بجاه الأنبياء صريح. وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: (**اللّهمّ إني أسألك بحق السائلين عليك**) وهذا توسل بالمسلمين عامة أحياء وأمواتا.

وابن الموفق في سنده لم ينفرد عن ابن مرزوق وابن مرزوق من رجال مسلم وعطية حسّن له الترمذي عدة أحاديث كما سيأتي.

وعلى التوسل بالأنبياء والصالحين أحياء وأمواتا جرت الأمة طبقة فطبقة.

وقول عمر في الاستسقاء: (**وإنا نتوسل إليك بعم نبينا**) نص على توسل الصحابة بالصحابة، وفيه إنشاء التوسل بشخص العباس رضي الله عنه، وليس في هذه الجملة فائدة الخبر لأن الله سبحانه يعلم توسل المتوسلين ولا لازم فائدة الخبر لأن الله يعلم أيضاً علم المتوسلين بتوسلهم، فتمحضت الجملة لإنشاء التوسل بالشخص، وقوله (**كنا نتوسل**) فيه أيضاً ما في الجملة الأولى على أن قول الصحابي

(كنا نفعل كذا) ينصب على ما قبل زمن القول فيكون المعنى أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتوسلون به صلّى الله عليه وسلّم في حياته وبعد لحوقه بالرفيق الأعلى إلى عام الرمادة، وقصر ذلك على ما قبل وفاته عليه السلام تقصير عن هوى وتحريف لنص الحديث وتأويل بدون دليل.

ومن حاول إنكار جواز التوسل بالأنبياء بعد موتهم بعدول عمر إلى العباس في الاستسقاء قد حاول المحال ونسب إلى عمر ما لم يخطر له على بال فضلاً عن أن ينطق به فلا يكون هذا إلا محاولة إبطال السنة الصحيحة الصريحة بالرأي.

وفعل عمر إنما يدل على أن التوسل بقرابة الرسول الأحياء جائز كجوازه بالنبي عليه وعليهم الصلاة والسلام ليس إلا بل في استيعاب ابن عبد البر بيان سبب استسقاء عمر بالعباس حيث يقول فيه (إن الأرض أجدبت إجداباً شديداً على عهد عمر زمن الرمادة وذلك سنة سبع عشرة فقال كعب يا أمير المؤمنين إن بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء، فقال عمر: هذا عم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وصنو أبيه وسيد بني هاشم فمشى إليه عمر وشكا إليه...). فهل استبان الآن أن استسقاء عمر بالعباس لم يكن من جهة أن الرسول ميت لا يسمع نداء ولا جاه له عند الله تعالى؟. حاش لله ما هذا إلا إفك مفترى.

وحديث مالك الدار في مجيء بلال بن الحارث الصحابي إلى قبر النبي صلوات الله عليه أيام القحط في عهد عمر وقوله (يا رسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المنام فقال (**ائت عمر فأقرئه السلام وأخبره أنهم يسقون**) نص في توسل الصحابة به عليه السلام بعد وفاته من غير نكير. والحديث مما أخرجه ابن أبي شيبه بسند صحيح كما في «فتح الباري»، وهذا قامع لمن لا يجيز التوسل به صلوات الله عليه بعد لحوقه بالرفيق الأعلى وكذلك حديث عثمان بن حنيف في تعليمه دعاء الحاجة السابق ذكره لمن كان له حاجة عند عثمان بن عفان رضي الله عنه وفيه التوسل بالنبي صلّى الله عليه وسلّم بعد وفاته من غير أن

ينكر عليه أحد. والحديث صححه الطبراني، وأقره أبو الحسن الهيثمي «في مجمع الزوائد» كما سيأتي.

وقد جمع المحدث الكبير محمد عابد السندي في جزء خاص الأحاديث والآثار الواردة في هذا الباب فشفى وكفى، وعمل الأمة المتوارث طبقة فطبقة في ذلك مما يصعب استقصاؤه وفي ذلك كتب خاصة.

وفي مناسك الإمام أحمد رواية أبي بكر المروزي التوسل إلى الله بالنبي صلّى الله عليه وسلّم، والصيغة التي يذكرها أبو الوفاء بن عقيل كبير الحنابلة في تذكرته في التوسل به عليه السلام على مذهب الحنابلة فيها طول ذكرنا نصها في تكملتنا للسيف الصقيل، وتوسل الإمام الشافعي بأبي حنيفة مذكور في أوائل تاريخ الخطيب بسند صحيح، وتمسح الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي بقبر أحمد للاستشفاء لدمل أعيا الأطباء مذكور في الحكايات المنثورة للحافظ الضياء المقدسي الحنبلي سماعاً من شيخه المذكور. والكتاب محفوظ بظاهرية دمشق وهو بخط المؤلف. فهل هؤلاء عباد القبور؟.

وأما من جهة المعقول فإن أمثال الإمام فخر الدين الرازي والعلامة سعد الدين التفتازاني والعلامة السيد الشريف الجرجاني وغيرهم من كبار أئمة أصول الدين الذين يفزع إليهم في حل المشكلات في أصول الديانة قد صرحوا بجواز التوسل بالأنبياء والصالحين أحياءا وأمواتاً وأي صفيق يستطيع أن يرميهم بعبادة القبور والدعوة إلى الإشراك بالله؟ وإليهم تفزع الأمة في معرفة الإيمان والكفر، والتوحيد والإشراك والدين الخالص، والمدد كله عند الجميع من مسبب الأسباب جل جلاله، فدونك نصوصاً من كلام هؤلاء الأئمة في هذه المسألة:

قال الرازي في تفسيره: «إن الأرواح البشرية الخالية عن العلائق الجسمانية المشتاقة إلى الاتصال بالعالم العلوي بعد خروجها من ظلمة الأجساد تذهب إلى عالم الملائكة ومنازل القدس ويظهر منها آثار في أحوال هذا العالم فهي المدبرات أمرا، أليس الإنسان قد يرى أستاذه في المنام ويسأله عن مشكلة فيرشده إليها» انتهى.

وقال الرازي أيضا في المطالب العالية -وهو من أمتع كتبه في علم أصول الدين -في الفصل العاشر من المقالة الثالثة من الكتاب السابع منه: «إن الإنسان قد يرى أباه وأمه في المنام ويسألهما عن أشياء وهما يذكران أجوبة صحيحة وربما أرشداه إلى دفين في موضع لا يعلمه أحد» ثم قال: «أنا كنت صبياً في أول التعلم وكنت أقرأ (حوادث لا أول لها) فرأيت في المنام أبي فقال لي: أجود الدلائل أن يقال الحركة انتقال من حالة إلى حالة فهي تقتضي بحسب ماهيتها مسبوقيتها بالغير والأزل ينافي كونه مسبوقاً بالغير فوجب أن يكون الجمع بينهما محالاً». ثم قال المنصف «والظاهر أن هذا الوجه أحسن من كل ما قيل في هذه المسألة، وأيضاً سمعت أن الفردوسي الشاعر لَمّا صنف كتابه المسمى بشاهنامه على اسم السلطان محمود بن سبكتكين، ولم يقض حقه كما يجب وما راعاه كما يليق بذلك الكتاب ضاق قلب الفردوسي فرأى في المنام «رستم» فقال له: «قد مدحتني في هذا الكتاب كثيراً وأنا في زمرة الأموات فلا أقدر على قضاء حقك ولكن اذهب إلى الموضع الفلاني واحفره فإنك تجد فيه دفيناً فخذه، فكان الفردوسي يقول أن رستم بعد موته أكثر كرماً من محمود حال حياته» وقال أيضا في الفصل الخامس عشر من تلك المقالة بعد سرد الحجج: «توجب القطع بأن النفس بعد مفارقة البدن مدركة للجزئيات وهذا أصل شريف ينتفع به في علم المعاد» وقال أيضاً في الفصل الثامن عشر من تلك المقالة «الفصل الثامن عشر في بيان كيفية الانتفاع بزيارة الموتى والقبور» ثم قال «سألني بعض أكابر الملوك عن المسألة -وهو الملك محمد بن سام بن الحسين الغوري - وكان رجلاً حسن السيرة مرضي الطريقة شديد الميل إلى العلماء قوي الرغبة في مجالسة أهل الدين والعقل فكتبت فيها رسالة وأنا أذكر هنا ملخص ذلك فأقول: «للكلام فيه **مقدمات**:

المقدمة الأولى: أنّا قد دللنا على أن النفوس البشرية باقية بعد موت الأبدان وتلك النفوس التي فارقت أبدانها أقوى من هذه النفوس المتعلقة بالأبدان من بعض

الوجوه وهذه النفوس أقوى من تلك من بعض الوجوه، أما أن النفوس المفارقة أقوى من هذه النفوس من بعض الوجوه، فهو أن تلك النفوس لما فارقت أبدانها فقد زال الغطاء وانكشف لها عالم الغيب وأسرار منازل الآخرة وصارت العلوم التي كانت برهانية عند التعلق بالأبدان، ضرورية بعد مفارقة الأبدان لأن النفوس في الأبدان كانت في عناء وغطاء ولّما زال البدن أشرقت تلك النفوس وتجلت وتلألأت فحصل للنفوس المفارقة عن الأبدان بهذا الطريق نوع من الكمال. وأما أن النفوس المتعلقة بالأبدان أقوى من تلك النفوس المفارقة من وجه آخر فلأن آلات الكسب والطلب باقية لهذه النفوس بواسطة الأفكار المتلاحقة والأنظار المتتالية تستفيد كل يوم علماً جديداً. وهذه الحالة غير حاصلة للنفوس المفارقة،

والمقدمة الثانية: أن تعلق النفوس بأبدانها تعلق يشبه العشق الشديد والحب التام ولهذا السبب كان كل شيء تطلب تحصيله في الدنيا فإنما تطلبه لتتوصل به إلى إيصال الخير والراحة إلى هذا البدن. فإذا مات الإنسان وفارقت النفس هذا البدن فذلك الميل يبقى وذلك العشق لا يزول وتبقى تلك النفوس عظيمة الميل إلى ذلك البدن عظيمة الانجذاب على المذهب الذي نصرناه من أن النفوس الناطقة مدركة للجزئيات وأنها تبقى موصوفة بهذا الإدراك بعد موتها، إذا عرفت هذه المقدمات فنقول إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوي النفس كامل الجوهر شديد التأثير ووقف هناك ساعة وتأثرت نفسه من تلك التربة –وقد عرفت أن لنفس ذلك الميت تعلقاً بتلك التربة أيضاً– فحينئذ يحصل لنفس هذا الزائر الحي ولنفس ذلك الميت ملاقاة بسبب اجتماعهما على تلك التربة فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما إلى الأخرى.

فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف البرهانية والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة من الخضوع لله والرضا بقضاء الله ينعكس منه نور إلى روح ذلك الميت وكل ما حصل في نفس ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرقة الكاملة فإنه

ينعكس منه نور إلى روح هذا الزائر الحي. وبهذا الطريق تكون تلك الزيارة سبباً لحصول المنفعة الكبرى والبهجة العظمى لروح الزائر ولروح المزور وهذا هو السبب الأصلي في شرعية الزيارة ولا يبعد أن تحصل فيها أسرار أخرى أدق وأغمض مما ذكرناه وتمام العلم بحقائق الأشياء ليس إلا عند الله انتهى».

وها أنت ذا رأيت ما يراه الإمام فخر الدين الرازي في الزيارة من الأخذ والعطاء والاستفاضة والإفاضة على نسبة منزلتي الزائر والمزور.

وقال العلامة المحقق السعد التفتازاني في شرح المقاصد -وهو من أمهات كتب أصول الدين- في الصفحة ٣٢ من الجزء الثاني منه في الرد على الفلاسفة: «لما كان إدراك الجزئيات مشروطاً عند الفلاسفة بحصول الصورة في الآلات فعند مفارقة النفس وبطلان الآلات لا تبقى مدركة للجزئيات ضرورة انتفاء المشروط بانتفاء الشرط. وعندنا لما لم تكن الآلات شرطاً في إدراك الجزئيات إما لأنه ليس بحصول الصورة لا في النفس ولا في الحس. وإما لأنه لا يمتنع ارتسام صورة الجزئي في النفس بل الظاهر من قواعد الإسلام أنه يكون للنفس بعد المفارقة إدراكات جزئية وإطلاع على بعض جزئيات أحوال الأحياء سيما الذين كان بينهم وبين الميت تعارف في الدنيا ولهذا ينتفع بزيارة القبور والاستعانة بنفوس الأخيار من الأموات في استنزال الخيرات واستدفاع الملمات فإن للنفس بعد المفارقة تعلقاً ما بالبدن وبالتربة التي دفن فيها. فإذا زار الحي تلك التربة وتوجهت نفسه تلقاء نفس الميت حصل بين النفسين ملاقات وإفاضات انتهى». هذا هو تحقيق هذا الإمام الجليل في المسألة أفهذا أيضاً ممن لا يميز بين التوحيد والإشراك؟ فتعسا لرأس يتخيل ذلك.

وقال التفتازاني أيضاً في الصفحة ١٥٠ من الجزء المذكور: «وبالجملة ظهور كرامات الأولياء يكاد يلحق بظهور معجزات الأنبياء وإنكارها ليس بعجيب من أهل البدع والأهواء إذ لم يشاهدوا ذلك من أنفسهم قط ولم يسمعوا به من رؤسائهم الذين يزعمون أنهم على شيء مع اجتهادهم في أمور العبادات واجتناب

السيئات فوقعوا في أولياء الله تعالى أصحاب الكرامات يمزقون أديمهم ويمضغون لحومهم لا يسمّونهم إلا باسم الجهلة المتصوفة ولا يعدونهم إلا في عداد آحاد المبتدعة قاعدين تحت المثل السائر «أوسعتهم سبا وأودوا بالإبل» ولم يعرفوا أن مبنى هذا الأمر على صفاة العقيدة ونقاة السريرة واقتفاء الطريقة واصطفاء الحقيقة.. انتهى».

وهذا هو قول هذا الإمام الجليل في أولياء الله أصحاب الكرامات مع أنه لا صلة له بالتصوف، وفي ذلك عبرة لمن تعود أن يلغ في دماء أصفياء الأمة.

وقال العلامة السيد الشريف الجرجاني في أوائل حاشيته على المطالع عند بيان الشارح وجه الصلاة على النبي وآله عليه وعليهم الصلاة والسلام في أوائل الكتب، ووجه الحاجة إلى التوسل بهم في الاستفاضة: «فإن قيل هذا التوسل إنما يتصور إذا كانوا متعلقين بالأبدان وأما إذا تجردوا عنها فلا إذ لا جهة مقتضية للمناسبة، قلنا يكفيه أنهم كانوا متعلقين بها متوجهين إلى تكميل النفوس الناقصة بهمة عالية فإن أثر ذلك باق فيهم ولذلك كانت زيارة مراقدهم معدة لفيضان أنوار كثيرة منهم على الزائرين كما يشاهده أصحاب البصائر انتهى». فتطابق الكتاب والسنة وعمل الأمة المتوارث وكلام أئمة أصول الدين في المسألة كما رأيت ومن عاند بعد ذلك فهو زائغ عن السبيل.

وأتحدث الآن بإذن الله عن الأحاديث والآثار المروية في هذا الباب تفصيلاً لما أجملناه هنا بعد الإشارة إلى الآيات في ذلك.

فأقول: سبق إن تلونا قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** * المائدة: ٣٥) احتجاجاً به على أن التوسل بالذوات والأعمال مطلوب شرعاً لشمول ابتغاء الوسيلة لهذا وذاك لا بمجرد الرأي فقط ولا بالعموم اللغوي فحسب بل بما رواه ابن عبد البر في الاستيعاب عن عمر رضي الله عنه أنه قال بعد أن استسقى بالعباس رضي الله عنه وسقوا: «هذا -والله- الوسيلة إلى الله عز وجل والمكان منه» وزد على ذلك قول عمر أيضاً كما في أنساب الزبير بن بكار على ما

في فتح الباري: «واتخذوه -يعني العباس- وسيلة إلى الله» ولا يتصور أن يكون هذا بمعنى اطلبوا الدعاء منه، لأن عمر طلب منه الدعاء وتقدم هو للدعاء وبعد طلب أمير المؤمنين منه الدعاء وتقدمه للدعاء إجابة لطلب عمر، لا يكون قول عمر هذا إلا بمعنى «توسلوا به إلى الله» كما فعل عمر نفسه، لكن الهوى يعمي ويصم. وفي فتح الباري (٢- ٣٣٧): «وليس في قول عمر أنهم كانوا يتوسلون به دلالة على أنهم سألوه أن يستسقي لهم إذ يحتمل أن يكونوا في الحالين طلبوا السقيا من الله مستشفعين به صلّى الله عليه وسلّم، وقال ابن رشيد: أراد بالترجمة (باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء) الاستدلال بالطريق الأولى لأنهم إذا كانوا يسألون الله به فيسقيهم فأحرى أن يقدموه للسؤال انتهى».

وكلام الحافظين يقضي على وهم من يهم قائلاً أن التوسل به صلّى الله عليه وسلّم هو طلب الدعاء منه، وأين التوسل من الدعاء؟ نعم قد يدعوا المتوسل به للمتوسل ولكن ليس هذا مدلولاً لغوياً ولا شرعياً للتوسل. ويستأنس في التوسل به صلّى الله عليه وسلّم بما ذكره البغوي وغيره من أهل التفسير بالرواية في قوله تعالى (**وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ** * البقرة: ٨٩) من أن اليهود كانوا إذا حزبهم أمر ودهمهم عدو يقولون: «اللّهمّ انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة، فكانوا ينصرون» واستقصاء الروايات في ذلك في الدر المنثور للسيوطي، وتخصيص قوله تعالى (**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** * النساء: ٦٤). بما قبل الموت تخصيص بدون حجة عن هوى، وترك المطلق على إطلاقه مما اتفق عليه أهل الحق، والتقييد لا يكون إلا بحجة ولا حجة هنا تقيد الآية، بل فقهاء المذاهب حتى الحنابلة على شمول الآية لما بعد الموت -والأنبياء أحياء في قبورهم- وقد ذكرنا صيغة التوسل به عليه السلام عند الحنابلة وقت زيارة قبره نقلاً من كتاب التذكرة لأبي الوفاء بن عقيل من قدماء الحنابلة في أواخر تكملتنا للرد على

نونية ابن القيم وفيها التوسل وتلاوة تلك الآية، وليس خبر العتبي مما يرد بجرة قلم.

ولنعد الآن إلى الكلام في بعض الأحاديث والآثار الواردة في التوسل تفصيلاً لما أجملناه فيما سبق، فمنها ما أخرجه البخاري في الاستسقاء حيث قال في صحيحه: حدثني الحسن بن محمد قال حدثنا محمد الأنصاري قال حدثني أبي عبد الله بن المثنى عن ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقوا بالعباس بن عبد المطلب فقال: «اللّهمّ إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلّى الله عليه وسلّم فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال فيسقون» وفيه التوسل بالذات، وادعاء أن هناك مضافاً محذوفا أي بدعاء عم نبينا تقول محض بدون أيّ حجة، كما أن فرض العدول -لوفاة النبي صلّى الله عليه وسلّم- إلى العباس تقويل لعمر ما لم يخطر له على بال، بل فيه جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل، بل التوسل بلفظ «بعم نبينا» توسل بقرابة العباس منه عليه السلام وبمنزلته لديه فيكون هذا التوسل توسلاً به صلّى الله عليه وسلّم أيضاً، ولفظ «كنا» غير خاص بعهد النبي صلّى الله عليه وسلّم بل يشمله وما بعده إلى عام الرمادة، والتقييد تقييد بدون مقيّد. وكان ابن عمر رضي الله عنهما يتمثل بشعر أبي طالب:

«وأبيض يستسقى الغمام بوجهه»

كما في البخاري. بل روى استنشاد الرسول صلّى الله عليه وسلّم ذلك الشعر كما في فتح الباري. وفي شعر حسان رضي الله عنه «فسقى الغمام بغرة العباس» كما في الاستيعاب، وفي كل ذلك طلب السقيا من الله بذات العباس وجاهه عند الله. ومنها ما أخرجه البيهقي -وبطريقة أخرجه التقي السبكي في شفاء السقام- وغيره من حديث مالك الدار في استسقاء بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه في عهد عمر بالنبي صلّى الله عليه وسلّم، ومالك الدار بالإضافة هو مالك بن عياض مولى عمر وكان خازنه، وقد ولاه وكلة عيال عمر، ثم ولاه عثمان رضي الله عنه القسم فسمي مالك الدار كما في طبقات ابن سعد والإصابة انتهى، وفي معارف ابن قتيبة: ومن

موالي عمر بن الخطاب، مالك الدار وكان عمر ولاه داراً وكان يقسم بين الناس فيها شيئاً انتهى، ونص الحديث «أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب رضي عنه فجاء رجل إلى قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال يا رسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المنام فقال: ائت عمر فأقرئه السلام وأخبره أنهم يسقون» الحديث، ومحل الاستشهاد طلب الاستسقاء منه صلّى الله عليه وسلّم وهو في البرزخ ودعاؤه لربه وعلمه بسؤال من يسأله، ولم ينكر صنيعه هذا أحد من الصحابة، وقد أخرج هذا الحديث البخاري في تاريخه بطريق أبي صالح ذكوان مختصراً، وأخرجه ابن أبي خيثمة من هذا الوجه مطولاً كما في الإصابة، وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة بإسناد صحيح كما نص عليه ابن حجر في الفتح (ج: ٢ – ص: ٣٣٨) من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار (والداري بالياء سهو من الطابع). قال ابن حجر: إن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة كما روى سيف في الفتوح انتهى.

وهذا نص على عمل الصحابة في الاستسقاء به صلّى الله عليه وسلّم بعد وفاته حيث لم ينكر عليه أحد منهم مع بلوغ الخبر إليهم، وما يرفع إلى أمير المؤمنين يذيع ويشيع فهذا يقطع ألسنة المتقولين.

ومنها حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه في دعاء علّمه النبي صلّى الله عليه وسلّم وفيه (**اللّهمّ إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي**) الحديث. وفيه التوسل بذات النبي صلّى الله عليه وسلّم وبجاهه ونداء له في غيبته وهذا أيضاً مما يقطع ألسنة المتقولين.

وهذا الحديث أخرجه البخاري في تاريخه الكبير والترمذي في أواخر الدعوات من جامعه وابن ماجه في صلاة الحاجة من سننه وفيه نص على صحته والنسائي في عمل اليوم والليلة وأبونعيم في معرفة الصحابة والبيهقي في دلائل النبوة وغيرهم على اختلاف يسير في غير موضع الاستشهاد، وصححه جماعة من الحفاظ يقارب عددهم

خمسة عشر حافظاً.

فمنهم سوى المتأخرين الترمذي وابن حبان والحاكم والطبراني وأبونعيم والبيهقي والمنذري. وسند الترمذي «حدثنا محمود بن غيلان نا عثمان بن عمر نا شعبة عن أبي جعفر عن عمارة «بالضم» بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف» ثم ساق الحديث وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه من حديث أبي جعفر «وهو الخطمي». وفي بعض النسخ المطبوعة «وهو غير الخطمي» وفي بعضها «وليس هو الخطمي».

وهذا وذاك من تصرفات الناسخين وليس من عادة الترمذي أن يقول هو غير فلان ويترك من غير بيان. على أن أبا جعفر الراوي عن عمارة بين شيوخ شعبة إنما هو عمير بن يزيد الخطمي المدني الأصل ثم البصري كما يظهر من كتب الرجال المعروفة من مطبوع ومخطوط. وأبو جعفر الرازي المتوفى سنة ١٦٠ من شيوخ شعبة لم يدرك عمارة المتوفى سنة ١٠٥ أصلا لأن رحلته إلى الحجاز بعد وفاة عمارة بنحو تسع سنين وشعبة شعبة في التثبت فيما يروي على أن طرقاً أخرى للحديث عند الطبراني وغيره تنص في صلب السند على أنه الخطمي الثقة باتفاق وسند الطبراني في هذا الحديث مسوق في شفاء السقام للتقي السبكي.

ورجال سند الترمذي كلهم ثقات وإنما سماه غريباً لانفراد عثمان بن عمر عن شعبة وانفراد أبي جعفر عن عمارة وهما ثقتان باتفاق وكم من حديث صحيح ينفرد به أحد الرواة كحديث (**إنما الأعمال بالنيات**) وسماه حسناً أيضا لتعدد طرقه بعد أبي جعفر وعثمان بن عمر. وتسميته صحيحاً باعتبار تكامل أوصاف الصحة في رواته. ومنها حديث عثمان بن حنيف أيضاً في تعليم دعاء صلاة الحاجة المذكور لرجل كانت له حاجة عند عثمان بن عفان رضي الله عنه فدعا به فقضيت حاجته.

وموضع الاستشهاد أن الصحابي المذكور فهم من حديث دعاء الحاجة أنه لا يختص بزمنه صلّى الله عليه وسلّم وهذا توسل به ونداء بعد وفاته صلوات الله عليه

وعمل متوارث بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. وقد أخرج هذا الحديث الطبراني في الكبير وصححه بعد سوقه من طرق كما ذكره أبو الحسن الهيثمي في مجمع الزوائد وأقره عليه كما أقر المنذري قبله في الترغيب وقبله أبوالحسن المقدسي وأخرجه أيضاً أبونعيم في المعرفة والبيهقي من طريقين وإسنادهما صحيح أيضاً.

ومنها حديث فاطمة بنت أسد رضي الله عنها وفيه من لفظ الرسول عليه السلام (**بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي**) وصححه ابن حبان والحاكم وأخرجه الطبراني في الكبير والأوسط بسند فيه روح بن صلاح وثقة ابن حبان والحاكم وبقية رجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في المجمع وفيه توسل بذوات الأنبياء الذين انتقلوا إلى دار الآخرة.

ومنها أيضا حديث عمر رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم (**لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد ألا غفرت لي..**) أخرجه الحاكم في المستدرك وقال هذا حديث صحيح الإسناد وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم انتهى. وساق سنده التقى السبكي في شفاء السقام. وأخرجه الطبراني في الأوسط والصغير وفي سندهما بعض من لا يعرفه الهيثمي وأما عبد الرحمن بن زيد فقد ضعفه مالك وتابعه آخرون إلاّ أنه لم يتهم بالكذب بل بالوهم ومثله ينتقى بعض أحاديثه. وهذا هو الذي فعله الحاكم حيث رأى أن الخبر مما قبله مالك فيما روى ابن حميد عنه حيث قال لأبي جعفر المنصور: (**وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام**).

وبعد أن أقر الإمام مالك رضي الله عنه بصحة الخبر واحتج به زالت تهمة الوهم وقلة الضبط من عبد الرحمن الذي إنما يقتدي من رماه بذلك بمالك وعبد الرحمن بن زيد ليس ممن يرد خبره مطلقاً وها هو الإمام الشافعي يستدل في دين الله ببعض حديثه في «الأم» وفي «مسنده» فلا لوم على الحاكم في عده هذا الحديث صحيحاً بل هو الصحيح إلاّ عند من يضيق صدره عند سماع فضائل المصطفى صلّى الله عليه وسلّم. وأما قول مالك لأبي جعفر المذكور فهو ما أخرجه القاضي عياض

في الشفا بتعريف حقوق المصطفى بسند جيد وابن حميد في السند هو محمد بن حميد الرازي في الراجح على خلاف ما ظنه التقي السكبي لكن الرازي هذا ليس حاله كما يريد أن يصوره الشمس بن عبد الهادي حيث حشر قول جميع من تكلم فيه، وأهمل كلام من أثنى عليه وهو أحد الثلاثة الذين اتصلوا بابن تيمية، وهم شباب فانخدعوا به فزاغوا، يذكر الجرح ويغفل التعديل في الأدلة التي تساق ضد شذوذ شيخه. ومحمد بن حميد هذا روى عنه أبوداود والترمذي وابن ماجه وأحمد بن حنبل ويحي بن معين.

قال ابن أبي خيثمة: سئل عنه أبن معين، فقال: ثقة لا بأس به رازي كيّس وقال أحمد: لا يزال بالري علم ما دام محمد بن حميد وممن أثنى عليه الصاغاني والذهلي. وقال الخليلي في الإرشاد: كان حافظاً عالماً بهذا الشأن رضيه أحمد ويحيى وقال البخاري فيه نظر. وليس مثله يتهم في مثل هذا الخبر، وقد مات سنة ٢٤٨ عن سن عالية، وكان عمره عند وفاة مالك لا يقل عن نحو خمس عشرة سنة وهم يقبلون رواية ابن خمس في مسند إمامهم. ويعقوب بن إسحاق لا بأس به كما ذكره الخطيب في تاريخه، وأبوالحسن عبد الله بن محمد بن المنتاب من أجلّ أصحاب إسماعيل القاضي ولاه المقتدر قضاء المدينة المنورة حوالي سنة ثلاثمائة ولم يكن غير الثقات الأفذاذ من أهل العلم ليولّي قضاء المدينة المنورة في ذلك العهد (واسم ابن المنتاب يهم فيه كثير) وصاحبه محمد بن أحمد بن الفرج وثقة السمعاني في الأنساب عند ذكر الجزائري وأقره ابن الأثير في اللباب وأبوالحسن الفهري من الثقات الإثبات مترجم في العبر للذهبي وابن دلهاث من ثقاة شيوخ ابن عبد البر مترجم في صلة ابن بشكوال وهي مطبوعة بمادريد. وألم السبكي بأحوالهم في الشفاء بما لا يخرج عما ذكرناه. وابن عبد الهادي[١] يأبى قبول هذا الخبر لأنه يمس شذوذ شيخه ليس إلاّ.

---

(١) ابن عبد الهادي محمد تلميذ ابن تيمية توفي سنة ٧٧٤ هـ. [١٣٧٢ م.].

أراد ابن المنتاب بسوق هذا الخبر الرد على ما في مبسوط شيخه إسماعيل القاضي المالكي المخالف لما رواه ابن وهب عن مالك، وإسماعيل من أهل العراق، وأهل مصر والمدينة أعلم بمسائل مالك منهم على أن إسماعيل لم يسند ما ذكره إلى مالك بل أرسله إرسالاً، لكنه حيث يوافق هوى ابن عبد الهادي يقبله منه بدون سؤال عن سنده بخلاف ما هنا، ويطريه إطراء يغنيه عن ذكر السند في نظره فكأنه لم ير قول داود الأصفهاني فيه ولله في خلقه شؤون. على أنه قد وردت أخبار أخرى في توسل آدم يعضد بعضها بعضاً استغنينا عن ذكرها اكتفاء بما سطرناه، لأن الأحاديث السابقة فيها كفاية لغير المتعنت، ومنها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في سنن ابن ماجه في باب المشي إلى الصلاة: (**من خرج من بيته إلى الصلاة فقال إني أسألك بحق السائلين عليك**) الحديث. قال الشهاب البوصيري في «مصباح الزجاجة، في زوائد ابن ماجه» هذا إسناد مسلسل بالضعفاء عطية هو العوفي وفضيل بن مرزوق والفضل بن الموفق[١] كلهم ضعفاء لكن رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق فهو صحيح عنده.

وذكره رزين ورواه أحمد بن منيع في مسنده ثنا يزيد ثنا فضيل بن مرزوق فذكره بإسناده ومتنه انتهى.

وقال علاء الدين مغلطاي في الأعلام شرح سنن ابن ماجه: ذكره أبونعيم الفضل «هو ابن دكين» في كتاب الصلاة عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد الخدري موقوفاً انتهى، و لم ينفرد عطية عن الخدري بل تابعه أبو الصديق عنه في رواية عبد الحكم بن ذكوان. وهو ثقة عند ابن حبان وإن أعله به أبوالفرج في علله، وأخرج ابن السني في عمل اليوم والليلة بسند فيه الوازع، عن بلال وليس فيه عطية ولا ابن مرزوق ولا ابن الموفق: (**اللّهمّ بحق السائلين عليك**) فظهر انه لم ينفرد

(١) هو ابن خال ابن عيينة قال أبوحاتم صالح ضعيف الحديث و لم يضعفه سواه وجرحه غير مفسر بل وثقه البستي «ز»

عطية ولا ابن مرزوق ولا ابن الموفق بالنظر إلى هذه الطرق على فرض ضعف الثلاثة. مع أن يزيد بن هارون شيخ أحمد بن منيع شارك ابن الموفق في روايته عن ابن مرزوق وكذا فضل بن دكين وابن فضيل وسليمان بن حيان وغيرهم، وعطية جرح بالتشيع لكن حسن له الترمذي عدة أحاديث، وعن ابن معين أنه صالح وعن ابن سعد: ثقة إن شاء الله وعن ابن عدي: له أحاديث صالحة، وبعد التصريح بالخدري لا يبقى احتمال التدليس ولا سيما مع المتابعة، وابن مرزوق ترجح توثيقه عند مسلم فروى عنه في صحيحه على أن الحديث مروي بطريق بلال رضي الله عنه أيضا فلا تنزل درجة الحديث مهما نزلت عن درجة الاحتجاج به بل يدور أمره بين الصحة والحسن لكثرة المتابعات والشواهد كما أشرنا إليها، وقول من يقول إن الجرح مقدم على التعديل على ضعفه فيما إذا تعارضا بتكافئهما في الميزان ودون إثبات ذلك مفاوز، فلا يتمكن المبتدعة من اتخاذ ذلك تكاءة لرد الأحاديث الثابتة برواية رجال وثقهم أهل الشأن بترجح ذلك عندهم، وقد حسن هذا الحديث الحافظان العراقي في تخريج الإحياء وابن حجر في أمالي الأذكار، وفي الحديث التوسل بعامة المسلمين وخاصتهم، وإدخال الباء في أحد مفعولي السؤال إنما هو في السؤال الاستعلامي كقوله تعالى (**فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا** * الفرقان: ٥٩) و (**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ** * المعارج: ١) وأما السؤال الاستعطائي فلا تدخل الباء فيه أصلاً إلا على المتوسل به فدونك الأدعية المأثورة، فتصوّر إدخالها هنا في المفعول الثاني، إخراج للكلام عن سننه بهوى، وصيحة باطل تمجها الأسماع، وليس معنى الحق الإجابة بل ما يستحقه السائلون المتضرعون فضلاً من الله سبحانه فيكون عد (**بحق السائلين**) سؤالاً لهذا الداعي هذياناً محضاً ولا سيما عند ملاحظة ما عطف عليه في الحديث، وأما زعم أنه ليس في سياق الحديث ما يصلح أن يكون سؤالاً غير ذلك فمما يثير الضحك الشديد والهزأ المديد فأين ذهب من هذا الزاعم (**أن تعيذني من النار..**)؟. وكم يكرر الفعل للتوكيد؟. فالسؤل في الفعل الأخير هو السؤل في الفعلين المتقدمين

بل لو لم تكن تلك الأفعال من باب التوكيد لدخلت في باب التنازع فيكون هذا القيد معتبراً في الجميع على كل تقدير. وأما من يحاول رد التوسل بتصور دخوله في الحلف بغير الله فإنما حاول الرد على المصطفى صلوات الله عليه لأنه هو الذي علم صيغ التوسل وفيها التوسل بالأشخاص وأين التوسل من الحلف؟.

ولا بأس أن نزيد هنا كلمة في الاستغاثة والاستعانة والكل من واد واحد ففي حديث الشفاعة عند البخاري (**استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلّى الله عليه وسلّم**) وهذا يدل على جواز استعمال لفضل الاستغاثة في صدد التوسل، وأما حديث (**لا يستغاث بي**) عند الطبراني ففي سنده ابن لهيعة وقد شرحنا حاله في الإشفاق فلا يناهض الحديث الصحيح.

وأما حديث (**وإذا استعنت فاستعن بالله**) فبمعنى (عند استعانتك بأي مستعان فاستعن بالله) على لين في طرقه كلها- حملاً على الحقيقة- فالمسلم لا ينسى مسبب الأسباب عندما يستعين بسبب من الأسباب وها هو عمر رضي الله عنه حينما أستسقى بالعباس رضي الله عنه لم ينس أن يقول آن الاستسقاء (**اللّهمّ فاسقنا**) وهذا هو الأدب الإسلامي ولو لم نحمل الحديث على هذا المعنى لتكلفنا المجاز ولعارضته عدة آيات وأحاديث في سردها طول على أن لفظ (**إذا**) في الحديث بعيد عن إفادة معنى (**كلما**) بل هو من صيغ الإهمال عند المناطقة فلا يكون للخصم مجال أن يتمسك به أصلا، وزد على ذلك إفراد الضمير، والخاصة ومنهم ابن عباس رضي الله عنهما يحسن بهم أن تكون استعانتهم بمسبب الأسباب. وأما قوله تعالى (**وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**) ففي العبادة والهداية بقرينة السباق والسياق كما هو الجدير بحال المناجاة فلا يكون فيه تعطيل الأسباب العادية الدنيوية، وقد أحسن صديقنا العلامة المحقق صاحب المؤلفات الممتعة الأستاذ الكبير المغفور له الشيخ محمد حسنين العدوي المالكي رحمه الله حيث ألف عدة كتب في دفع شبه يصطنعها التيميون حول التوسل فأزاح ظلماتهم ببيانه العذب وتحقيقه الرائع ومقامه في العلم فوق منازل شيوخ

مشايخ هؤلاء بدرجات اتفاقاً بين أهل العلم. وأما سماع أصحاب القبور وإدراكهم فمن أوسع من سرد أدلة ذلك المحدث عبد الحي اللكنوي في (تذكرة الراشد) وأما قوله تعالى (**وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ** * فاطر: ٢٢) ففي حق المشركين عند المحققين. وهناك تحقيق ذلك أيضا فلا تلتفت إلى مغالطات المغالطين.

وبتلك الأحاديث والآثار يظهر أن من ينكر التوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين أحياء وأمواتاً ليس عنده أدنى حجة وإن رمي المسلمين بالإشراك بسبب التوسل ما هو إلا تهور يرجع ضرره إلى الرامي نسأل الله السلامة، وأما إن كان بين العامة من يخطئ في مراعاة أدب الزيارة والتوسل، فمن واجب أهل العلم إرشادهم إلى الصواب برفق، وقد جرى عمل الأمة على التوسل والزيارة إلى أن ابتدع إنكار ذلك الحراني[١]، فرد أهل العلم كيده في نحره، ودامت فتنته عند جاهلي بلاياه، وقد غلط الآلوسي وابنه المتصرف في تفسيره بعض غلط ترده عليهما تلك الأدلة، وكانا مضطربين في مسائل من عدوى جيرانهما وبعض شيوخهما وليس هذا بموضع بسط لذكر ذلك، ومن أراد أن يعرف عمل الأمة في التوسل بخير الخلق فليراجع «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام» للإمام القدوة أبي عبد الله بن النعمان محمد بن موسى التلمساني المالكي المتوفى سنة ٦٨٣ وهو من محفوظات الدار الكتب المصرية. وفي ذلك كفاية لغير المتعنتين ومن الله الهداية والتوفيق.

تم تحريره بيد الفقير إليه سبحانه محمد زاهد الكوثري عفي عنه،

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله أولا وآخرا.

---

(١) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني توفى سنة ٧٢٨ هـ. [١٣٢٨ م.] في الشام.

اَلصَّوَاعِقُ الرَّبَّانِيّةُ
فِي الرَّدّ عَلَى الْوَهَّابِيّةِ

تأليف

فقير ظاهرشاه ميان قادري محمودي

موضع مدين سوات صوبه سرحد

پاكستان

اَلصَّوَاعِقُ الرَّبَّانِيّةُ فِي الرَّدّ عَلَى الْوَهَّابِيّةِ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله (**الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدّين كُلّه وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** * التوبة: ٣٣) والصلاة والسلام على من قال (**لا تجتمع أمتي على الضلالة ويد الله على الجماعة فمن شذ شذ في النار**) وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين أما بعد فيقول العبد المفتقر ظاهرشاه ميان القادري العثماني الحنفي المديني الباكستاني قد سمعت من بعض الأشقياء أن التقليد ليس واجب وهم يدعون الاجتهاد المطلق وأنهم غير محتاجين إلى اتباع المذاهب الأربعة والتوسل بالذوات الفاضلة شرك وحيلة الإسقاط والدعاء بعد الصلاة بدعة مذمومة وغير ذلك من الخرافات في شأن العلماء الصالحين فأردت الذب عنهم غيرة في دين الله تعالى مع كثرة المشاغل ورتبته على مقاصد وبالله التوفيق.

المقصد الأول في التقليد

قال الله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ** * النساء: ٥٩) وقال الدارمي في باب الاقتداء بالعلماء أخبرنا يعلى قال أخبرنا عبد الملك عن عطاء (**وَأَطِيعُوا الله وأطيعوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**) قالوا أولوا العلم والفقه وقال الله تعالى (**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** * النحل: ٤٣) وفي الخازن فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن قال السيوطي في الدر المنثور أخرج ابن مردويه عن أنس قال سمعت النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول (**إن الرجل يصلي ويصوم ويحج ويعود أنه لمنافق**) قالوا يا رسول الله بماذا دخل عليه النفاق قال (قال الله في كتابه **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**) وقوله تعالى (**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** * الفرقان: ٧٤) وفي معالم التتريل فنقتدي بالمتقين ويقتدي بنا المتقون وأيضا قوله تعالى (**يَوْمَ**

نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ * الإسراء: ٧١) فيقال يا حنفي يا شافعي وقوله تعالى (**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ** * النساء: ٨٣) وقوله تعالى (**فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** * التوبة: ١٢٢) وفي المشكاة باب الاعتصام بالكتاب والسنة: (**اتبعوا السواد الأعظم فإنه من شذ شذ في النار**) وقال صاحب المشكاة قوله عليه السلام (**يد الله على الجماعة فمن شذ شذ في النار**) وأيضا قوله عليه السلام (**لا تجتمع أمتي على الضلالة**) أو قال (**أمة محمد على الضلالة**) رواه الترمذي وهكذا في نور الأنوار وقمر الأقمار وفي معالم التنزيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بإمام زمانهم الذي دعاهم إلى الضلالة أو الهدى. وعن سعيد بن المسيب كل قوم يجتمعون إلى رئيسهم في الخير والشر وفي الحسيني يا مقدميكه در مذهب متابعت او نموده باشند چنانچه ندا زنند يا شافعى يا حنفى.

وفي الكبير أن الشافعي سئل من آية في كتاب الله تعالى تدل على أن الإجماع حجة فقرأ القرآن ثلاث مائة مرة حتى وجد هذه الآية وتقرير الاستدلال أن إتباع سبيل المؤمنين واجب وفي المدارك أن الإجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة وفي البيضاوي والآية تدل على حرمة مخالفة الإجماع إلى أن قال وإذا كان اتباع غير سبيل المؤمنين محرما كان اتباع سبيلهم واجبا وقال محقق الحنفية الكمال بن الهمام رحمة الله عليه نقل الإمام الرازي أجمع المحققون على منع العوام من تقليد أعيان الصحابة بل يقلدون من بعدهم الذين يسروا ووضعوا ودونوا وفي شرح منهاج الأصول قال إمام الحرمين في البرهان أجمع المحققون على أن العوام ليس لهم أن يعملوا بمذاهب الصحابة بل عليهم أن يتبعوا مذاهب الأئمة وفي عقود الجواهر المنيفة من أهل السنة والجماعة وهم أهل المذاهب الأربعة وقال الصاوي ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل وربما أداه ذالك الكفر لأن الأخذ بظواهر

الكتاب والسنة من أصول الكفر وقال الشيخ داود الموسوي البغدادي في أشد الجهاد في إبطال دعوى الاجتهاد قال الإمام السيوطي فيما سبق أن الترجيح للوجوه المذهبية لا يقدم عليها إلا جاهل أو فاسق فمن يدعي الاجتهاد في زماننا هذا فهو أجهل الجاهلين وأفسق الفاسقين نسأل الله السلامة من هذا البلاء المبين وأيضا في أشد الجهاد ولنا الأخذ بالكتاب والسنة وأبقوا لأحد شيئا يأخذ به المتأخر عنهم. فهذا أشبه ما يكون بقول الرافضة والزيدية والخوارج فإنهم يضللون الأمة المحمدية ويدعون أنهم والمذاهب والصحابة على غير هدى وأما أهل السنة والجماعة فليس كذلك فإن كان هؤلاء المدعون من الرافضة والخوارج فلا كلام لنا معهم لأنهم مارقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية كما في البخاري ومسلم.

وقال الإمام الشعراني في الميزان الكبرى سمعت سيدي عليا الخواص رحمة الله عليه يقول أمر علماء الشريعة بالتزام مذهب معين تقريبا للطريق وفي البحر فوجب على مقلد أبي حنيفة العمل به ولا يجوز له العمل بقول غيره كما نقل الشيخ قاسم في تصحيحه عن جميع الأصوليين أنه لا يصح الرجوع عن التقليد بعد العمل بالاتفاق وهكذا في الدر المختار ومختصر الأصول. وقال ابن الهمام في فتح القدير فبهذا ظهر أن الصواب ما ذهب إليه أبوحنيفة وأن العمل على المقلد واجب والإفتاء بغيره لا يجوز لهم وفي عالمگيري حنفي ارتحل إلى مذهب الشافعي يعزر كذا في جواهر الأخلاطي وقال الحموي في شرح الأشباه وفي الفتح قالوا إن المنتقل من مذهب إلى مذهب بالاجتهاد والبرهان آثم فيستوجب التعزير فبلا اجتهاد وبرهان أولى وقال ابن عابدين الشامي في رد المحتار ليس للعامي أن يتحول من مذهب ويستوي فيه الحنفي والشافعي رحمهما الله وقال عبد السلام في شرح الجوهرة انعقد الإجماع على أن من قلد في الفروع ومسائل الاجتهاد واحدا من هؤلاء برئ عن عهدة التكليف به فيما قلد فيه.

وقال الإمام الشعراني في الميزان الكبرى فلا ينبغي لأحد الاعتراض عليه (أي

على أبي حنيفة) لكونه من أجل الأئمة وأقدمهم تدوينا للمذهب وأقربهم سندا إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم ومشاهد الفعل أكابر التابعين وكان متقيدا بالكتاب والسنة ومتبرئا من الرأي وقال العلامة محمد طاهر الحنفي في مجمع البحار ويدل عليه ما يسر الله له من الذكر المنتشر في الآفاق فلو لم يكن لله تعالى سر فيه لما جمع شطر الإسلام على تقليده.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله (الفقهاء كلهم عيال أبي حنيفة في الفقه) وفي زماننا فرقة المودودية ينكرون من التقليد وهكذا أهل الحديث في زماننا ينكرون وقال الله تعالى في حقهم (**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** * النساء: ١١٥)

المقصد الثاني في التوسل

التوسل بالذوات الفاضلة جائز بل مستحب صرح به أكابر الأئمة ومن الآيات التي جاء التصريح فيها بالتوسل كقوله تعالى (**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** * البقرة: ٣٧) قال الإمام أبو الليث في تفسيره اللّهمّ بحق محمد إلا ما غفرت لي وقال السيوطي في الدر المنثور أخرج ابن المنذر عن محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه قال لما أصاب آدم الخطيئة عظم كربه واشتد ندمه فجاء جبرئيل فقال هل أعلمك دعاء ومن جملته اللّهمّ أسألك بجاه محمد عبدك وكرامة عليك أن تغفر لي خطيئتي الحديث وقال أيضا في تفسيره وأخرج الديلمي في مسند الفردوس عن علي رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن قول الله تعالى (**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ**) فقال (**اللّهمّ أسألك بحق محمد**) الحديث ثم قال أخرج بن النجار عن ابن عباس قال سألت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن كلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه قال سأل بحق محمد صلّى الله عليه وسلّم وعلي وفاطمة وحسن وحسين رضي الله تعالى عنهم إلا تبت عليّ فتاب عليه قال الإمام البيهقي رحمه الله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (**أن**

آدم لما اقترف الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد) صلّى الله عليه وسلّم **(إلاّ ما غفرت لي قال الله يا آدم كيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحبّ الخلق إليك فقال له صدقت يا آدم إنه لأحبّ الخلق إليّ وإذا سألتني بحقه غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك)** وهكذا في فتح العزيز وشفاء قاضي عياض وضياء الصدور وجذب القلوب للشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي ومدارج النبوة. وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله في قصيدة النعمانية:

أنت الذي لما توسل آدم * من زلة بك فاز وهو أباك

وقوله تعالى **(وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ** * البقرة: ٨٩) وفي البيضاوي يستنصرون على المشركين ويقولون اللّهمّ انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التوراة أو يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبيا يبعث فيهم وقد قرب زمانه. وفي الخازن أي يستنصرون به على مشركي العرب وذلك أنهم كانوا إذا أحزنهم أمر ودهمهم عدو يقولون اللّهمّ انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التورية وكانوا ينصرون وفي الجمل أي يستنصرون به على الذين كفروا يعني مشركي العرب وهكذا في المدارك وروح البيان وغيرها من التفاسير.

وأخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فعاذت بهذا الدعاء اللّهمّ إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم فكانوا إذا التقوا هزموا غطفان وقوله تعالى **(وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** * النساء: ٦٤) وفي سنن الهدى في متابعة المصطفى أن رجلا بعد وفاته صلّى الله عليه وسلّم جاء عند قبره وجعل يحثو التراب على رأسه ويقرأ

هذه الآية ويقول يا رسول الله إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا وجئتك لأستغفر الله واستغفر لي ذنوبي من ربي فسمع صوتا من جانب القبر الشريف قد غفر الله لك هكذا في مدارك التنزيل وقال عماد الدين ابن كثير أن أعرابيا جاء إلى الروضة الطيبة المباركة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فانشد:

يا خير من دفنت في القاع أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي الفداء بقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

أنت النبي الذي نرجو شفاعته * عند الصراط إذا ما زلت القدم

فصاحباك ولا أنساهما أبدا * مني السلام عليكم ما جرى القلم

فهتف هاتف إنا غفرناك بهذه الأبيات فارجو من الله الكريم ولا غرو وأن يغفر لقائل الأبيات وكاتبها إن شاء الله الكريم كذا في معارج النبوة وسنن الهدى في متابعة المصطفى وقوله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** * المائدة: ٣٥) وفي الجلالين وابتغوا أي اطلبوا إليه الوسيلة ما يقربكم إليه من طاعته وقال الصاوي أي يوصلكم إليه وقوله من طاعته بيان لما سواء كانت الطاعة فرضا أو نفلا لما في الحديث القدسي (**ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به**) الحديث. فالتقوى هنا ترك المخالفات وابتغاء الوسيلة فعل المأمورات ويصح أن المراد بالتقوى امتثال المأمورات الواجبة وترك المنهيات المحرمة وابتغاء الوسيلة ما يقربه إليه مطلقا ومن جملة ذلك محبة أنبياء الله وأوليائه والصدقات وزيارة أحباب الله وكثرة الدعاء وصلة الرحم وكثرة الذكر وغير ذلك فالمعنى كل ما يقربكم إلى الله فألزموه واتركوا ما يبعدكم عنه إذا علمت ذلك فمن الضلال المبين والخسران الظاهر تكفير المسلمين بزيارة أولياء الله زاعمين أن زيارتهم من عبادة غير الله كلا بل هي من جملة المحبة في الله التي قال فيها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**ألا لا إيمان لمن لا محبة له**) تعالى والوسيلة له التي قال فيها (**وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** * المائدة: ٣٥) وفي روح البيان الوسيلة

علماء الحقيقة ومشايخ الطريقة وقوله تعالى (**وَإِذْ قَالُوا اللّهمّ إنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** * الأنفال: ٣٢-٣٣) وفي الجلالين لأن العذاب إذا نزل عم و لم تعذب أمة إلا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها (**وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**) حيث يقولون في طوافهم غفرانك غفرانك وقيل هم المؤمنون المستضعفون فيهم كما قال (**لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** * الفتح: ٢٥) وقال الصاوي ولا بالعذاب العام لرفعه ببركته صلّى الله عليه وسلّم وقوله (**وَأَنْتَ فِيهِمْ**) أي في بلدهم فإن خرجت منها أنت والمؤمنون عذبهم الله على أيديكم عذابا خاصا بهم وقوله تعالى (**لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا** * مريم: ٨٧) قال البغوي قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله قيل معناه لا يشفع الشافعون إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا يعني المؤمنين وقال صاحب كاشف البيان من اس موصول ميى جمله أنبياء أولياء أور صلحاء كى طرف أشاره هى اس ميى فرشتى بهى شامل هى جن الله تعالى نى شفاعت گرنكى اجازت وى ركهى بى فانظر أيها المنصف لا يدخلون العصاة إلا بوسيلة الأنبياء والأولياء والشهداء والصلحاء كما قال عليه السلام (**شفاعتي لأهل الكبائر**) وقوله تعالى (**وَلَوْلاَ رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** * الفتح: ٢٥) أي ببركة رجال مؤمنين ونساء مؤمنات.

ومن الأحاديث الصحيحة التي جاء التصريح فيها بالتوسل ما رواه الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني بإسناد صحيح عن عثمان بن حنيف وهو صحابي مشهور رضي الله عنه أن رجلا ضريرا أتى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال ادع الله أن يعافيني فقال (**إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير**) قال فادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء (**اللّهمّ إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد**

نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى اللّهمّ شفعه في) فعاد وقد أبصر وهكذا مروي من الصحابة.

وروى الطبراني والبيهقي أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في زمن خلافته في حاجة فكان لا يلتفت إليه ولا ينظر إليه في حاجته فشكى ذلك لعثمان بن حنيف الراوي للحديث المذكور فقال له ايت الميضأة فتوضأ ثم ايت المسجد فصل ثم قل (**اللّهمّ إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجه بك إلى ربك لتقضى حاجتي)** وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاء البواب فأخذ بيده فأدخله على عثمان رضي الله عنه فأجلسه معه وقال له اذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها ثم قال له ما كان لك فيّ حاجة فاذكرها ثم خرج من عنده فلقي ابن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر لحاجتي حتى كلمته لي فقال ابن حنيف والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأتاه ضرير فشكى إليه ذهاب بصره إلى آخر الحديث. وقد سأل به صلّى الله عليه وسلّم أبوه آدم عليه السلام قبل وجود سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم حين أكل عن الشجرة وحديث توسل آدم عليه السلام بالنبي صلّى الله عليه وسلّم.

رواه البيهقي بإسناد صحيح والشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي في دلائل النبوة وجذب القلوب والقاضي عياض في الشفاء ومر ذكره وفي الشفاء لما حج المنصور وزار قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم سأل الإمام مالكا رضي الله عنه وهو بالمسجد النبوي فقال لمالك يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأدعو فقال له الإمام مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى بل استقبل واستشفع به صلّى الله عليه وسلّم فيشفعه الله فيك قال الله تعالى (**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** * النساء: ٦٤) وأيضا ذكره الإمام

السبكي في شفاء السقام والسيد السمهودي في خلاصة الوفاء والعلامة القسطلاني في المواهب اللدنية والعلامة ابن حجر في الجوهر المنظم وقال العلامة الزرقاني والقاضي عياض إسناده صحيح رجاله ثقات ليس في إسنادها وضاع ولا كذاب وفي البخاري من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه استسقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمن خلافته بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلّى الله عليه وسلّم لما اشتد القحط عام الرمادة فاستسقوا وفي الحصن الحصين وإن لم يجب الدعاء عند قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم ففي أي موضع يستجاب وأيضا قال وعند قبور الأنبياء عليهم السلام وجربت استجابة للدعاء عند قبور الصالحين بشروط معروفة.

وفي مشكاة المصابيح عن شريح بن عبيد قال ذكر أهل الشام عند علي وقيل العنهم يا أمير المؤمنين قال لا إني سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول الأبدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا يسقي بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب.

وقال صاحب المشكاة عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أنها أخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجيها مكفوفين بالديباج وكان النبي صلّى الله عليه وسلّم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها رواه مسلم فهذا صريح في التوسل بجبة النبي صلّى الله عليه وسلّم في الاستشفاء للمرضى وما ذلك إلا لاتصالها ببدنه الشريف.

ومنها ما ذكر في المشكاة وعن عثمان بن عبد الله بن موهب قال أرسلني أهلي إلى أم سلمة بقدح من ماء وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث إليها مخضبة فأخرجت من شعر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكانت تمسكه في جلجل من فضة فخضخضته له فشرب منه قال فأطلعت في الجلجل فرأيت شعرات حمراء رواه البخاري فعلم منه الاستشفاء بشعره عليه الصلاة والسلام وما ذلك إلا التوسل بشعره صلّى الله عليه وسلّم.

وفي المشكاة عن أبي الجوزاء قال قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها فقالت انظروا قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم فاجعلوا منه كوًى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق رواه الدارمي وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم **(هل تنصرون وترزقون إلاّ بضعفائكم)** قال الشيخ ببركة الفقراء قال سيدي جمال المكي الحنفي في فتاوى سئلت عمن يقول في حال شدائد يا رسول الله أو يا علي أو يا شيخ عبد القادر مثلا هل هو جائز شرعا أم لا فأجبت نعم الاستغاثة بالأولياء ونداؤهم والتوسل بهم أمر مشروع ومرغوب لا ينكره إلاّ مكابر أو معاند وقد حرم بركة الأولياء الكرام. وسئل شيخ الإسلام الشهاب الرملي الأنصاري الشافعي عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد يا شيخ فلان ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والصالحين فأجابوا بما نصه الإستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء الصالحين جائزة بعد موتهم.

قال العلامة خير الملة والدين الرملي الحنفي أستاذ صاحب الدر المختار في الفتاوى الخيرية قولهم يا شيخ عبد القادر نداء فما الموجب لحرمته وقال الشيخ المحقق عبد الحق في جذب القلوب وأشعة اللمعات قال الشافعي رحمه الله قبر موسى الكاظم ترياق مجرب لإجابة الدعاء وهكذا في ضياء الصدور وسيف التقليد وحاشية مشكاة المصابيح. قال حجة الإسلام محمد الغزالي من يستمد في حياته يستمد بعد مماته هكذا في تكميل الإيمان وأشعة اللمعات وجذب القلوب وضياء الصدور. وقال العلامة الشيخ شهاب الدين ابن حجر المكي في الخيرات الحسان اعلم أنه لم يزل العلماء وذو الحاجات يزورون قبره ويتوسلون عنده في قضاء حوائجهم ويرون نجح ذلك. منهم الإمام الشافعي رحمه الله لما كان ببغداد فإنه جاء عنه أنه قال إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله عنده فتقضى سريعا.

المقصد الثالث في حياة الأنبياء والأذكياء

اعلم أن حياة الأنبياء والأذكياء ثابت بالكتاب والسنة علما قطعيا لما قام عندنا من الأدلة في ذلك وتواترت به الأخبار وقد ألف البيهقي جزءا في حياة الأنبياء في قبورهم فمن الأخبار الدالة على ذلك ما أخرجه مسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه سلم ليلة أسري به مر بموسى عليه السلام وهو يصلي في قبره. وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى لله عليه وسلم مر بقبر موسى وهو قائم يصلي فيه. وأخرج أبو يعلى في مسنده والبيهقي في كتاب حياة الأنبياء عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**) وأخرج أبو نعيم في الحلية عن يوسف بن عطية قال سمعت ثابتا البناني يقول لحميد الطويل هل بلغك أن أحدا يصلي في قبره إلاّ الأنبياء؟ قال لا. وأخرج أبو داود والبيهقي عن أوس بن أوس الثقفي عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال (**من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا عليّ الصلاة فيه فإنّ صلاتكم تعرض عليّ**) قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت يعني بليت فقال (**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**) وأخرج البيهقي في شعب الإيمان والأصبهاني في الترغيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**من صلّى عليّ عند قبري سمعته ومن صلّى عليّ نائيا بلغته**). وأخرج البخاري في تاريخه عن عمار سمعت النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول (**إن لله تعالى ملكا أعطاه أسياع الخلائق قائم على قبري فما من أحد يصلي علي صلاة إلا بلغتها**) (الحاوي للفتاوى ج: ٢ ص: ١٤٧) روى الترمذي والحاكم وابن مردويه وشرح الصدور وابن نصر والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنه أن بعض الصحابة ضرب خباءه على قبر قبر وهو لا يحسب أنه قبر إنسان فإذا هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي صلّى الله عليه وسلّم فأخبر بذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

فقال له عليه الصلاة والسلام (**هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر**) وهكذا في المشكاة وبشرى الكئيب بلقاء الحبيب ص: ٣٠ للعلامة المحقق الشيخ جلال الدين السيوطي وغوث العباد ص: ١٧٩ وسيف التقليد ص: ٦٧. قال الإمام القشيري في شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة فأما ما حكي عنه وعن أصحابه أنهم يقولون أن محمدا صلّى الله عليه وسلّم ليس نبيا في قبره ولا رسولا بعد موته فبهتان عظيم وكذب محض لم ينطق به منهم أحد ولا سمع في مجلس مناظرة ذلك عنهم ولا وجد في كتاب لهم وكيف يصح ذلك وعندهم محمد صلوات الله عليه حيّ في قبره قال الله تعالى (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** * آل عمران: ١٦٩) فأخبر سبحانه أن الشهداء أحياء عند ربهم فالأنبياء أولى بذلك لتقاصر رتبة الكافة عن درجة النبوة قال الله تعالى (**فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ** * النساء: ٦٩) فرتبة الشهادة ثالث درجة النبوة ولقد وردت الأخبار الصحيحة والآثار المروية بما يدل على هذه الجملة فمن ذلك ما أخبر به أبو سعيد محمد بن إبراهيم بن عبد الله الأديب قال حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن حاتم قال حدثنا محمد ابن الصباح الصغاني قال حدثنا ابن مقسم عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن ابن مسعود عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال (**إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض يبلغونني عن أمتي السلام**). ولا يبلغ السلام إلاّ ويكون حيا وأخبرنا إبراهيم بن محمد الفقيه قال أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد النسوي قال أخبرنا أبو العباس الحسن بن سفيان الشيباني النسوي قال حدثنا هشام بن خالد عن (خالد) ابن يزيد بن أبي مالك عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**ما من نبي يموت فيقيم في قبره أربعين صباحا حتى يرد الله إليه روحه**) وعن أبي هريرة أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (**ما من أحد يسلم عليّ إلاّ ردّ الله عز وجل عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام**). دل الخبر أن الميت لا يعلم حتى يرد عليه الروح

ودل على أن النبي صلّى الله عليه وسلّم حي في قبره. وعن أبي هريرة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم (**من صلّى عليّ عند قبري سمعته ومن صلّى عليّ نائيا منه أبلغته**) (الرسائل القشيرية) وفي دلائل النبوة لأبي نعيم لقد رأيتني ليالي الحرة وما في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غيري وما يأتي وقت الصلاة إلاّ وسمعت الأذان من القبر. قال العلامة الإمام محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي وفي الفتاوى الرميلة الأنبياء والشهداء والعلماء لا يبلون والأنبياء والشهداء يأكلون في قبورهم ويشربون ويصومون ويحجون (الزرقاني على المواهب جلد: ٥، ص: ٣٣٤).

قال المحقق الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي في مدارج النبوة وجذب القلوب حياة أنبياء كرام متفق عليه است هيچ كس را درو خلافى نيست حيات جسمانى ودنياوى حقيقى نه حياة معنوى روحانى. وفى عقائد ديوبند المعروف المهند فهو صلّى الله عليه وسلّم حيّ في قبره الشريف يتصرف في الكون بإذن الله تعالى كيف شاء. قال إمام أحمد رضاخان رحمة الله عليه وه جو نه تهى تو كچهه نه تها وه جو نه هون توكچهه نه هو جان هين وه جهان كى جان هى تو جهان هى. وفى المرقاة لا فرق لهم في الحالين ولذا قيل أولياء الله لا يموتون ولكن ينقلبون من دار إلى دار وهكذا في ارشاد الطالبين لاخون درويزه رحمة الله عليه.

وفي أشعة اللمعات[١] أولياء خدا نقل كرده شدند ازين دار فانى به دار بقاء وزنده اند نزد پروردگار خود مرزوق اند وخوشحال اند ومردمرا ازان شعور نيست. وفي إرشاد الساري شرح صحيح البخاري قد أنكر عذاب القبر بعض المعتزلة والروافض محتجين بأن الميت جماد لا حياة له ولا إدراك.

وفي جامع البركات أولياء را كرامات تصرفات در اكوان حاصل است وآن نيست مگر ارواح ايشان را چون ارواح باقى است بعد از ممات نيز باشد.

---

(١) مؤلف أشعة اللمعات شرح المشكاة الفارسي عبد الحق الدهلوي توفى سنة ١٠٥٢ هـ. [١٦٤٢ م.].

وقال الإمام أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستذكار والتمهيد عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه ورد عليه السلام**) وذكره الإمام السيوطي في شرح الصدور والفاضل الزرقاني في شرح المواهب والشيخ المحقق في جامع البركات وجذب القلوب لابن أبي الدنيا والبيهقي والصابوني وابن العساكر وخطيب البغدادي وغيرهم من المحدثين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**إذا مر رجل يعرفه فسلم عليه وعرفه وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه ورد عليه السلام**) وقال الإمام الطبراني بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**يسمعون كما تسمعون ولكن لا يجيبون**) وفي شرح الصدور قال الإمام اليافعي رحمة الله عليه ومن المشهور أن الفقيه الكبير الولي الشهيد أحمد بن موسى بن عجيل سمعه بعض الفقهاء الصالحين من قراءته يقرأ سورة النور في قبره فافهم ولا تكن من الوهابيين الجاهلين وأشباههم وهكذا ينكرون المودودية والفنجفرية اللّهمّ أهلك عدو جميع أهل الإسلام.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وسلّم

حماة الدين وقف الإخلاص * حكيم الدين وقف الإخلاص

سليم الدين وقف الإخلاص * سديد الدين وقف الإخلاص

يقيم الدين وقف الإخلاص * يقين الدين وقف الإخلاص

نصيح الدين وقف الإخلاص * نبراس الدين وقف الإخلاص

حقيق الدين وقف الإخلاص * حفيظ الدين وقف الإخلاص

لذيذ الدين وقف الإخلاص * لبيب الدين وقف الإخلاص

محي الدين وقف الإخلاص * مدير العام وقف الإخلاص

يدعون للخير وقف الإخلاص * يأمر بالعرف وقف الإخلاص

أساس الدين وقف الإخلاص * أمير الدين وقف الإخلاص

بهي الدين وقف الإخلاص * بشاش الدين وقف الإخلاص

نقي الدين وقف الإخلاص * نشر الدين وقف الإخلاص

سبيل الدين وقف الإخلاص * سند الدين وقف الإخلاص

عليم الدين وقف الإخلاص * علم الدين وقف الإخلاص

يفيض الدين وقف الإخلاص * يفيد الدين وقف الإخلاص

دليل الدين وقف الإخلاص * دوام الدين وقف الإخلاص

بدر التمام وقف الإخلاص * كشف الظلام وقف الإخلاص

دابا دوام وقف الإخلاص * كتب عوام وقف الإخلاص

دعوة الله ذا الفعال * جزاء الخير وقف الإخلاص

ولا تخبني في رجائي منك * بفضل كرمك يا ذا الجلال

وأزكى صلاة مع سلام * على النبي خير الأنام

والآل صحب الكرام هم * النجوم هدى الأنام

تم القصيدة بحمد الله وحسن عونه وأخوكم في الدين وادم الحاج عبد السلام بن محمود سان ساكن مدينة حند ب فا ص. ب ٥ افريقية الغربي

Burkina FOSO HOUNDE

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله المحمود أولا وآخرا والصلاة والسلام على مصباح الهداية رسول الكريم سيدنا محمد ومولانا وعلى آله وأصحابه وسلم.

وأبعث إليكم أجمل السلام وأخلص التحيات.

أما بعد: فيا الإخوان الأعزاء في الإسلام أرجو زيادة السلام لكم وأرغب لكم في عيشة السرور والفوز والتوفيق على خدمتكم من أجل رفع راية الإسلام وتعاليمه وقد عهد الله لكم بالنصر في كتابه العزيز القائل (**إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** * محمد: ٧) الآية.

يا إخواني الأعزاء يسرني تكرير الرسالة إليكم مخبرا بأنني حصلت على كتب كثيرة من عندكم سررت بهم كل السرور بأنني قرأتهم واستفدت مما يحتوي عليه هذا الكتب وأنا أسأل الله لكم أن يجعلكم من ورثة الفردوس بعد طول أعماركم.

واعلموا أيها الإخوان الأعزاء أنا طالب منكم بعض الكتب المطبوعة من عندكم فحاولوا كل المحاولة أن ترسلوا إلي تلك الكتب لأنني في حاجة ماصة إليهم وهذا أسماؤهم:

١- الفقه على المذاهب الأربعة (الجزء الأول والثاني والثالث)

٢- الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية.

٣- تفسير سورة البقرة لشيخ زاده (الجزء الأول والثاني والثالث)

هذا مطلوبي منكم فأعينوني يعنكم الله فهو في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه. والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا. وعلى هذا فإن لكم شكري بين كل نفسين ما دام روحي في جسدي.

والسلام على الذين يعاونون على البر والتقوى. والسلام عليكم ورحمة الله

المرسل: أخوكم إسحاق وتاري بمعهد الإمام إبراهيم الإسلامي

ص - ب ١٧١ سكاسوا. مالي

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الرئيس الفاضل الكريم

أهل السنة والجماعة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أنا أخبرك أولا عني أنا الذي العالم الفاضل أهل السنة والجماعة. نحن نعيش تحت خلافة الكفار الآن في بلدنا فتنات كثيرات. وفرق المسلمون فرقات قد جاء علينا جمهور من اعتقاد الوهابية. وهم يقولون أن نبينا محمدا وهو رجل عام. وأولياء الله وهم كاذبون لأنه جوز قراءة مولد النبي صلّى الله عليه وسلّم ولأنه جوز زيارة القبور.

في هذا السعة ليست عندنا كتب أن نستظهر الحق بين المسلمين. وإذا سمعت عنكم كثيرا تاما وأرجو منكم كتبا مهمة من اعتقاد السنة والجماعة ما أرسلتموني كتبا مهمة من اعتقاد السنة والجماعة وننتظر كتبهم بلا توان. وأنا أطلب منكم بتواضع أن لا تنسي شأني

أنا أكتب الرسالة بسرعة إن وجدتم فيه اختلافا أو خطأ فاعف عني بسماحة

أنا اختم هذه الرسالة بسلام كما قال تعالى سلام عليكم

علي رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

من يحيى راجشاهي متعلم بداكا   ١٤١٤/١٢/٤ هـ. التاريخ

إلى حضرة العلامة الفاضل الشيخ حسين حلمي بن سعيد رئيس مطبعة إيشيق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أهدي إليكم سلامي العاطر واحترامي الوافر مشفوعين بخالص الحمد والثناء على ما أوليتم المسلمين من ألطاف إحساناتكم ومساعدتكم. أيها السادات الكرام:

قد جاء إليكم هذه الرقعة من أحقر العباد يحيى راجشاهي المتعلم بالجامعة الإسلامية العربية بداكا قرأت يوما بعض الكتب التي استقر خبثها من بعض اقرب الزملائي إلي فأعجبني كثيرا موضوعاهّا الثمين فوحلتها موافقة لأقوال العلماء المحققين المجتهدين والفقهاء الكاملين من أهل السنة والجماعة ومؤيدة بقول أهل السنة والجماعة وبقواعدهم ومنها المسمى بكتاب ١- الفقه على المذاهب الأربعة ٢- حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي ٣- الصراط المستقيم في رد النصارى ٤- حقوق الإسلام ٥- مفتاح النجاة ٦- رياض الصالحين ٧- كيمياى سعادت ٨- حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين ٩- الدرر السنية في الرد على الوهابية، هن كتب عظيمة القدر كثير النفع كنت لا استغني عنها خصوصا الفقه على اهـ. وحاشية شيخ زاده

فأملي عظيم أن تتفضلوا علي بإرسالها كما تفضلكم على بعض زملائي

ولأني اليوم في شدة الحاجة إلى تلك الكتب الغالية

وفي الختام أشكر فضيلتكم الشريف جزيل الشكر سلفا

وداعيا إلى الله تعالى أن يوفقكم ويهديكم لخدمة الإسلام والمسلمين

وخدمة نشر الدعوة الإسلامية وإقامة الدين القيم   فقط والسلام

العارض: العبد محمد يحيى راجشاهي

متعلم العربية بداكا   بنغلاديش

فهرست الكتاب

الموضوع **رقم الصفحة**

دُعَاءُ التَّوْحِيدِ

يَا اَللهُ يَا اَللهُ لاَ اِلَهَ اِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ يَا عَفُوُّ يَا كَرِيمُ فَاعْفُ عَنِي وَارْحَمْنِي يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَاَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ اللّهمّ اغْفِرْ لِي وَلآبَائِي وَأُمَّهَاتِي وَلآبَاءِ وَأُمَّهَاتِ زَوْجَتِي وَلأَجْدَادِي وَجَدَّاتِي وَلأَبْنَائِي وَبَنَاتِي وَلإِخْوَتِي وَأَخَوَاتِي وَلأَعْمَامِي وَعَمَّاتِي وَلأَخْوَالِي وَخَالاَتِي وَلأُسْتَاذِي عَبْدِ اْلحَكِيمِ اْلآرْوَاسِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ اَلاَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَاْلاَمْوَاتِ «رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ» بِرَحْمَتِكَ يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَاْلحَمْدُ للهِ رَبِّ اْلعَالَمِينَ

دُعَاءُ اْلاسْتِغْفَارِ

اَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لاَ اِلَهَ إِلاَّ هُوَ اْلحَيَّ الْقَيُّومَ وأَتوُبُ إِلَيْهِ

إن ناشر كتب - **دار الحقيقة للنشر والطباعة** - هو المرحوم حسين حلمي ايشيق عليه الرحمة والرضوان المتولد عام ١٣٢٩ هـ * ١٩١١ م] بمنطقة -**أيوب سلطان إستانبول**- وأعداد الكتب التي نشرها ثلاث وستون مصنفا من العربية وأربع وعشرون مصنفا من الفارسية وثلاث مصنفات أوردية وأربع عشرة من التركية ومقدار الكتب التي أمر بترجمتها من هذه الكتب إلى لغات فرنسية وألمانية وإنجليزية وروسية وإلى لغات أخر بلغت مائة وتسعة وأربعين كتابا وجميع هذه الكتب طبعت في -**دار الحقيقة للنشر والطباعة**- وكان المرحوم عالما طاهرا تقيا صالحا وتابعا لمشيئة الله وقد تتلمذ للعلاّمة الحبر البحر الفهامة الولي الكامل المكمل ذي المعارف والخوارق والكرامات عالي النسب السيد عبد الحكيم الارواسي عليه رحمة الباري وأخذ منه وظهر كعالم إسلامي فاضل وكامل مكمل وقد لبى نداء ربه المتعال وتوفي ليلة ٢٥ على ٢٠٠١/١٠/٢٦ (الثامن على التاسع من شهر شعبان المعظم سنة إثنتين وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية) ودفن في محل ولادته بمقبرة أيوب سلطان تغمده الله برحمته الواسعة واسكنه فسيح جناته آمين

اسماء الكتب العربية التي نشرتها مكتبة الحقيقة

اسماء الكتب	عدد صفحاتها
١ - جزء عم من القرآن الكريم	٣٢
٢ - حاشية شيخ زاده على تفسير القاضى البيضاوى (الجزء الاول)	٦٠٤
٣ - حاشية شيخ زاده على تفسير القاضى البيضاوى (الجزء الثانى)	٤٦٢
٤ - حاشية شيخ زاده على تفسير القاضى البيضاوى (الجزء الثالث)	٦٢٤
٥ - حاشية شيخ زاده على تفسير القاضى البيضاوى (الجزء الرابع)	٦٢٤
٦ - الايمان والاسلام ويليه السلفيون	١٦٠
٧ - نخبة اللآلي لشرح بدء الامالي	١٩٢
٨ - الحديقة الندية شرح الطريقة المحمّدية (الجزء الاول)	٦٠٨
٩ - علماء المسلمين وجهلة الوهابيين ويليه شواهد الحق ويليهما العقائد النسفية ويليها تحقيق الرابطة	٢٢٤
١٠ - فتاوى الحرمين برجف ندوة المين ويليه الدرة المضيئة	١٢٨
١١ - هدية المهديين ويليه المتنبئ القادياني ويليهما الجماعة التبليغية	١٩٢
١٢ - المنقذ عن الضلال ويليه الجام العوام عن علم الكلام ويليهما تحفة الاريب ويليها نبذة من تفسير روح البيان	٢٥٦
١٣ - المنتخبات من المكتوبات للامام الرباني	٤٨٠
١٤ - مختصر (التحفة الاثنى عشرية)	٣٥٢
١٥ - الناهية عن طعن امير المؤمنين معاوية ويليه الذب عن الصحابة ويليهما الاساليب البديعة ويليها الحجج القطعية ورسالة رد روافض	٢٨٨
١٦ - خلاصة التحقيق في بيان حكم التقليد والتلفيق ويليه الحديقة الندية	٥١٢
١٧ - المنحة الوهبية في رد الوهابية ويليه اشد الجهاد ويليهما الرد على محمود الآلوسي ويليها كشف النور	١٩٢
١٨ - البصائر لمنكري التوسل باهل المقابر ويليه غوث العباد	٤١٦
١٩ - فتنة الوهابية والصواعق الالهية وسيف الجبار والرد على سيّد قطب	٢٥٦
٢٠ - تطهير الفؤاد ويليه شفاء السقام	٢٥٦
٢١ - الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق ويليه ضياء الصدور ويليهما الرد على الوهابية	١٢٨

اسماء الكتب	عدد صفحاتها
٢٢ - الحبل المتين في اتباع السلف الصالحين ويليه العقود الدرية ويليهما هداية الموفقين	١٣٦
٢٣ - خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام (من الجزء الثاني) ويليه ارشاد الحيارى في تحذير المسلمين من مدارس النصارى ويليهما نبذة من الفتاوى الحديثية	٢٨٨
٢٤ - التوسل بالنبي وبالصالحين ويليه التوسل للشيخ محمّد عبد القيوم القادري	٣٣٦
٢٥ - الدرر السنية في الرد على الوهابية ويليه نور اليقين في مبحث التلقين	٢٢٤
٢٦ - سبيل النجاة عن بدعة اهل الزيغ والضلالة ويليه كف الرعاع عن المحرمات ويليهما الاعلام بقواطع الاسلام	٢٨٨
٢٧ - الانصاف ويليه عقد الجيد ويليهما مقياس القياس والمسائل المنتخبة	٢٤٠
٢٨ - المستند المعتمد بناء نجاة الابد	١٦٠
٢٩ - الاستاذ المودودي ويليه كشف الشبهة عن الجماعة التبليغية	١٤٤
٣٠ - كتاب الايمان (من رد المحتار)	٦٥٦
٣١ - الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الاول)	٣٥٢
٣٢ - الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الثاني)	٣٣٦
٣٣ - الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الثالث)	٣٨٤
٣٤ - الادلة القواطع على الزام العربية في التوابع ويليه فتاوى علماء الهند على منع الخطبة بغير العربية ويليهما الحظر والاباحة من الدر المختار	١٢٠
٣٥ - البريقة شرح الطريقة (الجزء الاول)	٦٠٨
٣٦ - البريقة شرح الطريقة ويليه منهل الواردين في مسائل الحيض (الجزء الثاني)	٣٣٦
٣٧ - البهجة السنية في آداب الطريقة ويليه ارغام المريد	٢٥٦
٣٨ - السعادة الابدية في ما جاء به النقشبندية ويليه الحديقة الندية في الطريقة النقشبندية ويليهما الرد على النصارى والرد على الوهابية	١٧٦
٣٩ - مفتاح الفلاح ويليه خطبة عيد الفطر ويليهما لزوم اتباع مذاهب الائمة	١٩٢
٤٠ - مفاتيح الجنان شرح شرعة الاسلام	٦٨٨
٤١ - الانوار المحمّدية من المواهب اللدنية (الجزء الاول)	٤٤٨
٤٢ - حجة الله على العالمين في معجزات سيّد المرسلين ويليه مسئلة التوسل	٢٨٨
٤٣ - اثبات النبوة ويليه الدولة المكية بالمادة الغيبية	٢٢٤

اسماء الكتب الفارسية التي نشرتها مكتبة الحقيقة

الكتب العربية مع الاردوية و الفارسية مع الاردوية و الاردية